

قصص من الهند الحديثة

ترجمة: جمال الدين زكي الشناوي
مراجعة: يوسف شاهين



الإبداع العالمي

قصص

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٤

الاخراج الفنى

راجيه حسين

قصص من الهند الحديثة

ترجمة

جمال الدين زكي الشناوي

مراجعة

يونس شاهين



كلمة المترجم

يحوى هذا الكتاب عشرين قصة كتبها ثلاثة عشر كاتبا هنديا، وهى تعكس بوضوح صورة للهنـــد وحياتها الاجتماعية والثقـافية ومعتقدات أهلهـا الدينية ، وتقاليدهم الموروثة وأخلاقهم وطبـاعهم وانطباعاتهم الشخصية لما يحدث فى دنياهم ٠

كما انها تعكس اختلاف نظرات الطبقات المختلفة بعضها لبعض من الوجهة الدينية والطبقية والاجتماعية ، والطائفية الدينية التى لا زال لها شأن كبير فى الهند ، فهذا مقدس وذاك نجس وهذا طاهر وذاك منبوذ بحسب اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم العديدة ، ويذكر العديد من عادات الهنـود فى الزواج والطلاق والوفاة والدفن فى صراحة وبساطة فلسفية تمد القارىء بفكرة جيدة عن الهند وسكانها (حوالى ٧٠٠ مليون الآن) فى دولة نامية تجـاهد فى صعود درج التقدم والازدهار ٠

يعترف الدستور الهندى بوجود ١٤ لغة فى الهند ٠ وكذلك بالأديان السبعة الرئيسية وهى :

الهندوسية ، والاســلام ، والمسيحية ، والبوذية ، والجينية ، والسيخ ، والبارثيز ٠

وسيقدم الكتاب للقارىء العربى صورة واضحة المعالم عن الثقافة الهندية وعن الأدب الهندى المعاصر ٠

وكما يقول الناشر فهذا أول كتاب من نوعه يصدر باللغة الانجليزية عن القصص الهندية القصيرة (*) ٠

(*) اللغة الأصلية التى كتبت بها كل قصة مذكورة فى المحتويات ٠

عن المحرر

ولد ك٠ ناتوار سنج فى ١٦ مايو ١٩٣١ ٠ تعلم فى كلية سانت ستيفن بجامعة دلهى حيث حصل على مراتب الشرف الأولى فى التاريخ وكان رئيسا لاتحاد الطلبة وبطلا للجامعة فى التنس ٠

وفيما بعد التحق بجامعة كمبردج فى انجلترا ٠ وبعد أن أصبح أهلا للعمل بالخدمة الخارجية الهندية فى ١٩٥٣ ، تعين ــ بعد فترة من الخدمة بوزارة الشئون الخارجية فى نيودلهى ــ بالسفارة الهندية فى بكين ٠ ولقد جال فى أفريقيا وآسيا وأوربا ٠ كذلك زار استراليا وعديدا من الدول فى أمريكا الجنوبية ومن أغسطس ١٩٦١ الى أبريل ١٩٦٦ كان يعيش فى نيويورك حيث كان مستشارا للبعثة الدائمة للهند فى الأمم المتحدة ٠

كانت مهمته تتضمن تمثيل بلاده فى لجنة الوصاية للجمعية العمومية والتى أنتخب مدير علاقات لها فى ١٩٦٥ ، وللمجلس التنفيذى لصندوق الطفولة لهيئة الأمم ٠ ومنذ أبريل ١٩٦٦ كان نائبا للوزير بوزارة الشئون الخارجية فى نيودلهى ٠

ك٠ ناتوار سنج هو محرر كتاب أ٠ م٠ فورستر « تحية » الذى نشر فى عام ١٩٦٤ ٠ والوصبة لنهرو وهى تحية تذكارية نشرت عام ١٩٦٥ ٠

انه ينقد الكتب لراديو الهند جمعاء فى نيودلهى ، والأسبوعية المصورة للهند فى بومباى ، « ساتر داى ريفيو » وفى نقد الكتب فى « نيويورك تايمز » ٠

كلمة المحرر

هذه هى أول مرة نيسر فيها مجموعة من قصص الهند الحديثة القصيرة لقراء من الغرب · لقد ظهرت مجموعات من القصص المترجمة عن لغات هندية مفردة كالبنغالية والهندية ، ولكن العمل الحالى هو أول ما ينصب على معظم اللغات الأدبية الكبرى للهند بما في ذلك الانجليزية فأرجو أن يتعرف القراء الغربيون على تنوع وثراء الأدب الهندى ·

اننى لست بحاثة ، وما أقوله في المقدمة عن تطور القصة القصيرة ومكانها فى الأدب الهنـدى ليس بدراسة كاملة لبحاثة فى الأدب الهنـدى الحديث · ما فعلته هو أننى قدمت للقارىء الغربى أفكارا ممتعة مفضلة لدى شخص قرأ الأدب الهندى بكلتا اللغتين الهندية والانجليزية · لغتى القومية هى الهندية وهذه هى اللغة الهندية الوحيدة التى اعرفها · ان أدب اللغات الهندية الأخرى التى تداولتها خلال الانجليزية ودينى الشخصى لتلك اللغة عظيم جدا ·

انه لما يبعث فى نفسى السرور بصفة خاصة أن أنوه بالمساعدة والتشجيع اللذين تلقيتهما من مستر كريشنا كريبالانى سكرتير الأكاديمية الأدبية الهندية فى نيودلهى ، فبدون اهتمامه بهذه المجموعة لكان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل أن أنجز هذا المشروع ·

وأود أيضا أن أشـكر مستر فوبيون باورز ومستر باتريك جريجورى والآنسة جين جولدستون لقراءتهم للمقدمة وتقديمهم مقترحات قيمة · اننى أيضا سعيد جدا أن أسجل مدى العون الذى وجدته في مقال مستر س· هـ· فاتسيايان عن الأدب الهندى فى الأدب الهندى المعاصر فى مجموعة مقالات نشرتها أكاديمية ساهيتيا فى نيودلهى ·

وأخيرا ، فهناك دين كان يجب أن أنوه عنه منذ عهد بعيد أدين به لمستر ن· ج· تاكار الذى كان مدرسا للانجليزية بمدرسة سينديا بجواليور من ١٩٣٣ الى ١٩٦٢ · لقد علمنى قيمة النظر داخل الكتب ·

بهاراتبور ·· راجاستان ··

الهنـد فى ١٦ مايو ١٩٦٦

ك · ناتوارسنج

المحرر



مقدمة

بقلم : ك· ناتوار سنج

ان الهدف الأساسى لهذه المختارات الأدبية هو اعطاء القارىء الغربى فكرة عن ثراء وتنوع الأدب الهندى ·

وأتمنى أن تلقى القصص العشرون المدونة هنا بعض الضوء على خصائص الأدب الهندى وأسلوبه والقوى والمؤثرات التى منحته الحياة وطول البقاء ·

لقد ازدهرت القصة القصيرة فى الهند وأسباب هذا الازدهار عديدة ، منها تأثير كبار كتاب القصة القصيرة فى الغرب فى القرن التاسع عشر والسهوله النسبية فى طبع وتوزيع القطع النثرية القصيرة سواء أكانت بالانجليزية أو بعدد من اللغات الهندية ولذلك لم تهمل الكثرة الغالبة من الكتاب الهنود المهمين هذا النوع من الأدب ويمكن القول بأن بعضا منه قد أتقنوه تماما ·

ولعل استشعار المشهد الهندى لم يقتنص بمثل هذه المهارة ولا كانت الجهود فى اظهاره مرضية الى هذا الحد فى أى نوع آخر من أنواع النشاط الأدبى أو الابتكارى ·

هذا وانى آمل أن القارىء سيجد فى هذه القصص تعبيرا معاصرا عن الأدب الهندى والحياة الهندية فى الريف والحضر فى كل أرجاء الهند على اختلافها ·

ان معظم الكتاب الهنود المهمين فى المائة سنة الأخيرة ممثلون هنا · ويتراوح اختلاف البيئة القصصية فى هذه المجموعة بين حياة الفلاح ـ التى لا زال لها أصداء من أقصى مراحل ماضى الهند السحيق ـ الى الأوساط المتعددة الأجناس التى ابتدعت لنفسها حياة مترفة بعيدة عن البساطة فى الأماكن التى يعيش فيها بعض أفراد الطبقة البورجوازية الحديدة فى الهند وهى طبقة غريبة عن الشعب · كما أن الخطوط الأساسية لهذه القصص تختلف اختلافا واسعا ويرجع ذلك جزئيا الى المنطقة التى نشأ فيها كاتب القصة ·

وكذلك نجد أن التباين الكبير فى تناول المواضيع الأساسية فى هذه

القصص يلفت الأنظار اذ أن بعض الكتاب يطرى الفضائل التقليدية والبعض الآخر يركز على الموقف الصعب الذى يواجهه الانسان حين يجد نفسه مواطنا فى بلد قديم يحاول أن يكيف نفسه للتوافق مع حضارة القرن العشرين ·

وليتذكر القارىء العربى أن الكتاب الغربيين محاصرون عادة بمشاكل الوفرة بينما يواجه الهنود والكتاب الهنود مشاكل الفقر ·

وفى كلا المكانين - الهند والغرب - هناك دور يتسم بالتحدى والصعوبة ، لابد للكاتب الخلاق أن يلعبه ، ولكن طبيعة هذا الدور تختلف فى أحد المكانين عن الآخر ·

ولقد كتب « جيمس ت· فاريل » أنشأ الأمريكيون أدبا واقعيا فى وقت كانت الجمهورية فيه ثابتة الأركان وموطدة الدعائم لدرجة أن النقد والتعريض حتى فى روايات سادية لا رحمة فيها لم يكن ليؤثر فى أساس الأمة » · وذلك يختلف عما يجرى فى البلاد الجديدة فى آسيا · ان تلك البلاد تناضل لكى تكون أمما · فما هى حدود النقد التى يجب أن يلتزم بها الكتاب الهنود ؟ هل يستطيعون الكتابة بالواقعية التى لا تهاب والرغبة فى الحق كما كان يفعل اميل زولا ؟ أو بعض كتاب القرن العشرين الأمريكيين ؟ ان فعلوا ذلك ألا يكون هذا اضعافا لأوطانهم ·

ان هذه القصص قد تقدم الاجابة على بعض أسئلة مستر فاريل المنطقية وهى مختلفة فى الأسلوب والشعور العاطفى والعقلانى بالقيم والوعى الاجتماعى ومختلفة كذلك فى الخلق الفنى والاحساس بالدفء الروحى ، ولكن عمق انسانيتها يمنحها وحدة فى الروح تتفرد بها الهند ·

ان تسعة من تلك القصص كتبت أصلا باللغة الانجليزية وهى قصص « مولك راج أناند » و « ر· ك· ناريان » و « راجاراو » و « كواشينت سينج » و « سانتاراما راو » والباقى كانت أصلا باللغة « البنجالية » « طاغور وسارات تشاندرا » ولغة « تاميل » و « س· راجا جو بالاتشارى » واللغة الهندستانية « بريم تشاند » · و « اللغة الأردية » « كريشان تشاندر » ولغة « مالايالام » « ت· س· بيلاى » ولغة « ماراثى » « بيهاف » ولغة « تيلوجى » « بادماراجو » ·

وعند أخذ هذه القصص ككل فانها تشكل مثلا رائعا للتراث الهندى وتثبت أن الكاتب الهندى سواء كانت لغته هى الهندستانية أو البنغالية أو لغة تاميل أو مالايالام أو الانجليزية فانه يكتب فى نطاق هذه التقاليد وغالبا ما يكون ذلك دون وعى منه ·

وفى الهند كما فى جهات أخرى فى آسيا كانت القصة القصيرة ظاهرة أدبية حديثة المنشأ ، فقد نشأت فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر

وتطورها الى شكلها الحالى يعزى بشكل كبير الى تأثير الفكر والآراء الغربية ٠ ومثل حضارة الهند نفسها فان الأدب الهندى يعكس تنوعا في الأجناس والثقافات والأديان ، ورغم ذلك فان فى أعماق ذلك التنوع يعيش تناسق متحد يحتفظ بطابعه المميز الفريد ٠

وانه لمن المهم أن نتذكر أن الأدب الهندى هو حصاد لغات عديدة ٠ وأى مقارنة مثمرة بالأدب الغربى لا يمكن أن تتم الا اذا أخذنا أوربا ككل بوصفها خليطا متنوعا من الأجناس والمجتمعات تشارك ــ بدرجات متفـاوتة ــ تقاليد حضارة هندية آرية مشتركة ٠

ان دستور الهند يعترف رسميا بأربع عشرة لغة قومية هى عشر لغات هندية آرية هى السانسكريتية وذريتها التسع ألا وهى « الاساميز » والبنجالية وكاجورانى والهندستانية والكشميرية والماراثيه والاوريا والبونجابية والأردية والمشتقات الأربع كنادا ومالايالام وتاميل وتيلوج ٠

ومكانة اللغة الانجليزية واضحة جلية ٠ فلكل الأغراض العملية هى اللغة المشتركة للطبقة المثقفة فى كافة أنحاء الهند ٠

وفى المكان التالى للغة الأم يشعر المتعلمون فى الهند (ويبلغ عددهم ربع مجمل السكان) بالراحة التامة فى استخدام الانجليزية ويفضلونها عن أى لغة أخرى هندية كانت أو أجنبية ٠

وليس من الضرورى بالطبع أن تقاس الأهمية الأدبية أو العقلانية لأى لغة بعدد الأفراد الذين يستخدمونها ، ولكننا لا يجب أن نسقط من اعتبارنا أهمية الكم فى هذا المجال ٠

وهكذا فان اللغة الهندية («هندى» بالانجليزية) ربما أمكن اعتبارها اللغة الأولى فى الهند حيث انها تستخدم فى كل شـمال الهنـد ويتحدث بها حوالى ١٨٠ مليون نسمة تقريبا ٠

ان التعبير « هندى » هو تعبير فضفاض يقصد به مجموعة من اللهجات الهندو آرية التى استطاعت أن تكون لنفسها على مدى خمسة قرون أشكالا أدبية واضحة قاصرة عليها ٠ ويقف خلف اللغة الهندية الآن تراث ضخم ومتنوع يضم فيما يضم اللهجات التالية « براج بهاشا » « بهوج بورى ــ ماجاد هى وما يثيلى » ٠

ولقد كتب القديس الشاعر الشهير « كبير » (١٤٤٠ ــ ١٥١٨) بلغة بهوج بورى وان كان قد استخدم كلمات فارسية عربية أثرت فى اللغة الهندية تأثيرا كبيرا وزادت من حيويتها ٠

ولقد اعترف الدستور الهندى بمكانة اللغة الهندية المتميزة حين منحها (بلا تحيز ضد الثلاث عشرة لغة الأخرى) حق كونها اللغه الرسمية للاتحاد الهندى .

وبالرغم من أن ما هو معروف « باللغة الهندية » يسانده ذلك التراث المتنوع الا أن شكلها الأدبى المعاصر هو شكل حديث نسبيا ، لم تتضح معالمه قبل العقد الأول من القرن التاسع عشر . ولم يبدأ ذلك الا بظهور الكاتب « بريم تشاند » فى أفق الأدب الهندى فى السنوات المبكرة للقرن العشرين حيث جذبت القصة القصيرة والرواية باللغة « الهندية » أنظار القراء والمثقفين الهنود واستولت على خيالهم .

أما اللغة الأردية فهى نسيج وحدها ، وهى تعتبر فى التصنيف اللغوى « هندو آرية » ولدت فى الهند وترعرعت كالهندية فى سهل « الجانجيز الهندى » وبعد أن ارتبطت ارتباطا وثيقا باللغة الفارسية – التى كانت اللغة الرسمية للحاشية الملكية فى الهند لمائتين وخمسين عاما بعد الغزو المغولى – استطاعت أن تطور نفسها الى لغة مستقلة ذات شخصية ذاتية لا تشاركها فيها لغة أخرى . واليوم وهى اللغة الرئيسية لحوالى خمسين مليون نسمة فى شمال الهند وهى كذلك اللغة الرسمية للجزء الغربى من باكستان .

وقد كتب اثنان من الأدباء الهنود الذين ذكروا فى هذه المختارات الأدبية بعضا من أحسن أعمالهما باللغة الآردية ألا وهما « بريم تشاند » و « كريشان تشاندار » وان كان الأخير قد تحول فى سنيه الأخيرة للغة الهندية .

وجدير بالذكر أن عددا ضخما من الأفراد الذين يعرفون احدى هاتين اللغتين يكون عادة ملما الماما جيدا باللغة الأخرى . والمنطقة الوسيطة التى تتقابل فيها اللغتان أطلق عليها اسم « متكلمى اللغة الهندستانية » .

وكانت اللغة الهندستانية هى اللغة التى أحبها غاندى وتمنى أن تكون فى يوم من الأيام اللغة المشتركة للمجتمع الهندى ككل ، رغم أن لغته الأم كانت ال « **جوجوراتى** » .

ولقد استخدم جواهر لال نهرو اللغة الهندستانية فى كل خطبه التى لا تعد ولا تحصى فى طول البلاد وعرضها .

ولقد أعطيت النسبة العددية لأعداد الأشخاص الذين يتكلمون لغات أخرى فى احصائية عام ١٩٦١ وهى كما يلى :

أساميز ٦ر٨ مليون – بنجالى ٣٨ مليون – جوجيراتى ١٨ر١ مليون ، كنادا ١٧ر٩ مليون – كاشميرى ١ر٩ مليون – بونجاب ٧ر٩ مليون – مالايالام ١٧ مليون – تاميل ٣ مليون – تيلوجى ٣٣ مليون – وماراتى ٣٠ مليون .

وللوصول الى فهم صحيح لهذا النموذج المعقد لهذه السمات المتباينة يجب أن لا يغيب عن البال أن تعدد اللغات هو من الصفات المميزة للأدب الهندى ٠

ولعلها قلة قليلة من الغربيين ، هم الذين حاولوا أن يفهموا كنه النشاط الأدبى الذى استطاع أن يحول اللغات الهندية الى وسائل ذات كفاية رحيوية لتوصـيل الأفكار والابداع الفنى ، والتى أوصلت بعض الانجازات فى هذين المجالين ، الى درجه الاعتراف بها كجزء من روائع الأدب العالمى الحديث ٠ ان سر هذه القدرة فى لغات الهند رغم تنوعها يكمن فى أنه تحت ذلك التنوع كانت هناك وحدة استمدت قوتها من تصور الهند كأمة وفى تطابق هذه اللغـات مع ثقافة وحضارة سانسكريتية مشتركة ٠

والأدب الهندى التقليدى سواء أكان بلغة هندو آرية أو باحدى اللغـات الوطنية الأخرى كان أساسا أدب عبادات وأديان من جهة وفلسفيا ميثولوجيا من جهة أخرى ٠

وكانت هناك استثناءات هامة وأبرزها مسرحيات « كاليداسا » والقصص الشعبى والحكايات مثل « بانشر تانترا » ٠ ولكن لأكثر من ألف عام كان الأدب خاضعا للحماس الدينى وكان يعتمد على الرواية لا الكتابة فى انتشاره ٠

ولقد استمد الأدب الهندى معظم مادته من التراث الأدبى للملاحم وخاصة ملحمتى « رامايانا » و « ماها بهاراتا » وكان معظمها ينتقل من جيل الى جيل عن طريق الفم ٠

وحتى الكتاب المسلمين الذين كانوا يكتبون بالفارسية أو بالأردية تأثروا بأدب العبادة كما يبدو ذلك واضحا فى أعمال « كبير » ٠

وأحد المميزات الرئيسية للأدب الهندى التقليدى كانت نغمته التعليمية المهذبة وقد نالت القيم الأخلاقية فيه اهتماما بالغا ٠ كذلك أوصى الأدب الهندى بالتقشف والتنسك وانكار الذات والتبتل والتضحية ٠ وكذلك المعـاناة وقد نالت كلها الاحترام ٠

ولا زالت هذه السمة الفريدة ظاهرة فى الأدب الهندى الى اليوم ٠ وخير دليل على ذلك هو « س٠ راجاجو بالاتشارى » ذلك الكاتب الذى أعاد كتابة « ماها بهاراتا » و « رامايانا » بلغة شعبية سهلة وذاع انتشارها بين الجماهير ٠

ولم يصبح الأدب الهندى عالميا حقيقة الا بعد النصف الأول من القرن التاسع عشر عندما انتشر تداول الآراء والأفكار الانجليزية ٠

والى حد ما فان السمة المركبة للأدب الهندى كانت دائما موجودة وكانت بين الحين والحين تتلقى دما جديدا من الخارج ٠

وحتى فى أيام ازدهار اللغة « السانسكريتية » التقليدية المبكرة من عام ١٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ٥٠٠ ق٠م) وهى تشبه فى تطورها اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى ، كانت هذه اللغة لغة المثقفين التى على أساساتها استقرت وحدة الهند لمدة ألف عام ٠

وقد عاصرها جنبا الى جنب تواجد من الأدب المغاير فى لغات أخرى مثل « بالى وتاميل » ٠

وكما قال السيد « كريشنا كريبالانى » الذى أرخ لطاغور « ان الأدب الهندى يعتبر من أقدم أنواع الأدب وأحدثهما فى نفس الوقت ٠ وكان أقدمها فى «ريج فيدا» عام ١٥٠٠ ق٠م وهو بحق أبكر صرح للكلام « الهندى أوربى » وقد كتب جواهر لال نهرو « ان ريج فيدا ــ عام ١٥٠٠ ق٠م أو كتب « الفيدا » ربما يكون أول كتاب تملكه الانســانية ٠ ولكن لعل قبله دهورا من الوجود الحضارى والفكرى تم خلالهما نمو الحضارة فى سهل الهندوس بين النهرين وكذلك حضارات أخرى » ٠

ولهذا ــ فانه احقاقا للحق ــ أن يتواجد الاهداء التالى فى ال « ريج فيدا » وهو « الى المتنبئين بالمستقبل ، الى أسلافنا أول من خطوا على الدرب » ٠

وخلال تاريخ يمتد عبر ثلاثة آلاف عام كان للأدب الهندى لحظات ارتفع فيها الى القمة وأخرى هبط فيها الى القاع ٠ وكانت هناك فترات أعطى فيهــا العقل الهندى المبدع الخلاق أعمالا على درجة عظيمة من الجمال والسمو مثــل مسرحيات « كاليداسا » وكتابات « شانكرا » الفلسفية وأشعار « كبير » وتوليدا وناناك (١٤٦٩ ــ ١٥٣٣) . وعلى الناحية الأخرى كانت هناك فترات ــ وعلى سبيل المثال نهاية القرن الثامن عشر ــ عندما اتحدت الظروف السياسية مع السبات العقلانى وجعلت من المستحيل أن تزدهر الفنون الابداعية أو حتى لتقدير أو تذوق الأدب ٠ وفى تلك الفترة وصلت اللغة الانجليزية الى المشهد الهندى ٠

وعلى الأقل فانه ابتداء من العصر المسيحى كان للأدب الهندى وسيلتان كبريان للتوصيل « السانسكريتية مع ما يتفرع منها من اللغات الهند آرية العديدة » واللغة « الدرافيديانية » لجنوب الهند وهى لغة غير آرية وعلى أية حال فان ذروة اللغات الهندو آرية الحديث كانت فى القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر فى اجتذابهما للأعداد الكبيرة من متذوقى الأدب ٠

وكان لها منبع مزدوج للالهــام ، الأول هو فى البعث الجديد للاهتمــام بالتراث السانسكريتى وخاصة فيما تضمنته الملاحم العظيمة ، والثانى هو موجة المد القوية لعقيدة « الفيشنافزم » وهى قسم من الديانة الهندوسية يتلخص فى مذهب دينى واسع الانتشار لعبادة اله شخصى يتطابق مع «راما» بطل «رامايانا» ومع « كريشنا » بطل « مهاباهاراتا » و « باهجوات بيورانا » ٠

وبينما كانت الأعمال الأدبية المبكرة باللغة « الهندو آرية » فى شمال الهند أعمالا كلها نثرية فى معظمها ، كانت الأعمال الأدبية للغات المشتقة أو لغات جنوب الهند كان بها بعض الشعر ٠

وكانت السمات الطبيعية لكلا المجموعتين هى الأعمال الكلاسيكية والتراجم والصور المأخوذة من الملاحم ٠

وأشهر هذه الأعمال قاطبة هى مؤلف « تولسيدا » المسمى « رام تشاريتر ماناس » فى القرن الخامس عشر و « رامايانا » بقلم « كامبان » فى القرن التاسع اللتان ظهرتا فى عدة لغات شعبية مختلفة ٠

وبجانب تطوير الملاحم الى هذه الصورة الجديدة كان هناك عطاء جزيل من الأهازيج التعبدية والابتهالات والأشعار كتبها الشعراء « القديسون » الذين ازدهروا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر مثل « سانكاراديف » باللغة « الانسامية » و « نشانديداس » باللغة « البنجالية » و « فيدا باباتى » باللغة « المايتيلية » و « نارسيمامهتا » باللغة « الجوجيراتية » و « ميراراى » باللغة « الراجاستانية » وأعمال « كبير » فى خليط من اللغات « بهوج بورى » ، والأردية وسورداس بلغة « بايج باهاشا » و « وايكانات » باللغة الماراثية وجوروناناك باللغة البنجالية ٠

وقد أشاعت أعمال هؤلاء الرجال الدفء فى مجرى دماء الأدب الهندى عبر القرون ٠

وكان لوصول الدين الاسلامى للهند تأثير ضخم على الأدب الهندى ، فالى جانب أن تطور اللغة الأردية وكذلك أدبها قد نبع من ظهور الاسلام فان لغات هندية أخرى عديدة قد أثرت من أعمال الكتاب المسلمين أنفسهم ٠ فمن خلالهم انتقلت اليها تقاليد من الأدب العربى والأدب الفارسى ٠ وحين اتخذ الكتاب المسلمون الهند وطنا لهم فانهم قد تطلعوا الى الأفكار الأساسية « التيمات » الهندية الخالصة كمصدر للوحى والالهام ، ومثال ذلك القصة البطولية ملكة راج بوت « بادمينى » « تشيتور » التى أوحت للكاتب « مالك محمد جاياسى » قصة « بادمانات » وهى قصة رمزية باللغة « الاواظية » كتبت فى القرن السادس عشر ٠ وقد يضاف الى ذلك التأثير العام للفكر الاسلامى خاصة فى التقاليد الصوفية التى لا تلتزم بها الأغلبية ٠

ويبدو هذا التأثير واضحا بالأخص فى اللغتين « الكشميرية والبنجابية » وقد عرفت الهند فترات مظلمة كثيرة فى تاريخها الطويل ولكن النصف الثانى من القرن الثامن عشر كان حالك القتامة بوجه خاص ، فى مجالى السياسة والثقافة ٠

وبموت « أورانجزيب » آخر المغول العظام عام ١٧٠٧ قاست الهند من الفوضى الادارية وعدم الاستقرار السياسى والتبلد العقلى والتدهور الثقافى عامة وأصيب الادب الهندى بالفقر والانكماش على نفسه ٠

ولم يتغير حال الادب الهنـــدى الا قرب نهـاية القرن الثامن عشر عندما سيطر الانجليز على شرق الهند ٠ وهكذا وصل الانجليز الى الهند فى وقت بدا فيه أن أبواب الأمل فى وجود ينعم بالتقدم والتنوير قد أغلقت الى الأبد ٠

وكانت الصورة العامة للأدب الهندى عشية وصـول الانجليز مزيجا من الارتباك والتعقيد وكان المصدران الأساسيان للأدب الهندى هما التقاليد الأدبية والدينية باللغات الجنوبية وباللغة الهنـدو آرية كمـا وضعت فى النصـوص « السانسكريتية » وتعاليم بوذا والفلكلور الشعبى العظيم الانتشار ٠

وسواء أكان الكتاب آريين أو هندوسا أو بوذيين أو درافيديين من أهـل الجنوب أو مسلمين فقد كان الدافع الدينى فى الشعر والنثر هو السائد دائما ٠

وكان الأدب الدينى فى غير مجالات الشعر الغنائى أو الفلسفة أو الجدل ، أو الفقه يتكون أساسا من نصوص للطقوس تستخدم فى الحياة اليومية أو المناسبات الخاصة مثل الزواج ، الميلاد ، الوفيات ، الحج ، النذور وما شابه ٠

وقد وضع مستر «ماكولى» الانجليزى أساس السياسة التعليمية لحكومة الانجليز فى الهند ولم يكن يكن الا الاحتقار للثقافة الآسيوية والأدب الآسيوى وقد قال مرة بازدراء بين اله مستعد للتضحية بكل آداب الشرق مقابل رف واحد من الكتب الانجليزية وكان يعتقد « أن هدف السياسة الانجليزية هو وجوب نشر الآداب والعلوم الأوربية بين الأهالى » ٠ وانه لمن الممتع على أية حال أن نلاحظ أن الطلب على التعليم الغربى جاء منذ اللحظة الأولى من المثقفين الهنود أنفسهم ٠ وفى عام ١٨٨٣ كتب « راجا رام اموهان روى » وهو واحد من أعظم الشخصيات الأدبية فى أوائل القرن التاسع عشر ، كتب الى لورد « امهرست » الحاكم العام فى الهند يحتج على اقامة كلية « سانسكريتية » حكومية فى كلكتا ٠ وطلب أن يتوافر للهنود تعليم وتثقيف غربى من النوع الليبرالى المستنير ٠

وهكذا فانه فى السنين الاولى من الاحتلال الانجليزى كان تعلم اللغـة الانجليزية اختياريا واقبل الشباب فى البنغال بحماس بالغ عليه وبعد ذلك أقبل عليه مثقفو الهند فى شبه القارة كلها ٠

وكان الموقف السياسى فى البلاد هو أننا وان كنا نشهر بالانجليز فى كل ميدان من ميادين الحياة والفكر الا أننا كنا نتعلم لغتهم بجدية وحماسة ٠

ولا يمكن تصغير شأن الخدمات التى قدمها الانجليز للهند وبالأخص فى مجالات العلوم السياسية والطب والهندسة ٠ فمن الناحية السياسية فقد طورت

وقوت شعورنا بالوحدة الوطنية بشكل فعال ومؤثر كما لم يحدث فى تاريخ الهند من قبل . ولو أن اللغة الانجليزية ظلت لغة الطبقات المثقفة الا أنها أيقظت « الانتلجنسيا (المثقفين) » بهزة عنيفة من ركودهم الذهنى وارتباطهم بالماضى وجلبت الأدب الثورى الأوربى والأمريكى وقد أثرت هذه الأعمال تأثيرا عميقا فى الحركة الوطنية فى الهند ، وبالاضافة الى ذلك فانها قدمت التعليم الفنى والأبحاث وتمكن آلاف من الهنود من تعلم وسائل تقنية جديدة ومعلومات فى هذه الحقول وربطت اللغة الانجليزية بين المفكرين والقادة السياسيين لشبه القارة الهندية كلها وأدى هذا الى وضع الأساس للوحدة الادارية والسياسية .

وانه لمن صدق القول أن الأدب الهندى الحديث يدين بالكثير جدا للغة الانجليزية وانه ليكون انكارا للجميل أن نحاول التقليل من شأن هذا الأثر . ويتميز تطور الأدب الهندى الحديث ببعض الخصائص التى يشارك فيها الأدب العالمى الحديث فى أجزاء أخرى من العالم وببعض الخصائص الأخرى التى تتعلق بالظروف الخاصة بالهند . ومن تلك الأخيرة الأسلوب الذهنى ذو الشقين للكاتب نفسـه .

ولا زالت لعبـة الجـذب والدفع يستعر أوارها بين التقليدية والتقدمية والتصادم بين الأرثوذكسية وغير الأرثوذكسية ليس قاصرا فقط على الهند ولكن الصراع بينهما هنا كان يتميز بالعنف الشديد . ان الفكر الغربى متمثلا فى حكومة وثقافة غريبة وتركيز على الديمقراطية والحرية نشط رد فعل وطنى قومى وكان رد الفعل هذا بدوره حافزا للبحث عن الجذور .

ومن بداية القـرن العشرين ازدادت صبغة الأدب الهنـــدى بالتطلعـات السياسية التى عبر عنها بحرارة وحماسة فى أغانى وأشعار طاغور وفى شعر تاميل المسمى « بهاراتى » والشاعر البنغالى « كازى نصر الاسلام » والكاتب الأردى « اقبال » وكتابات « تيلاك » و « غاندى » و « أوربيدو » هى كذلك ترسم صورة للحيرة التى لا يزال يواجهها مثقفو الهند اليوم .

ولعل أحسن مثال لذلك الانفصـام هو جواهر لال نهرو نفسه وحسب كلماته فقد كان « خليطا فريدا من الغرب والشرق » .

ومهما كان المنبع الثقافى للكاتب الهندى ــ وخاصة اذا كان يكتب باللغة الانجليزية ــ فى لندن أو نيويورك فان جذوره الروحية يجب أن تكون فى الهند . ان انجذابه نحو الثورة الأمريكية أو الثورة الفرنسية أو الأفكار الانجليزية عن الديمقراطية البرلمانية والعدالة ، وكذلك الثورة الروسية عام ١٩١٧ انجذاب لا يناقش وهذا يؤثر على نظرته العقلية وانتاجه الأدبى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس الوقت فان للهند القديمة سحرا لا يذوب ولا يستطيع الكاتب أن ينأى عن تعاليم «باجافات» ولا عن النفاذ الروحى للبصيرة «للأوبانيشادر» ·

ومن الناحية السياسية تعتبر الهنـــد من الدول الحديثة لكنها فى غايه القدم من الناحية الحضارية · ان مشكلة الكاتب الهندى الحديث هى أن يكون هنديا فى المقام الأول وأن يكون عصريا فى نفس الوقت · لقد تأثر الأدب الهندى ولا زال يتأثر الى الآن بالكتاب الغربيين ·

وبالاضافة الى تولستوى وجوركى وفيكتور هوجو ورومان رولاند وديكنز وثاكرى ، فان باسترناك وسارتر وهاردى وحتى كبلنج وت· س· اليـــوت وهيمنجـــواى موجودون كذلك وبالمقابل فان تأثير التفكير والأدب الهنـــدى على الأدباء الغربيين والأمريكيين لم يكن بالشىء التافه ·

ولقـــد بدأ عمل أول بحث علمى عن الأدب الهندى حوالى عــــام ١٧٦٠ وقد بدأه « وارين هاستنجز » أول حاكم عـــام للبنغال وكان يعرف اللغـــة السانكريتية واللغة الايرانية · وفى مقدمة لترجمة تشارلز ويلكنز لل « جيتا » كتب « أن أعمالا كهذه ستحيا عندما تكون السيطرة الانجليزية على الهنـــد قد زالت منذ أمد بعيد وعندما تكون المنابع التى وهبت كل الثراء والقوة قد آلت الى النسيان » ·

ولقد ترجم وليم جونز « ساكونتالا » بقلم « كاليداسا » عـــام ١٧٨٩ وظهرت له ترجمة ألمانية عـــام ١٨٢٣ · كان استقبال جوته الحماسى معروفا للجميع · ولقد تأثر « شوبنهاور » تأثرا ضخما بتعاليم « أوبانيشاد » البوذية وكذلك تأثرت الفلسفة الألمانية « ترانسند تالزم » (*) عموما بالفكر الهندى ·

وفى انجلترا كتب « ادوين أرنولد » « أضواء آسيا » والتى نالت استحسانا كبيرا · وكذلك فى أمريكا حيث أبدى كل من ثورو وايمرسون ومارك تواين وولت ويتمان اهتماما بالفكر الهندى · وقد كتب « ثورو » « أن مياه نهر والدن » الصافية امتزجت مع مياه الجانجيز المقدسة » ·

ولقد استوحى مستر ى· م· فورستر عنوان روايته الشهيرة « ممر الى الهند » من قطعة شعرية كتبها « ويتمان » ·

ومن بين الكتاب الغربيين الشهيرين الذين تأثروا كثيرا بالفكر الهنـــدى « و· ب· ييتس » و « رومان رولاند » و « هيرمان هيسى » و « سومرست موم » و « ت· س· اليوت » و « راديارد كبلنج » و « الدس هكسلى » · وان تأثير كتابات « كبلنج » على نظرة جيله الى الهند لا يمكن أن يغالى فيها » ·

(×) البحث فيما وراء الطبيعة وما يتجاوز حدود فكر الانسان وتجاربه

المراجع ·

ولقد نظر العالم الغربى الى الهند من خلال عيون كبلنج لمدة تقرب من ربع قرن على الأقل · وذلك على الرغم من أن معرفته بالهند لم تكن وثيقة وكانت قاصرة على قطاع صغير من النظام الانجليزى ـ الهندى الحاكم · وعدا كتبه عن الأدغال فقد كتب عن الموظفين الرسميين وضباط الجيش وحياتهم فى محطاتهم العسكرية ·

وكان كبلنج رجعيا فى الأمور السياسية وقد استنكر الهنود تطرفه الاستعمارى ، أما انه روائى فذ فذلك لا ينكره أحد · ولكن شخصياته الهندية التى رسمها كانت مسطحة بوجه عام ، ولم يكن الا بعد ظهور كتاب « اى· ام· فورستر » وهو « ممهر الى الهند » أن قدم الى قراء الروايات من الغربيين نموذجا متكاملا للهنود يمكنهم التعاطف معه ·

وكان لثلاثة رجال التأثير الأعظم على الفكر والأدب الهندى وهم « المهاتما غاندى » (١٨٦٠ ـ ١٩٤٨) و «كارل ماركس» (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) و «سيجموند فرويد» (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩) والحقيقة أن أحدا من هؤلاء لم يكن كاتبا أديبا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ·

قدم ماركس وفرويد الروح العلمية وحسب كلمات « كريشنا كريبالاتى » فانهما أعطيا هزة عنيفة ، كانت الحاجة تدعو اليها لذلك الرضا الفائق ـ غير الصحى وغير المبرر عن النفس ، بكل ما ورثته عن الأجيال السابقة من نزوع الى التقوى العاطفية ، وتمجيد الماضى » ·

وقد أطلق كلاهما الحركة العنيفة للاندفاع العقلانى والسياسى من عقالها مما هز المفكرين الهنود ورجال القلم الى أسسهم التى يؤمنون بها فى أنظمة الحكم والدين · ولقد تأثر كل من « مولك راج أناند » و « راجاراو » و « بريم تشاند » و « كريشان تشاندر » و « ت· س· بيلاى » و « سانتا راماراو » و « كوشوانت سينج » بالمفكرين العصريين الثلاثة ـ كل بدرجة قد تزيد أو تنقص ·

وتعرضت الحياة الهندية لأفكار جديدة تتعلق بالتغير السلوكى ، لم يعد فى الامكان تجاهلها · وقد كان لماركس وفرويد تأثير ضخم على التفكير الغربى الحديث ولم يكن هناك مناص الا أن يشعر الهنود بذلك التأثير أيضا · ولكن صورة المهاتما غاندى وشخصيته وازنا فى كفتى الميزان بين النفوذ الغربى والأفكار القديمة الى حد ما ·

وكان مرشدو غاندى الغربيون هم ثورو وتولستوى وراسكين · وكان أيضا قد تأثر كثيرا بكتاب « كارليل » « عن الأبطال وتمجيد الأبطال » و « البطولة فى التاريخ » · وكانت التوراة و « جيتا » أقرب الكتب الى قلبه بالطبع · وكان

هناك كتاب آخر أثر عليه أيضا ـ ولأسباب ليست مفهومة تماما ألا وهو كتاب « محمد وخلفاؤه » بقلم « واشنطن ارفنج » ٠

وبعد أن قضى واحدا وعشرين عاما في جنوب أفريقيا عاد للهند عام ١٩١٤ وقدم منشطا أخلاقيا لمسيرة الأدب الذى كان قد بدأ تحـوله من العاطفية الى الواقعية ٠ وكان اصرار غاندى على سياسة عدم العنف وعلى بساط وطهارة الفرد قد لمس وترا متجاوبا فى المثالية المتوارثة للفكر الهندى وهكذا أصبح اسهاما غير مباشر فى الايحاء بكتابة الأدب الخلاق ٠ وكان أسلوبه البسيط والمباشر الخالى من العبارات الطنانة عاملا صحيا فى الحد من الميل الطبيعى الى الاسراف فى زخرف القول فى أسلوب كثير من الكتاب الهنود وقد ترك غاندى بصماته واضحة على الأدب الهندستانى والكوجوراتى بوجه خاص ٠

وعلى سبيل المثـال كان بريم تشـاند ـ والذى كان متأثرا بتولستوى وجوركى ـ قد وقع تحت تأثير سحر المهاتما غاندى ٠ وكان بريم تشاند قد استقال من وظيفة حكومية متواضعة ليكرس نفسه للكتابة عن حيـاة الفلاح الهندى ، الذى ركز غاندى الكثير من وقته وحياته للارتقاء به وقد عاش بريم تشاند فى قرية زراعية مثلما عاش غاندى ٠

وقد هاجم فى كتاباته نظام الطائفية ومعاملة المجتمع الهندى للأرامل وزواج الأطفال (وكان هو نفسه قد تزوج أرملة رغم المعارضة الضخمة فى ذلك الوقت) وكان يعرف الحياة الريفية بدقائقها وتعطى كتبه تفصيلا صادقا ومحركا للمشاعر لمآزق الفلاح الهندى ـ كرجل خاضع لحكومة أجنبية من ناحية ـ وتحت رحمة مقرض النقود من ناحية أخرى ٠

ولم يكن لبريم تشاند رؤية طاغور النفاذة أو حساسيته ، ولما غامر بالكتابة بعيدا عن حياة الفلاحين فى ميادين وأوضاع أخـرى فقد جنح الى الاغراق فى العاطفة ولم يحس القراء ولم تأت شخصياته بنبرة الصدق فى تصويره لها ٠ وكانت أولى روايات راجاراو « كانتابورا » مستوحاة أيضا من تعاليم غاندى فى الالتزام بعدم العنف ٠ وقد كتب ر٠ ك٠ ناريان عـام ١٩٥٦ رواية اسمها « انتظار المهاتما » ٠ وكذلك فان أول قصة للكاتب مولك راج أناند « المنبوذون » تحمل بصمات غاندى التى لا يمكن أن يخطئها أحد ٠

انتشر نفوذ ماركس فى أوائل الثلاثينات وليس فقط بين سياسيى الهند بل وكذلك بين الكتاب الهنود ولقد قدم كل من « مولك راج أناند » و « كريشان تشاندار » قضية الصراع الطبقى فى الأدب الهندى لأول مرة ٠

ولقد كان شعور « كريشان تشاندار » أنه ككاتب للقصة القصيرة كانت لديه مهمة هى أن يظهر الرأسماليين والطبقة الحاكمة فى كل قسوتهم ووحشيتهم ٠

وحتى يومنا هذا فان هذا التأثير لا زال موجودا فى القصص الهندى الى حد ما · ولكنه لم يعد بنفس قوته التى كان عليها منذ جيل مضى وكانت الحرب العالمية الثانية هى السبب فى تلك التطورات السياسية فى الهند كما فى العالم أجمع ·

انه لمن الصعب أن نحدد على وجه الدقة مدى تأثير فرويد على الكتاب الهنود · ان من الواضح أن هذا التأثير موجود ، ولقد حرر لحد ما الأدب الهندى من الخزعبلات غير العلمية · وبعد مجىء الاسلام فان الكبت الجنسى فى الاسلام قد أصاب الأدب الهندى بالشلل · ومن قبل ربما كان موقف الهنود من الجنس صحيا بدرجة أكبر كما صور فى الأدب الكلاسيكى فى « كاماسوترا » بقلم « فاتسيان » فى القرن التالت الميلادى ، وكذلك فى مسرحيات « كاليداس » · ولقد نوقش الجنس بصراحة وطريقة طبيعية · وعلى كل فان الاسلام بالاشتراك مع أخلاقيات العصر الفكتورى ومع تعاليم البراهمة الضيقة الأفق والتى دعمها وأمدها بالقوة زهد المهاتما غاندى — كل هذا أغلق الأبواب فى الجزء الأول من القرن العشرين على موضوع الجنس فى الأدب الهندى الا اذا استثنينا ما كتبه غاندى فى سيرته الذاتية — « قصة تجاربى مع الصدق » عن الجنس ·

وتسبب فرويد فى اتاحة الفرصة لجيل أصغر من الكتاب والعقلانيين أن يكتب عن الجنس بحرية أكثر ، ولهذا فانه عندما كتب « كوشوانت سينج » و « بادماراجو » قصتيهما عن العاطفة المشبوبة والحب فى الخمسينات وهما « اغتصاب » و « فى القارب » فان أحدا لم يدهش ·

كان لجواهر لال نهرو مكانة متميزة فى عالم الأدب · وقد قيل عن حالته ان ما اكتسبته السياسة بانتمائه اليها ، كان خسارة للأدب · وعلى الأقل فان كتابين من كتبه وهما « سيرتى الذاتية » و « اكتشاف الهند » سيظلان جزءا من آداب اللغة الانجليزية على الدوام وقد كتب نهرو بأناقة وحساسية وكان على مدى فترة من الزمان رئيسا لجمعية القلم فى الهند وكان يستمتع حينئذ بمقابلة الكتاب الهنود والتحدث معهم ولقد أعطاهم كل ما فى وسعه من تشجيع ·

كان رابيندرانات طاغور ، وهو من البنغال (١٨٦١ — ١٩٤١) أول كاتب هندى عصرى أعطى للقصة الهندية القصيرة مميزاتها الواضحة وكان مسئولا الى حد كبير أيضا عن جعل الهنود يعيدون اكتشاف الهند فنيا · ولقد استطاع أن يمتص الروح الغربية وأن يطبعها لتدخل الأدب الهندى كجزء منه ·

وكان طاغور كاتبا ثنائى اللغة ، له النظرة الثاقبة التى جعلته يرى أنه لابد للأدب الهندى أن يساير تطورات العصر الحديث اذا أراد أن يظل أدبا حيا قويا ، ولقد أمكنه أن يجدد دماء اللغة البنغالية باضافة المرونة والحيوية اليها ،

كما كان السبب فى جذب الاهتمام العالمى بالأدب البنغالى خاصة وبالأدب الهندى عامة ·

وكان طاغور ضليعا فى الأدب الغـربى وكان يعجب بانسانية الكتـاب الانجليز المتحررة وكذلك بشعرائهم · وقد قرأ بالأخص أدب جوته وشيلى وكيتس و و· هـ· هدسون وروبرت براونج ، وكان صديقا ومعجبا بـ و· ب· ييتس · انه لم ينبذ الماضى وكذلك لم يفتتن بالحاضر · ولقد استمد الكثير من كلاسيات الهند والتقاليد الشعبية فى وطنـه ومن « أوبانيشادا » ومن تعاليم بوذا ومن « كاليداسا » كما انه استخدم وتبنى وامتص الأشكال الأوربيـة ، وأساليب معالجتها للتفاصيل الفنية (التكنيك) وطبقها بنجاح كبير ·

ان أهمية طاغور الرئيسية تتركز فى الدفعة والاتجاه اللذين أضفاهما على مسيرة تطوير ثقافة الهند وأخلاقياتها ، وفى المثل الذى قدمه كعبقرى وهب نفسه بكل ما فيهـا من طاقة الحب لفنه وبنفس هـذا التفانى أيضا لخـدمة قومه وللانسانية عامة ·

ولقد أعطى الشعب الهندى الثقة والايمان بلغتهم وبتراثهم الثقافى والفكرى وذلك رغما عما كان للغة الانجليزية من القيمة والنفوذ ·· ان النهضة المعاصرة للغات الهندية لتدين له بالكثير ·

كان لطاغور شخصية متعددة الجوانب فكان شاعرا ووطنيا وكاتبا مسرحيا وفيلسوفا ورساما ومؤلف موسيقى ومعلما وعالمى النظرة وروائيا وكان تأثيره فائقا وشاملا على جيلين على الأقل من الأدباء الهنود ولقد تأثرت به الرواية ··· والقصة القصيرة والدراما والمقال والملخصات والنقد الأدبى وعلى الأخص فى لغات شمال الهند المختلفة ·

ومما لا شك فيه أنه كان أهم قوة حيوية فى الأدب الهندى الحديث الا أن الهامه المباشر قد خبا خلال السنوات الأخيرة ·

وقد أقيم احياء لذكرى طاغور مؤخرا فى الهند وخارجها بمناسبة مرور مائة عام على مولده وكان ذلك فى عام ١٩٦١ ــ ولكننا لا نعدو الصدق اذا قلنا ان الناس تعجب بطاغور فى هذه الأيام أكثر مما تقبل على قراءة أعماله ·

وفى الكتابة عن موضع الأدب الهندى كما رآه فى عام ١٩٤٥ سجل اى· م· فورستر الملاحظات التالية فى مجموعة مقالاته المسماة « تحيتان للديمقراطية » عن انتاج الكتب « ان الانتاج نشيط للغاية رغم ضآلة أجور المؤلفين · القصة القصيرة مرغوبة ومنتشرة وقد قرأت بعض القصص الممتازة عن البنغال · الشعر غالبا ما يعكس صدى ت· س· اليوت وأودين · الأعمال الدرامية لا تأخذ مكان

الصدارة • والنقد ضعيف • وللهنود قدرة ملحوظة على العبادة أو توجيه الاتهام ، ولكنهم يفتقرون الى الوعى النقدى كما يفهم النقد فى الغرب •

وقد تغير الموقف للأحسن فى العقــدين الماضيين ولكن ملاحظــات مستر فورستر لا زالت صادقة جزئيا حتى اليوم • ان الطبيعة المعقدة للأدب الهندى طبعا تضاعف من مصاعب الكاتب الهندى ولا زالت اللغة الانجليزية تستعمل كلغة اتصال وكأداة مناسبة لتسهيل وضع الانسان فى المجتمع • ان الانجليزية هى اللغة التى يتخاطب بها رئيس الجمهورية الدكتور راذا كريشنان مع رئيسة وزراء الهند السيدة أنديرا غاندى • ولهؤلاء الذين يكتبون باللغات الهندية فان حواجز اللغة تخلق العقبات الرئيسية وهذه مشكلة ليست مجهولة فى أى مكان آخــر !! •

وعلى سبيل المثال ، كم مؤلف نرويجى أو رومانى يأمل أن تترجم أعماله الى لغات أعم استعمالا ؟ واذا لم تترجم أعمال هؤلاء المؤلفين الأوربيين فان شهرتهم ودخولهم ستظل محلية ومحدودة للغاية • أما فى الهند فانه ان لم تترجم أعمال المؤلف الهندى الى عديد من اللغات الأربعة عشر،فانه لن يقرأها الا عدد بسيط من مواطنيه •

ولابد أيضا أن نواجه الحقيقة وهى أن العالم لن يتعلم اللغة الهندستانية أو لغــة تاميل وأن قدراتنا على استخدام اللغــة الانجليزيه كأداة فنية وخلاقة للاتصال يجب أن نكون موضع ترحيب بدلا من الحط من قدرها لأسباب سياسية تتسم بضيق الأفق وفى مثل هذا المجال فان بعضا من الكتاب الأفريقيين واجهوا تلك المشكلة بصراحة ليست دائمة الوجود فى الهند •

ويقول مستر « أتشيبه » المؤلف النيجيرى عن اللغة الانجليزية « لقــد تلقيت تلك اللغة وانى أنوى استخدامها » •

ولما سئل مستر ليوبولد سنجور « لماذا تختارون الكتابة باللغة الفرنسية أيها الأفارقة ؟ » أجاب « نحن لم نخترها ••• لقد اختارتنا هى » •

ان المناقشة الأساسية التى غالبا ما يقدمها نقاد استخدام الكتاب الهنود فى أعمالهم هى « أن هذه اللغة لا صلة لها بخصائص الهند أو روحها » •

وللاجابة على هذا النقد الذى يكاد يتسم بالسطحية ، نقول ان ذلك ينطبق أيضا على الديمقراطية البرلمانية ، والخطط الخمسية للتنمية ، وحماية حقوق الانسان وهذه كلها جزء رئيسى ومسلم به فى نظام الحكم فى دولة الهند اليوم •

ولعل أوضح مثال لنوايا الكاتب الهندى هى التى عبر عنها « راجارلو » عندما كتب فى عام ١٩٣٨ « على الفرد أن ينقل بلغة غير لغته الروح التى هى

ماكه . وعلى الفرد أن ينقل مختلف الأحاسيس والظلال لفكرة معينة أو حركة يبدو أنها عوملت بقسوة . نحن لا نستطيع الكتابة مثل الانجليز ، ولا يجب أن نغفل ذلك ، ولا يجب أن نكتب بصفتنا هنودا فحسب ، لقد نمونا ونحن ننظر الى العالم الفسيح كأنه جزء منا . يجب أن تكون وسيلتنا للتعبير ، يجب أن تكون لهجة مميزة وغنية بالألوان كاللغة الايرلندية أو الأمريكية والزمن وحده هو الذى سيبرز ذلك » .

ولقد كتب الروائى الأمريكى روبين هوايت والذى أمضى سنين عدة فى الهند فى مقال غنى بالفكر فى مجلة « ريبورتر » فى ١٤ فبراير ١٩٦٣ يقول « مهما بدت مهمة الكاتب الهندى بلا أمل الا أن التحدى قد لاقى بعض النجاح ولعل السبب الرئيسى فى ذلك أن الكتاب أنفسهم يجنحون الى تحقيق نفس القدر من التنوع الذى تتميز به أمتهم » .

وانه لمن المعروف أنه بينمـا قام الأدب الانجليزى والأدب الغـربى بدور العامل المساعد فان الايحاء الأساسى ، وبالأخص فى اللغات الدارجة لا زال يجئ من « الملاحم » و « السانسكريتية » . وانه لمن صادق القول أنه لا يوجد فرع فى نشـاط الأدب الانجليزى لم يحظ فيه الكتاب الهنود بالتقدير وبالأخص طاغور ، وراد كريشنان ، ونهرو ، وسيرى أوروبيندوا ، ونيرادتشودهرى . و « السيرة الذاتية لهندى مجهول » و « مولك راج أناند » و « ر. ك. ناريان » و « راجاراو » ، « ب. راجان » « الراقص الأسود » و « زمن أطول من اللازم فى الغرب » ، «ج.ف. ديسانى» « كل شئ عن مستر هاتر » و «سانتاراماراو» و «كمالا ماركانديا » .

ولم نذكر الا القليل من ذوى السمعة العالمية والجمهور . ولكن الكتاب الأقل شهرة يسعون باصرار الى السيطرة التـامة على لغة أجنبيـة وينغمسون فيما يسميه « كريبالانى » أناقة فى الأسلوب تفتقر الى الثقة بالنفس والتأكيد الذى لا مبرر له على الالتزام بالبساطة والطهارة فى مدلول الألفاظ ، والميل الى الافراط فى الكتابة » .

ان السيولة والتكثيف ليسا كافيين ، حيث ان الدقة والوضوح لا يقلان أهمية . ويواجه الكتاب الهنود ظاهرة شاذة فى أنه رغم كون الأدب الهندى وحده الا أن كتاب وقراء احدى اللغات ، لا يكادون يعرفون شيئا عما يكتب بلغة مجاورة وانه لمن الضرورى ايجـاد أو ابتكار وسـائل وطرق أخرى يتمكن بها الكتاب والأدباء الهنود من أن يتقابلوا عبر حواجز اللغات المكتوبة أو المسموعة وتمكن قراءهم من تقدير التنوع الهائل فى تراث بلدهم الأدبى حق قدره والاستمتاع به .

ان مصاعب الكتاب الهنود اليوم ترتبط ارتباطا وثيقا بحالتهم الاقتصادية . ان الكاتب الهندى يجب عليه أن يعمل أكثر من زميله الغربى أو اليابانى ليظل حيا . والنشر ليس تجارة رابحة حتى الآن فى الهند ، ففى عام ١٩٦١ نشر

٢١ ألف عنوان فقط وصغر هذا الرقم بالنسبة لعدد السكان البالغ ٤٩٠ مليون هو شيء يبعث على الضيق . ويخص الأدب من هذه الكتب ٤٠ فى المائة فقط ، وأربعة ونصف فى المائة للعلوم وأقل من واحد فى المائة للتكنولوجيا والتطبيق العلمى . وخص العلوم الاجتماعية والتاريخ ثلاثون فى المائة . وكان نصيب الجغرافيا والتاريخ والدين خمسة عشر فى المائة .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أيضا أنه من تلك الواحد والعشرين ألف كتاب كان تسعة آلاف وثلاثمائة وواحد باللغة الانجليزية ، و ٢٨٠٥ باللغة الهندية ، و ٢٠٤٣ باللغة البنغالية . وفى كل المدن الكبيرة مثل بومباى وكلكتا ودلهى ومدراس ومعظم الجامعات (وعددها أكثر من خمسين) توجد مكتبات مناسبة .

وعلى أية حال فانه لمن المحزن القول بأن شراء الكتب وبيعها فى حياة الهندى متوسط التعليم ليس لها نفس المكانة التى تحظى بها عند مثيله فى الولايات المتحدة وروسيا وانجلترا واليابان وايطاليا والسبب الوحيد لذلك هو أن أى كتاب يزيد ثمنه على خمس روبيات (دولار تقريبا) يصبح بعيدا عن متناول تسعين فى المائة من السكان .

وهكذا فان الكتابة فى الهند ليست بعد مصدرا للثراء فيما عدا استثناءات قليلة ويجب أن يكون هؤلاء المنجذبون نحو الكتابة من بيوت مستقلة ماديا ، كطاغور ، وكوشوانت سنج ، وسانتا راماراو ، وفى مرتبة أقل قليلا يأتى راجاراو ، ت. س. بيلاى ، ر. ك. ناريان ، وهؤلاء اما كان لديهم موارد خاصة أو كانت أسرهم المتضامنة تساهم فى اعاشتهم طبقا لمنهجهم الخاص الى أن يبدأ بيع كتبهم .

وغالبية الكتاب الهنود يجب عليهم الكفاح حتى يحصلوا على الكفاف . ومثال فذ لذلك هو الكاتب بريم تشاند الذى مات فقيرا ففى عام ١٩٢٠ كان أجره عن القصة القصيرة روبيات خمس وكان هذا أجرا نمطيا لتلك الأيام .

وحتى اليوم فان حقوق الملكية للكتاب الهنود تعتبر كفافا بالمقارنة بهؤلاء الذين يكتبون فى أماكن أخرى من العالم ، وأن مائة روبية (حوالى ٢١ دولار) تعتبر ثمنا سخيا لقصة قصيرة أو مقال فى مجلة . ان « الكتاب الاكثر رواجا Best Seller لا زال غير معروف بالهند حتى الآن ، ولا كذلك النقابات المهنية أو نوادى الكتاب التى تساند المبيعات .

وتبذل الجهود الآن لتصحيح هذا الوضع . وفى هذا المجال فان خطوة عظيمة قد تمت عام ١٩٥٤ عندما افتتحت جامعة « ساهيتيا » وكان أول رئيس لها هو جواهر لال نهرو بنفسه وكان ثانى رئيس لها هو الذى يشغل الآن

منصب نائب رئيس الهند (س · رادا كريشنان) وفى خطابه الافتتاحى حدد الدكتور رادا كريشنان أهداف الاكاديمية كالتالى « ان جملة أكاديمية ساهيتيا تجمع كلمتين . الأولى ساهيتيا من اللغة السانكسريتية ، والثانية أكاديمية وهى كلمة أغريقية . وهذا الاسم يوحى بنظرتنا وبتطلعاتنا العالمية · و « ساهيتيا » معناها تأليف أدبى ، وكلمة « أكاديمى » تعنى جمعا من الرجال يهتمون بالموضوع وهكذا فان أكاديمية ساهيتيا ستكون تجمعا لكل هؤلاء المهتمين بالأدب الخلاق والأدب النقدى ·

وغرض هذه الأكاديمية هو « أن تمنح تقديرها الى الرجال الذين لهم أعمال عظيمة فى الأدب ، وأن تشجع أولئك الذين يبشرون بالوصول الى مكانة كبيرة فى عالم الأدب وأن ترتقى بالذوق العام وتهذبه وأن ترفع من مستويات الكتابة الادبية والنقد الأدبى ·

ان مستقبل أى أدب هو بالطبع فى أيدى كتاب الأدب والأدب الهندى ليس استثناءا لهذه القاعدة على الرغم من الصعوبات التى يلاقيها كتابه » ·

ان المشكلة الابتكارية الرئيسية التى يواجهها كاتب القصص الهندى تكمن فى أنه يجب عليه أن يكمل اتقان استخدام شكل الرواية · ان الرواية الهندية سواء أكانت باللغة الهندستانية أو المارانية أو الانجليزية غالبا ما تكون جامدة « استاتيكية » وانها رواية أنماط أكثر منها رواية أفراد · ولقد عبر ب· راجان عن ذلك جيدا عندما كتب فى « اللستريند ويكلى أوف انديا » فى ٢٦ مارس ١٩٦٣ « ان كلا من روايات السلوك أو روايات صراع الشرق والغرب تنحو الى الاهتمام بمناطق محددة نسبيا ولا نهتم بها الى عمق له أهميته ·

ان الرواية عن الحياة الهنديه مهاجمة فى هنديتها ويطغى اللون المحلى ويكاد يمحو كل المصادر التقليدية للقصص والقدرة على استخدامها ·

ان رواية الفكر لا تتميز دائما بالقوة العقلانية ورواية « المعانى » كذلك لم يتم الاحاطة بها فحسب ، بل انهـا تكاد تختنق بجوها الفلسفى ان هـذه الاعترافات يجب الادلاء بها ، ولكن الصدق يوجب علينا أنه يجب الادلاء بها عن الأدب الهندى فى لغات غير الانجليزية ·

ان طاغور ، وبريم تشـاند ، وراجاراو ، و ر· ك· ناريان لديهم حاسة الشكل ولكن عديدا من الآخرين لايبدو أنهم يمتلكون مقومات البناء المعمـارى الأدبى التى يجب أن تتوافر للكتاب الجادين فى الغرب وفى اليابان · وهناك نقص مماثل فى الأدب النقدى والأدب الوصفى والدراما الهندية أيضا كما وصفها فورستر من عشرين سنة مضت لا زالت ضعيفة ومحلية وليست عضوية وحية ·

وخلاصة القول انه من الأمان أن نقول ان الأعمال الأدبية الهندية العظيمة ذات الطول الكافى ـ عدا الأعمال الكلاسية والكتب المقدسة لم تكتب بعد .

ولكن ما خسره الهندى فى الرواية قد كسبه فى القصة القصيرة حيث عالج بنجاح الالتحام بين تبادل المواقف والشخصية (أنظر كالوبانجى بقام كريشان تشاندر) . ولا أرى سببا فى عدم استطاعة الكاتب الهندى ـ لو أعطى الوقت ـ أن يصل الى نفس النتائج فى معالجة الرواية .

ويجب ألا ننسى أن أمريكا كان عليها أن تنتظر مائة عام تقريبا بعد استقلالها لوصول ملفيل ومارك توين .

يفيض الأدب الهندى هذه الأيام بالحيوية والأمل فى مستقبل سعيد ولقد روت حقل الادب الهندى مياه أنهار كثيرة ، منها الهندية ومنها الأجنبية . وهى تستمد مادتها وقوتها من الأعمال الأدبية مثل « الفيداس » و « البيروانا » و « الملاحم » بانشان تانترا وقصص « جاكاتا » بانابهاراتا ومن سانكرا اشاريا وكبير وناناك وتولسيدلس ومن كامبان وأمير كوسروا ومن بهاراتى وبانكيم تشاندر تشاترجى ومن طاغور وسارات تشاندرا وقد تلقت تركة غنية من الادب الغربى عامة والأدب الانجليزى خاصة ومهما كان مصير اللغة الانجليزية فى الهند فستبقى هذه التركة مصدر ثراء للادب الهندى الحديث .

ان حيرة الكاتب الهندى ستستمر فى ازعاجه ولقد كتب ب . راجان عام ١٩٦٥ « ان السؤال المطلوب الرد عليه هو هل ستتمكن التقاليد الهندية بقدرتها على الاستيعاب وقوتها الفريدة على التركيب والبناء أن تتعايش مع الجديد (والجديد لا مفر منه) ؟ بدون أن تسرى عوامل التآكل فى خصائصها الأساسية ؟

ولتكوين صورة لهذا التحدى قد يكون هناك دور لرجل ذى حساسية مختلطة ، يجد نفسه محاصرا بين النيران من كلا الجانبين ، ويكون عقله عالما مصغرا لما يريد أن يوصله الى الناس .

ان هذا تحد نبيل . والزمن وحده هو الذى يستطيع أن ينبأنا عن مدى قدرة الأدب الهندى على مواجهته بالكامل . ولكن المحرر يؤمن بأن هذا الكتاب يقدم دليلا قويا على أنه قادر على ذلك .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابيندرانات طاغور

ولد في ٥ مايو ١٨٦١ وتوفي في ٧ أغسطس ١٩٤١ أهديت اليه جائزة نوبل للأدب سنة ١٩١٣ • وطاغور هو أشهر شخصية في الأدب والحياة الثقافية في الهند الحديثة • كان شاعرا ووطنيا وروائيا وكاتب مسرحيـات وكاتب قصص قصـيرة ومؤلفا موسيقيا وفيلسوفا ومعلمـا ورسـاما ولعب دورا رئيسـيا في نهضة الأدب والثقافة الهندية •

ولقد ولد وترعرع في أسرة فنانة ميسورة الحال • وكان أبوه وجده من رجال العلم وقادة الفكر البارزين في البنغال وكان اخوته وأخواته جميعا ذوى موهبة وذكاء • وكان طاغور كاتبا وافر الانتاج فقد كتب قصيدته الأولى قبل بلوغه العقد الثاني من عمره وكتب روايته الأولى قبل بلوغه التاسعة عشرة • ولا زال أشهر عمل أدبي له هو مجلد الشعر المسمى « جيتان جالى » •

ولقد قال « ييتس » عن هذا الكتاب « لقد حملت مخطوطات هذه الترجمة معى لأيام عديدة وكنت أقرؤها في قطارات السـكة الحديدية وعلى أسطح الأتوبيسات وفي المطاعم وكثيرا ما كنت أطويها حتى لا يرى أى غريب مدى تأثرى بها •

وقصـة « كابولى والله » ، والأحجـار الجائعة كتبتـا باللغة البنغالية عام ١٩٨٠ •



كابولى والله

كابولى والله

لا تستطيع ابنتى الصغيرة البالغة من العمر سنوات خمس أن تعيش بدون ثرثرة ٠ وانى لعلى يقين أنها لم تضع دقيقة واحدة من حياتها فى الصمت ٠ وكانت والدتها كثيرا ما تغضب لهذا وتوقف ثرثرتها ولكنى لم أكن أفعل ذلك ٠ وكان شيئا غير طبيعى أن أرى مينى صامتة ولم أكن أتحمل صمتها طويلا ولهـذا كان حديثى معها دائما نابضا بالحياة ٠

وذات صباح ــ على سبيل المثال ــ كنت غارقا فى منتصف الفصل السابع عشر لقصتى الجديدة عندما تسللت مينى الصغيرة الى الغرفة وقالت وهى تضع يدها فى يدى :

ــ أبى ٠٠ ان « رام دايال » يسمى الغراب (Crow) (Krow) غرايا (*) انه لا يفقه شيئا ٠٠ أليس كذلك ؟

وقبل أن أتمكن من أن أشرح لها اختلاف اللغات فى هذا العالم نقلت كل اهتمامها الى موضوع آخر ٠٠ فقالت :

ــ ما رأيك يا أبى ٠٠ ان باهولا يقول ان هناك فيلا فى السحاب يقذف الماء من خرطومه ولهذا تمطر السماء ٠

وفجأة مرقت بسرعة الى موضوع آخر بينما كنت أعد اجابة لهذا السؤال الأخير وقالت :

(*) تقول مينى أن البواب يسمى Crow (الغراب) Krow وهى كلمة لا وجود لها فى الانجليزية ــ وربما كانت تقصد أنه كان يخطىء فى نطقها ــ بدلا من أن ينطقها « كرو » ينطقها « كراو »

ـ أبى .. ما قرابة أمى اليك ؟

فهمهمت لنفسى بطريقة لا شعورية « انها أخت زوجتى » .. ولكننى بتعبير جاد على وجهى استطعت أن أقول لها :

ـ مينى اذهبى والعبى مع « باهولا » فاننى مشغول .

كانت نافذة غرفتى تطل على الطريق وكانت الطفلة قد جلست عند أقدامى بالقرب من المنضدة تلعب فى هدوء وهى تنقر على ركبتيها . وكنت منهمكا فى كتابة الفصل السابع عشر حيث كان « بروتاب سنج .. البطل » قد احتوى كانشاتلاتا « البطلة » لتوه بين ذراعيه وكان على وشك الهروب معها من نافذة فى الطابق الثالث من القلعة حينما تركت مينى لعبها فجأة وهرعت الى النافذة وهى تصيح « كابولى والله .. كابولى والله ! » (*) .

وفعلا كان كابولى والله يسير فى الطريق وهو يسعى ببطء مرتديا ملابس طائفته الواسعة الفضفاضة المتربة ذات العمامة الطويلة ويحمل جوالا على ظهره . وبعض صناديق العنب فى يده .

ولا أستطيع التكهن بمشاعر ابنتى عند رؤيتها لهذا الرجل ولكنها بدأت تناديه بصوت عال وقلت لنفسى :

« هه .. انه سيدخل الدار ولن ينتهى الفصل السابع عشر » ..

وفى هذه اللحظة بالذات استدار الرجل ورفع نظره للطفلة وحينما وقع [illegible] اختفت . كان لديها ايمان راسخ أن ذلك الجوال الذى يحمله الرجل يحوى طف[illegible] أو ثلاثة آخرين مثلها .

وفى هذه الأثناء اجتاز البائع المتجول عتبة البا[illegible] وحيانى بوجه باسم وكان موقف بطلى وبطلتى حرجا لدرجة أن أول ما خطر [illegible] الى هو أن أتوقف وأبتاع شيئا حيث كان الرجل قد نودى عليه فعلا .

واشتريت بضعة أشياء وابتدأ حديث حول عبد[illegible]لرحمن والروس والانجليز [illegible]اسة [illegible]الحدود .

[illegible]أوشك على الانصراف سأل :

[illegible]الفتاة الصغيرة يا سيدى ؟

(*) Cabuli Wallah. اسم علم [illegible] دى ويطلق على طائفة رجال من [illegible]ون كابلين متجولين وهم [illegible] الأجسام خشنو الطباع والمظهر [illegible]غلب عليهم صفة الغدر .

ولما كان قد تراءى لى أن مينى يجب أن تتخلص من خوفها الزائف فقد أرسلت فى استدعائها ..

ووقفت بجوار مقعدى ونظرت الى الرجل وجواله .

وقدم لها بعضا من جوز الهند والعنب ولكن ذلك لم يغرها وازداد اقترابها منى وقد زادت شكوكها .

وكان هذا لقاءهما الأول ..

وذات صباح بعد أيام معدودة بينما كنت أغادر المنزل أذهلنى أن أجد مينى تجلس على مقعد خشبى قرب الباب وهى تضحك .. وتتحدث مع كابولى والله الضخم وهو رابض تحت قدميها . وبدا لى أن مينى لم تجد مستمعا صبورا طوال حياتها كهذا الا أباها .. وكان جانب من السارى الذى ترتديه قد امتلأ باللوز والزبيب وهدايا ضيفها وسألته :

ـ لماذا أعطيتها هذا ؟ مقدما اليه قطعة نقود فئة ثمانى أنات ، وقبل الرجل النقود بدون أى اعتراض ودسها فى جيبه .

وللأسف فاننى حين عدت بعد ساعة وجدت أن قطعة النقود السيئة الحظ قد سببت ضعف قيمتها من المتاعب حيث ان كابولى والله كان قد أعطاها لمينى وما كاد بصر والدتها يقع على تلك القطعة اللامعة المستديرة حتى انقضت عليها سائلة اياها :

ـ من أين لك هذه الثمان أنات ؟

وأجابت مينى بمرح :

ـ لقد أعطانيها كابولى والله .

وأجابت والدتها وهى مأخوذة :

ـ أعطاك اياها كابولى والله !! أوه مينى كيف يمكنك أن تأخذيها منه ؟

وبدخولى فى هذه اللحظة أنقذت مينى من كارثة كانت ستحدق بها ، وبدأت فى عمل تحرياتى الخاصة ووجدت أن هذه المقابلة لم تكن الأولى أو الثانية فان كابولى والله كان قد تغلب على فزع الطفلة الأول برشوة مناسبة من جوز الهند واللوز وأن الاثنين أصبحا صديقين حميمين .

كان لديهما الكثير من الدعابات الطريفة التى جلبت لهما الكثير من التسلية والمتعة . وكانت تجلس أمامه وتنظر الى هيكله الضخم بكل وقارها الصغير وقد ترقرق وجهها بالضحك وتبادره قائلة :

ـ أوه كابولى والله كابولى والله ماذا لديك فى جوالك ؟

وكان يجيب فى لهجة الجبليين الخنفاء « فيل » وربما لا يكون فى هذه الكلمة مدعاة كبرى للسرور ولكن لم يكن هناك حد لنمنعها بهذه الطرافة ومن ناحيتى فان حديث ابنتى مع رجل كبير السن كان به دائما سىء غريب من الفتنة والسحر ٠

وحتى لا يعتبر الرجل نفسه مدحورا أو متخلفا فى هذه المباراة فانه كان يأخذ دوره ويسأل « حسنا أيتها الصغيرة ، وأنت متى ستذهبين لمنزل حماك ؟ » ٠

وكانت معظم عذارى البنغال الصغيرات قد سمعن منذ مدة طويلة عن منزل الحم ٠

ولكن لما كنا نميل بعض الشيء الى اتباع المنهج الحديث فى التربية فاننا لم نكن قد أطلعنا مينى بعد على مثل هذه الأشياء ولابد أنها كانت تستشعر بعض الحيرة عند القاء هذا السؤال عليها ولكنها لم تكن تظهر هذه الحيرة وبلباقة حاضرة كانت تجيب :

ـ وأنت هل ستذهب هناك ؟

وبين الرجال من طبقة كابولى والله على كل حال فان من المعلوم جيدا أن عبارة « منزل الحم » لها معنى مزدوج فهى تعبير ملطف عن السجن ذلك المكان الذى تلقى فيه العناية الكاملة بدون أى تكاليف من ناحيتنا وكان ذلك البائع المتجول القوى يأخذ معنى سؤال ابنتى بهذا المضمون وكان حينئذ يهدد بقبضته رجل شرطة غير منظور قائلا « اننى سأدق عنق حمى » ٠

وبسماعها هذا وتصورها لذلك القريب المدحور فان مينى كان يستخفها الطرب وتقهقه عاليا ويشاركها رفيقها الرائع فى طربها ٠

وكانت هذه الأحداث تجرى فى وقت الصباح من أيام الخريف ٠٠ نفس الوقت من السنة الذى كان يخرج فيه الملوك القدامى لغزواتهم ـ وكنت أنا ـ ولو أننى لم أغادر ركنى الصغير فى كلكتا أبدا ـ أطلق العنان لخيالى للطواف حول العالم وعند ذكر أى دولة أخرى كان قلبى يطير اليها ، وعند رؤية أجنبى فى الطريق ، كنت سرعان ما أنسج شبكة من الأحلام أصور فيها جبال وسهول وغابات وطنه البعيدة وكوخه الذى بين ربوعها ـ والحياة الحرة المستقلة فى البرارى البعيدة ٠

ولعل مشاهد الترحال تفتن لبى وتستعيد مرورها فى مخيلتى بشكل أقوى لأننى أحيا حياة نباتية ساكنة ، حتى ليقع على أى نداء ، للرحيل وقوع الصاعقة ٠٠

وكان وجود هذا الكابولى والله يجعلنى فى الحال أجد نفسى عند سفح قمم الجبال الجدباء ومضايقها التى تنثنى يمينا ويسارا خلال ارتفاعاتها الشاهقة وأستطيع أن أرى خيط الجمال المتصل وهى تحمل البضائع يصحبها مجموعة من التجار المعممين وهم يحملون بعض أسلحتهم النارية الغريبة وبعضا من حرابهم فى رحلتهم هبوطا الى الوديان وأستطيع أن أرى ... ولكن عند هذه النقطة فان والدة مينى كانت تتدخل وهى تضرع الى : « خذ حذرك من هذا الرجل » .

ولسوء الحظ فان والدة مينى كانت سيدة مخلوعة القلب الى حد كبير ، فكلما سمعت ضوضاء فى الطريق أو رأت أناسا قادمين فانها كانت تقفز الى الاعتقاد أنهم اما لصوص أو مخمورون أو ثعابين أو نمور أو ملاريا أو صراصير أو محاريث أو بحار انجليزى . وحتى بعد كل هذه السنين من الخبرة والتجارب فانها كانت لا تستطيع التغلب على فزعها ولذا كانت تملؤها الشكوك من ناحية كابولى والله وكانت تكرر رجاءها أن أكون على حذر منه ولا أدعه يغيب عن نظرى .

وحاولت ابعاد مخاوفها برقة ولكنها كانت حينئذ تتحول الى بجدية وتسألنى أسئلة رزينة وخطيرة :

« ألم يخطفوا أطفالا من قبل ؟ » ..

« أليس اذن حقيقة أنه كان هناك رقيق فى كابول ؟ » ..

« وهل من المستحيل أن يستطيع رجل ضخم كهذا حمل طفلة ضئيلة كهذه ؟ » ..

وكنت أجادلها شارحا أنه وان لم يكن ذلك مستحيلا الا أنه بعيد الاحتمال جدا .

ولكن هذا لم يكن كافيا فان مخاوفها لم تغادرها ولكن بما أن هذه المخاوف لم تكن واضحة المعالم فانه لم يبد لى من الصواب أن نمنع الرجل من دخول المنزل وعلى هذا فقد استمرت الصداقة الحميمة دون قيود .

وكان من عادة « راحمون » فهذا كان اسم كابولى والله » أن يعود لوطنه مرة فى السنة وذلك فى أواسط شهر يناير وكلما اقترب الموعد زادت مشغوليته بالانتقال من منزل الى آخر ليجمع ديونه . وهذه السنة كان يجد دائما الوقت ليرى مينى .

وكان يخيل لأى غريب أن هناك نوعا من التآمر بين الاثنين فانه ان لم يستطع الحضور فى الصباح فانه كان يظهر فى المساء .

وحتى بالنسبة لى أنا فان الموضوع بدا محيرا فى بعض الأحيان حين كنت أفاجىء على حين غفلة ، فى ركن غرفة مظلمة ، ذلك الرجل الطويل ، مرتديا ثيابه الفضفاضة ، ومعه الكثير من الأكياس حيث تدخل مينى وهى تبتسم وتصيح « أوه كابولى والله أوه كابولى والله » ويتقابل الصديقان مع الفارق الضخم بينهما فى السن ليعودا فى هدوء الى ضحكهما القديم ومزاحهما فاننى كنت أطمئن بالا ٠

وذات صباح قبل أن يعقد العزم على الرحيل بأيام قليلة كنت أقوم بتصحيح احدى المسودات فى مكتبى وكان الجو باردا ومن خلال النافذة كانت أشعة الشمس تلامس أقدامى وكان ذلك الدفء الضئيل محببا جدا الى وكانت الساعة حوالى الثامنة صباحا والمشاة المبكرون يعودون لمنازلهم وقد غطيت رؤوسهم وفجأة سمعت ضجيجا فى الطريق ونظرت للخارج ورأيت راحمون وهو مغلول اليدين ويقوده رجلان من الشرطة وخلفهم بعض الصبية الفضوليين ٠

وكانت هناك بعض بقع الدم على ملابس كابولى والله وكان أحد رجال الشرطة يحمل مدية فى يده وأسرعت خارجا وأوقفتهم وتساءلت عما حدث وأمكننى أن أستخلص من حديث الرجلين أن أحد الجيران كان مدينا لذاك البائع المتجول بمبلغ من المال نظير شال من رامبورى ولكنه أنكر زورا أنه ابتاعه وفى خلال النقاش اعتدى راحمون عليه ٠

وكان السجين فى ثورة غضبه ينعت عدوه بأقبح الصفات عندما ظهرت مينى فجأة فى شرفة المنزل بندائها المعتاد « أوه كابولى والله أوه كابولى والله » وأضاء وجه راحمون وهو يلتفت اليها ولم يكن يحمل جوالا تحت ابطه هذه المرة ، فانها لم تتمكن من مناقشة موضوع الفيل معه وفى الحال انتقلت الى الموضوع التالى :

« هل أنت ذاهب لمنزل حميك ؟ » ٠

وضحك راحمون وهو يقول :

« نعم انه عين المكان الذى أقصده » ولما رأى أن تلك الاجابة لم تسر الطفلة رفع يديه المغلولتين صائحا :

« آه ٠٠ اننى كنت سأدق عنق ذلك الحم العجوز لكن يداى مغلولتان » ٠

وحكم على راحمون ببضع سنين بتهمة الشروع فى القتل ٠

ومضى الوقت ولم يعد أحد يتذكره ٠ كان قدرنا هو العمل المعتاد فى المكان المعتاد وانشغل الجميع . اما عن فكرة أن ذلك الجبلى الذى كان حرا فى يوم من الأيام وأصبح الآن يقضى سنيه فى السجن ، فهى فكرة لم تخطر ببالنا الا نادرا أو لم تخطر ببالنا على الاطلاق ، وحتى عن ابنتى مينى الخالية البال فيخجلنى أن أقول انها قد نسيت صديقها القديم وملأ حياتها رفقاء جدد ، ولما كبرت فانها

كانت تقضى أغلب أوقاتها مع الصبايا وشغلت بهن تماما واستغرقن كل وقتها الى الحد الذى جعلها لم تعد تطرق باب غرفة والدها كما كانت تفعل من قبل ووصل بنا الحال الى أنه لم يعد يجرى بيننا حديث يذكر ٠

ومرت الأعوام وجاء الخريف ثانية وكنا نعد العدة لزواج مينى وكان مقررا أن يتم فى عطلات عيد « اليوجا » الدينى حين يعود دورجا الى كابلاس (١) كان نور منزلنا ستذهب الى منزل زوجها ونترك منزل والدها فى الظلام ٠

كان الصباح مشرقا وبعد الأمطار فان الجو كان قد اغتسل بمائها وكانت أشعة الشمس تبدو كذهب مصفى وكانت هذه الأشعة متألقة الى حد أنها أضفت بهاءا جميلا على طوب الجدران المتسخة فى أزقة كلكتا ٠

ومنذ فجر اليوم كانت مزامير الزواج ترسل أصواتها ٠ وكان قلبى يرتجف عند كل دقة ايقاع كما كان نحيب النغم يبدو أنه يكشف آلامى نتيجة للفراق الوشيك ٠٠ ان مينى كانت ستتزوج الليلة ٠

وكان الضجيج والحركة الصاخبة يشملان المنزل منذ الصباح الباكر وفى ساحة البيت تم نصب « الكوشة » على أعمدة البامبو وكان يجب أن تدلى الثريات ذات الأصداء الرنانة فى كل غرفة وشرفة ولم تكن هناك نهاية للعجلة والاثارة وكنت جالسا فى غرفة مكتبى أراجع الحسابات عنـــدما دخل شخص وحيانى باحترام ووقف قبالتى ٠ كان راحمون الكابولى والله ولم أتعرف عليه للوهلة الأولى فلم يكن يحمل جواله ولم يكن شعره طويلا ولا كان فى نفس النشاط والقوة التى كانت لديه من قبل ولكنه ابتسم وتعرفت عليه ثانية وسألته :

ــ « متى حضرت يا راحمون ؟ » ٠٠ وأجاب :

ــ « أفرج عنى مساء أمس » ٠٠

وكان وقع الكلمات قاسية على أذنى فاننى لم أكن قد تحدثت من قبل مع انسان جرح أخاه الانسان وانقبض قلبى عندما تذكرت ذلك لأننى شعرت ان ذلك اليوم كان يمكن أن يكون بشيرا أكبر بالخير لولا ظهوره وقلت له :

ــ « سيجرى هنا احتفال وأنا مشغول ٠٠ هل يمكن أن تمر على فى يوم آخـــر » ٠

وفى الحال استدار خارجا ولكنه تردد قبل بلوغه الباب وقال :

ــ « ألا يمكننى أن أرى الصغيرة يا سيدى لبرهة قصيرة ! » ٠

---

(١) عيد وطنى هندى دينى ٠

وكان يعتقد أن مينى قد ظلت كما تركها وتصورها وهى تعدو نحوه هاتفة « أوه كابولى والله أوه كابولى والله ! » .

وتصور انهما يمكنهما أن يضحكا ويتحادثا كسابق العهد .

وفى الحقيقة فانه تذكارا للأيام الخوالى قد أحضر معه بعضا من اللوز والزبيب والعنب وهى مغلفة بعناية بقطعة من الورق ويبدو أنه حصل عليها بطريقة ما من أحد مواطنيه حيث ان رأس ماله كان قد تبدد ونضب . وقلت له ثانية :

ــ « هناك احتفال فى المنزل ولن تتمكن من رؤية أحد اليوم » .

واكتأب وجه الرجل ونظر الى فى حزن لبرهة وخرج قائلا :

ــ « أنعمت صباحا » وشعرت بالأسى قليلا وكنت على وشك أن أنادى عليه بالعودة ولكننى وجدته يعود أدراجه من تلقاء نفسه وتقدم الى مادا يده بهداياه وقال :

ــ « لقد أحضرت هذه الأشياء البسيطة ــ يا سيدى ــ للصغيرة .. هل يمكنك أن تعطيها لها ؟ » .

وأخذت الأشياء منه وكنت على وشك أن أدفع له ولكنه أمسك بيدى قائلا :

ــ « انك عطوف جدا يا سيدى .. ابقنى فى ذاكرتك .. لا تقدم لى نقودا » .

ــ « ان لديك فتاة صغيرة وأنا كذلك لى مثلها فى وطنى واننى أتذكرها وأحضر بعض الفاكهة لابنتك لا لأربح شيئا لنفسى » .

وبقوله هذا فانه دس يده فى ردائه الواسع وأخرج قطعة صغيرة قذرة من الورق وبعناية كبيرة فرد تلك الورقة وبسطها على المنضدة أمامى وكان عليها بصمات يد صغيرة .. ليست صورة فوتغرافية أو رسما بل بصمات يد صغيرة ملطخة بالحبر ومطبوعة على الورق .. وكانت هذه اللمسة البسيطة من يد ابنته دائما بالقرب من قلبه كلما حضر سنة بعد أخرى الى كلكتا لبيع بضاعته فى الطرقات .

وترقرقت عيناى بالدموع ، ونسيت أنه بائع فاكهة متجول فقير بينما كنت أنا .... ولكن بماذا كنت أزيد عنه ؟ لقد كان كذلك والدا .. وذكرنى طابع يد صغيرته « باراباتى » فى موطنها البعيد بمينى الصغيرة وأرسلت فى طلب مينى فى الحال من غرفتها الداخلية وأثيرت مصاعب عديدة ولكنى لم أستمع

ودخلت مينى وهى ترتدى ثوب عرسها الحريرى الأحمر وقد زينت وجهها بوشمة الصندل وتزينت كعروس صغيرة ووقفت خجلى أمامى ٠

وبدا على كابولى والله قليل من الذهول لدى رؤيته لها ولم يستطع أن يحيى صداقتهما القديمة وأخيرا ابتسم وقال :

ـ « أيتها الصغيرة هل ستذهبين لمنزل حميك ؟ » ٠٠

ولكن مينى كانت قد فهمت الآن معنى كلمة « منزل حميك » ولم تستطع اجابته كسابق عهدها واحمرت وجنتاها عند سماعها هذا السؤال ووقفت أمامه وقد أطرقت بوجهها المزين للعرس ٠

وتذكرت اليوم الذى تقابل فيه كابولى والله مع مينى لأول مرة وشعرت بالحزن ٠ ولما رحلت فان راحمون زفر زفرة طويلة وجلس على الأرض وفجأة تذكر أن ابنته لابد وأن تكون قد كبرت خلال تلك الفترة الطويلة وأنه يجب عليه أن يستعيد صداقتها من جديد وقطعا لن يجدها كما كان يعرفها وبالاضافة الى ذلك ماذا يمكن يا ترى أن يكون قد حدث لها فى هذه السنين الثمانية ٠ وارتفعت أصوات أبواق الزواج وانسابت شمس الخريف حولنا ٠ ولكن راحمون جلس فى أحد طرقات كلكتا ورأى أمامه جبال أفغانستان الشاهقة ٠

وأخرجت ورقة مالية ناولته اياها قائلا :

ـ « عد الى ابنتك يا راحمون فى وطنك ولعل سعادة لقائكما تجلب الحظ لابنتى » ٠

وبتقديم هذه الهدية كان على أن أختصر بعض متطلبات الحفل ، فلم أتمكن من اقامة الزينات الكهربائية كما كنت أنوى ولا استحضار الموسيقى العسكرية ٠ وجزعت سيدات المنزل لهذا الاجراء ولكن حفل الزواج بالنسبة لى كان أبهى وأجمل وذلك لفكرتى أنه فى بلاد بعيدة قد التأم شمل والد مفقود منــذ مدة طويلة مع وحيدته مرة أخرى ٠



الأحجار الجائعة

الأحجار الجائعة

كنت عائدا مع قريبى من كلكتا من رحلتنا الى برجا عندما قابلنا الرجل فى القطار • ومن لباسه وهيئته خيل الينا أنه مسلم من الجزء الداخلى للبلاد . ولكن الحيرة تملكتنا عندما سمعناه يتحدث • وقد تحدث الرجل فى جميع المواضيع بثقة تامة ، حتى كدنا نظن أن الاله الذى بيده مقاليد كل الأمور فى هذا الكون . كان يستشيره دائما فى كل ما يفعل •

وحتى ذلك الوقت كنا فى منتهى السعادة ، حيث لم نكن نعلم بذلك السر ولم نعلم أن هناك قوات لم نسمع عنها منهمكة فى عمل ما . وأن الروس قد تقدموا وأصبحوا قريبين منا ، وأن للانجليز سياسات خفية عميقة ، وأن الفوضى بين الزعماء الوطنيين قد بلغت أوجها •

ولكن صديقنا الجديد قال بابتسامة ماكرة :

– « يحدث فى السماوات والأرض يا صديقى هوراشيو أشياء أكثر مما تنشره صحفكم » (١) •

ولما كنا لم نغادر موطننا من قبل فان سلوك ذلك الرجل قد ألجم ألسنتنا بالدهشة •

ومهما كان موضوع الحديث تافها فانه كان يستشهد بالعلم أو يعلق على الكتابات السرية الهندية المقدسة « الفيداس » أو يعيد رباعيات من شعر فارسى قديم •

هذه الجملة اقتباس بتصرف من مسرحية هاملت لشكسبير   المراجع •

ولما كنا لا ندعى علما بالعلوم أو بالكتابات السرية المقدسة أو باللغة الفارسية فان اعجابنا به أخذ يزداد ولما كان قريبى صوفيا لاهوتيا «ثيوسوفست» فانه اقتنع تماما بأن صاحبنا له قوى خارقة وملهم بنوع غريب من المغناطيسية أو لقوى السحر والتنجيم الخفية ، أو بجرم سماوى ، أو ما شابه ذلك . وأخذ يصغى بخشوع ونشوة الى أتفه الأقوال التى كانت تتساقط من بين شفتى صديقنا العجيب . وأخذ يدون بعض ما يقول خفية ويخيل الى أن ذلك الرجل العجيب قد لاحظ ذلك وأنه سعد به · ولما وصلنا الى المحطة التى يجب أن نغير فيها القطار تجمعنا فى غرفة الاستراحة انتظارا للقطار القادم ·

وكانت الساعة حينئذ حوالى العاشرة مساء ولما كان القطار على ما بلغ أسماعنا سيتأخر كثيرا نتيجة لعطل فى الخطوط فاننى بسطت فراشى على المائدة وكنت على وشك الاستلقاء لأنال قسطا من الراحة عندما بدأ ذلك الرجل العجيب متعمدا تلفيق القصة التالية ·

وبالطبع لم أستطع النوم فى تلك الليلة :

« عندما حدث خلاف حول بعض المسائل الادارية فقد تركت وظيفتى فى « جوناجار » والتحقت بالخدمة عند « نظام حيدر أباد » وعينت على الفور لقوتى وشبابى كجامع لضرائب القطن فى « باريش » ·

و « باريش » مكان جميل « وينساب نهر سوستا مثرثرا فوق الأحجار ويسمع خريره على الحصى » وهو يجرى ويتهادى برشاقة كراقصة ماهرة وسط الغابات تحت سفح التلال الموحشة ·

ويصعد درج من مائة وخمسين درجة من النهر وهناك عند حافة النهر وفى آخر الدرج عند سفح التلال يوجد قصر رخامى منعزل ولا يوجد حوله أى مساكن للبشر فان القرية وحلقة بيع القطن تبعدان عنه كثيرا ·

ومنذ حوالى مائتين وخمسين سنة بنى الامبراطور « محمود شاه الثانى » هذا القصر المنعزل لمتعته وترفه · وفى أيامه كان ماء الورد يتفجر من نافوراته وعلى أرضيات غرفه الرخامية المبردة برذاذ الماء كانت تجلس فتيات ايرانيات صغيرات وشعورهن غير مرتبة قبل الاستحمام وهن يداعبن الماء الصافى فى خزانات المياه بأقدامهن العارية الناعمة وينشدن على أنغام الجيتار قصائد الغزل الغنائية الفارسية (١) ·

---

(١) الغزل فى الفارسية هو شعر غنائى يتراوح عدد الأبيات فى قصائده من ٦ الى ٢٦ بيتا

المراجع ·

ولم تعد النافورات الآن تخرج الماء · وتوقفت الأغانى · ولم تعد تلك الأقدام الثلجية البياض تخطو برشاقة على الرخام الثلجى ·

ولم يعد القصر الا مكانا رحبا ومنعزلا لايواء جامعى ضرائب السلع مثلنا — رجال ترهقهم الوحدة ويحرمون من صحبة النساء ·

وكان كريم خان — كاتب حسابات مكتبى الكهل — قد حذرنى مرارا من الاقامة هناك وكان يقول « امض النهار هناك اذا شئت ولكن لا تقض لياليك هناك اطلاقا » وكنت أستمع اليه باستخفاف · وقال الخدم انهم سيعملون حتى حلول الظلام ولكنهم سيتركون المكان قبل حلول الليل ، وقد وافقتهم على ذلك فورا ·

وكان للمنزل سمعة سيئة بلغت الى درجة أن اللصوص كانوا لا يجرؤن على الاقتراب منه بعد حلول الظلام ·

وفى بداية الأمر كانت وحشة القصر المهجور تبرك على صدرى كالكابوس ، وكنت أبقى بالخارج وأعمل بكل جهدى ولأطول فترة ممكنة ثم أعود فى الليل منهكا متعبا لآوى الى فراشى وأستغرق فى النوم ·

وقبل أن يمضى أسبوع بدأ القصر يلفنى فى نوع خفى غريب مخيف من السحر ·

ان من الصعب أن أصف ما كنت أحس به للناس ، أو أقنع أحدا بتصديقه كأنما أصبح البيت كله كائنا عضويا حيا يقوم بهضمى بطريقة غير محسوسة ، مستخدما فى ذلك عصارة معدية مخدرة ·

ولعل هذه العملية كانت قد بدأت بمجرد وضع قدمى على أرضية المنزل ولكننى أذكر تماما ذلك اليوم الذى شعرت بها لأول مرة ·

كان ذلك فى بداية الصيف وكانت السوق خاملة ولم يكن لدى ما أعمله ، وقبل غروب الشمس بقليل كنت جالسا على مقعد مريح قرب حافة الماء عند أسفل الدرج ، وكان نهر سوستا قد انخفض مستواه وعلى الجانب الآخر كانت توجد بقعة عريضة من الرمال توهجت بوهج الغروب وعلى هذا الجانب كان الحصى يلمع فى القاع الضحل · ولم تكن هناك أى نسمة من الهواء · وكان الهواء الساكن محملا برائحة مقبضة للقلب من شجيرات التوابل التى تنمو على التلال القريبة وعندما اختفت الشمس خلف قمم التلال أسدل ستار الظلام الطويل على مشهد النهار واختصرت التلال المتدخلة وقت اختلاط الضوء بالظلام الذى يحدث عند غروب الشمس ·

وفكرت فى القيام بجولة بالعربة وبينما أنا على وشك القيام بهذه الجولة

اذا بى أسمع وقع أقدام على الدرج الخلفى واستدرت ولكن لم يكن هناك أحد ·
وحينما جلست ثانية ظانا بأن ذلك، كان وهما اذا بى أسمع وقع اقدام كثيرة كما
لو كان عدد كبير من الناس يندفعون نحو الدرج · وسرت فى جسدى نشوة
من السعادة مصحوبة بقليل من الخوف على الرغم من أنه لم يظهر أى انسان
أمام عينى فقد ظننت أننى أرى رهطا من الغيد يهبطن الدرج للاستحمام فى نهر
سوستا فى تلك الأمسية من الصيف، ·

ولم يكن هناك صوت فى الوادى أو فى النهر أو فى القصر ليكسر هذا
الصمت · ولكننى سمعت بوضوح ضحكات العذارى البهجة الطروب كخرير
ينبوع يتدفق خلال مئات من مساقط المياه وهن يمرقن من حولى متجهات للنهر
فى تتابع سريع مرح وراء بعضهن البعض ، دون أن يلحظننى على الاطلاق ·

ولما كنت لا أراهن ، فيمكننا القول انهن كن أيضا لا يريننى ·

وكان النهر هادئا للغاية ولكننى شعرت أن مياهه الضحلة الهادئة قد
تحركت فجأة بارتطام أذرع كثيرة محاطة بالأساور ذات الرنين وأن الفتيات كن
يضحكن ويتدافعن ويقذفن بعضهن البعض بالماء وأن أقدامهن الجميلة قد أحالت
الأمواج الضئيلة الى رشاشات من اللؤلؤ ·

وشعرت برعشة فى قلبى ولم أستطع أن أحدد هل كانت الاثارة بسبب
الخوف أو الفرح أو حب الاستطلاع ·

وكانت لدى رغبة قوية أن أراهن بوضوح أكثر ولكن شيئا لم يظهر أمام
بصرى ، وظننت اننى أستطيع أن أسمع كل ما يقلن لو أننى أصغيت السمع
جيدا مجهدا أذنى ولكننى رغم اصاغتى واجهادى لأذنى لم اسمع الا زقزقة بعض
العصافير فى الغابة وبدا لى أن هناك ستارا من مائتين وخمسين عام معلقا أمامى ·
واكتنفتنى رغبة أن أزيح جانبا من هذا الستار وأنا أرتجف وأنظر من خلاله مع
أن كل الكون على الجانب الآخر كان يلفه الظلام ·

وفجأة هبت لفحة من الهواء حررت الهواء الحبيس الذى يقبض الصدر فى
ذلك المساء وتموج وتمايل سطح النهر الهادى، كأنه شعر حورية من حوريات
الماء ومن الغابة الملفوفة برداء الليل صدرت فى نفس اللحظة همهمة للريح كما
لو أن الغابة والنهر كانا يستيقظان من حلم أسود ·

قل انها حقيقة أو حلم فان النظرة الخاطفة لذلك السراب الخفى منعكسا من
دنيا تبعد مائتين وخمسين عاما عن دنيانا اختفت فى لمح البصر وان تلك الأطياف
الغامضة التى مرقت من جانبى بخطواتها الفارغة من الجسد وضحكاتها العالية
التى لا صوت لها وألقين بأنفسهن فى النهر ولم يرجعن ــ كما كان منتظرا ــ وهن

يعصرن ملابسهن المبللة وهن يسرن كالشذى الذى يطير مع الرياح فقد تبددن بهبوب نسمة واحدة من الربيع ٠

ثم ملأنى خوف مفعم بالحيوية أن تكون « موزيه » (١) الهة الفنون الجميلة قد استغلت وحدتى واستولت على روحى — فمن الواضح أن الساحرة جاءت لتقضى على شيطان مسكين مثلى يربح قوته من جمع ضرائب القطن ٠

وقررت أن أتنـاول عشاء مشبعا فمن خـلال المعدة الخاوية تجـد جميع الأمراض المستعصية فريستها السهلة ٠

وأرسلت فى طلب طباخى وأصدرت أوامرى باعداد عشاء فاخر دسم على الطريقة المغولية مليئا بالبهارات والزبد ٠

وفى صباح اليوم التالى بدت كل المسألة كأنها خيال جامح (فانتازيا) غريب ٠ وبقلب مرح ارتديت قبعة بيضاء (سولا) كالأوربيين وقدت عربتى الى مقر عملى وكان المفروض أن أكتب تقرير الربع سنوى ذلك اليوم وأن أعود متأخرا ولكن قبل حلول الظلام وجدت نفسى مشدودا بشكل غريب نحو منزلى ٠ بماذا ؟ لست أدرى !!

وشعرت أن الجميع ينتظروننى وأنه لا يجب على التأخير أكثر من ذلك وتركت تقريرى الغير كامل ونهضـت وارتديت قبعتى وجمل الطريق الموحش الظليل من قرقعة عربتى ووصلت الى القصر الهادىء الواسع الرابض على السفوح الموحشة للتلال ٠

وكانت درجات الطابق الأول تؤدى الى ردهة واسعة يمتد سقفها العريض على أقواس مزركشة ترتكز على ثلاثة صفوف من الأعمدة الضخمة التى كانت تئن ليل نهار تحت وطأة ثقل حدنها الزائدة ٠

وكان النهار قد انتهى لتوه ولم تكن المصابيح قد أضيئت بعد وحينما فتحت الباب خيل الى أن ضوضاء كبيرة تنسـاب من حولى للداخل كأن جمهرة من الأشخاص قد تفرقت فى ارتباك دون نظام واندفعت خلال الأبواب والنوافذ والحجرات والشرفات والردهات لتهرب على عجل ٠

ولما كنت لم أر أحدا فاننى وقفت حائرا مدهوشا وقد وقف شعر رأسى فى نشوة من الفرح ، وتملقت بأنفى آثار ضئيلة من رائحة العطر والمروح التى كاد أن يطمسها مرور الزمن الطويل ٠

---

(١) الموزيه Muse — هى احدى الالاهات التسع الشقيقات فى الميثولوجيا الاغريقية اللواتى يحمين الغناء والسحر والفنون والعلوم ٠ المراجع ٠

وكنت واقفا فى ظلام تلك القاعة الفسيحة الموحشة بين صفوف الأعمدة العتيقة وأمكننى الاستماع الى خرير النافورات وهى تنثر الماء على الأرضيات الرخامية والى طنين عجيب من قيثارة والى جلجلة الحلى ورنين الخلاخيل ودق الأجراس وهى تعلن الوقت ونغمة نائية من ناى سحرى ورنين دلايات الثريات البللورية تهزها النسمة الرقيقة ، وأغنيات البلابل فى أقفاصها فى الممرات ونقنقة اللقلق فى الحدائق · كل هذا خلق حولى موسيقى غريبة لا تنتمى الى هـذه الأرض ثم وقعت تحت تأثير سحر جعلنى أعتقد أن هذه الرؤيا غير الملموسة البعيدة عن واقع الأرض والتى لا يمكن ادراكها عن طريق الحواس تكاد تكون هى الحقيقة الوحيدة فى العالم وأن كل ما عداها هو مجرد حلم · وأن قولى ـ كما يمكن أن أقول ـ سير جوت كذا ابن كذا وكذا الابن الأكبر لكذا لطيب الذكر كذا وكذا ، هو فعلا ذلك الرجل الذى يتقاضى مرتبا شهريا قدره اربعمائة وخمسون روبية لأداء واجب وظيفة كجامع لضرائب القطن والذى يذهب لمقر عمله يوميا وهو يقود عربة صغيرة ويرتدى سترة قصيرة وقبعة بيضاء كبيرة ···· كونى كل هذا ، بدا لى وهما شديد الغرابة والسخف حتى اننى انطلقت فى قهقهة عالية وأنا واقف فى ظلام تلك القاعة الفسيحة الصامتة ·

وفى تلك اللحظة دخل خادمى وهو يحمل مصباح غاز فى يده ولا أعرف انكان قد ظن أن بى مسا من الجنون أو فقدت صوابى ولكننى استعدت ذاكرتى على الفور بأننى حقا سير جوت كذا وكذا ابن كذا وكذا « طيب الله ثراه وأنه ان كان فى قدرة شعرائنا وحدهم ـ كبيرهم وصغيرهم ـ أن يقولوا ان هناك ، اما فى باطن الأرض أو ظاهرها منطقة فيها نافورات تتراقص مياهها فى حركة دائمة لا تتوقف وقيثارات سحرية تعزف عليها أنامل غير مرئية السيمفونيات الخالدة ، الا أنه لا شك على الاطلاق فى أننى جابى ضرائب القطن فى باريش واننى أتقاضى على هذا العمل أربعمائة وخمسين روبية فى الشهر كمرتب ·

وضحكت فى مرح كبير على أوهامى الغريبة وأنا أطالع صحيفتى جالسا الى مائدة المعسكر التى يضيئها مصباح الكيروسين · وبعد أن انتهيت من قراءة الصحيفة ومن عشائى الفاخر الدسم أطفأت المصباح واستلقيت على سريرى فى غرفة صغيرة جانبية · وخلال النافذة المفتوحة كانت هناك نجمة براقة فوق تلال آفالى تحوطها ظلمة الغابات تحدق بتركيز من بعد ملايين وملايين الأميال فى السماء الى السيد جابى الضرائب وهو يرقد على فراش معسكر متواضع · وتعجبت وراقتنى تلك الفكرة ولا أعلم متى استغرقت فى النـوم أو كم نمت ولكننى استيقظت فجأة وأنا أحس برعشة لا ارادية تسرى فى جسدى رغم أننى لم أسمع صوتا ولم أر أحدا يقتحم غرفتى ولا لاحظت شيئا سوى أن النجمـة الثابتة على قمم الجبال كانت قد غربت وأن ضوء القمر الجديد الخافت كان يتلصص الى داخل الغرفة من خلال النافذة المفتوحة كما لو كان يخجل من تطفله

ولم أر أحدا ولكنني شعرت أن شخصا يدفعني برفق ولما استيقظت لم تنبس ببنت شفة ولكنها أشارت الى بأصابعها الخمسة المحلاة بالخواتم أن أتبعها فى حـذر ·

ونهضت أن أحدث أى صوت وبالرغم من أنه لم يكن هناك كائن حى سواى فى الشقق التى لا حصر لها فى هذا القصر المهجور بأصوانه النائية ، واصدائه اليقظة ، فاننى خشيت فى كل خطوة أن يستيقظ أحد · وكانت معظم غرف القصر مغلقة ولم أدخلها اطلاقا ·

وتبعت دليلى الخفى بخطى صامتة وأنا مبهور الأنفاس ولا أعرف حتى الآن الى أين · ولا عرفت كم من الممرات المظلمة الضيقة التى لا نهاية لها ولا كم من الدهاليز الطويلة وقاعات الاستقبال المهيبة الصامتة والزنزانات الخفية المغلقة مررت خلالها ·

ولو أننى لم أستطع أن أرى دليلتى الحسناء الا أن شكلها لم يكن غير منظور أمامى بعين عقلى · فتاة عربية · ذراعاها القويتان الناعمتان ، تظهران من خلال كميها الفضفاضين وقناع خفيف ينساب على وجهها من حافة غطاء رأسها وخنجر رفيع مقوس حول وسطها · وخطر لى أن ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة العربية قد وفدت على آتية من عالم الرومانسية وأننى فى سكون الليل البهيم أتخذ طريقى المتعرج خلال الأزقة الضيقة فى بغداد الهاجعة الى مكان لقاء محفوف بالمخاطر ·

وأخيرا وقفت دليلتى فجأة أمام ستارة عميقة الزرقة وخيل الى أنها تشير الى شىء على الأرض ولكن لم يكن هناك شىء · ولكن رعبا مفاجئا جمد الدم فى عروقى وخيل الى أننى أرى على الأرض هناك فى أسفل الستارة زنجيا خصيا أسـود اللون يرتدى حلة من الحرير المطرز الثمين وقد غلبـه النعاس وقدماه ممدودتان وفى حجره سيف جرد من غمده وتخطت دليلتى الحسناء رجليه بحركة رشيقة ورفعت جانبا من الستارة وأمكننى أن أختلس نظرة الى الغرفة المفروشة بسجادة فارسية وكان هناك شخص يجلس على سرير بالداخل · ولم يمكننى أن أراها ولكننى لمحت فقط قدمين فاتنتين فى خف مطرز بالذهب تتدليان من سروال فضفاض زعفرانى اللون وترتكزان على البساط البرتقالى المخملى · وعلى جانب كانت هناك آنية بللورية زرقاء بها بعض التفـاح والكمثرى والبرتقـال وعناقيد كبيرة من العنب وقدحان صغيران وقنينة مذهبة كان ظاهرا أنها تنتظر الضيف ·

وكاد يتغلب على حواسى ، دخان شذى يثير النشوة ناتج عن احراق نوع غريب من أعواد البخور داخل الغرفة · وعندما حاولت ــ بقلب مرتجف ــ أن

أتخطى بقدماى ذلك الخصى الممتد فانه هب واقفــا فجأة وسقط السيف من حجره برنين حاد على الأرض الرخامية ٠

وسمعت صرخة مهولة جعلتني أقفز ثم رأيت نفسى جالسا على سرير المعسكر الذى أنام عليه وأنا أتصبب عرقا ٠ وبدا الهلال شاحبا فى ضوء الصباح كمريض متعب بقى مسهدا حتى الفجر ٠

وكان المعتوه « ميهرخان » يصرخ كعادته كل يوم « ارجعوا للخلف ــ ارجعوا للخلف » وهو منطلق فى الطريق الموحش ٠ وهكذا كانت النهاية المبتورة لليلة من الليالى العربية ولكن بقيت ألف ليلة أخرى ٠

وتبع ذلك نفور شديد بين أيامى وليالى ففى أثناء النهار أذهب لعملى وأنا متعب مجهد وأنا ألعن الليل الساحر وأحلامه الخاوية . ولكن عندما يحل المساء فان حياتى اليومية بأصفادها وأغلالها فى العمل تبدو غرورا مضحكا زائفا حقيرا ٠

وبعد حلول الظلام فاننى أقع فريسة مغلوبة على أمرها فى شراك نشوة غريبة وعندئذ أتحول الى شخص آخر مجهول من زمن غابر أؤدى دورى فى تاريخ غير مسجل وتبــــدو سترتى الانجليزية القصيرة وسروالى الضيق غير ملائمين بالمرة ٠

وبغطاء رأس قرمزى أحمر وسروال واسع وصديرية مطرزة ورداء حريرى طويل ومناديل ملونة معطرة فاننى أكمل زينتى المتقنة وأجلس على مقعد عال ذى وسائد وأستبدل سيجارتى بنرجيلة ذات لفات كثيرة مملوءة بماء الورد كأننى أنتظر على أحر من الجمر لقاء غريبا مع محبوبتى ٠

وليس لدى من القدرة ما أستطيع به وصف الحوادث الرائعة التى تكشف عن نفسها كلما أوغل الليل ٠

وكنت أشعر بأنه فى تلك الوحــدات السكنية العجيبة فى ذلك الصرح الواسع كانت تتطاير شذرات قصة جميلة ــ كان بوسعى تتبعها عن كثب ولكن لم يكن فى استطاعتى قط أن أرى نهايتها ــ فى هبوب مفاجىء لنسمة من نسمات الربيع ٠ ومهما كان الأمر فقد كنت اهيم طوال الليل من غرفة الى أخرى متتبعا تلك الشذرات ٠

وفى وسط دوامة شذرات الأحلام هذه ، وسط رائحة الحنة ورنين القيثار وبين تموجات النسيم المعطر بالشذى فاننى ألمح كخطف البرق ٠٠٠٠٠٠ غادة حسناء ٠

وكانت هى نفس الفتاة التى ترتدى السروال الزعفرانى اللون وذات القدمين الورديتين ذاتا الخف المطرز بالذهب وبأصابعها المقوسة وصديرية ضيقة موشاة

بالذهب وغطاء رأس أحمر يتدلى منه أهداب على جبينها الناصع ووجنتيها الورديتين وكانت قد ملكت لبى وبحثا عنها فاننى كنت أهيم من غرفة لأخرى ومن طريق الى طريق بين متاهة من الممرات فى أرض الاحلام المسحورة فى العالم السفلى الذى يحكمه سلطان النوم ٠

وأحيانا عندما كنت أقوم بارتداء كسوتى بعناية كأمير ملكى امام مرآة كبيرة على جانب منها شمعة مضيئة ، كنت ألمح فجأة انعكاس صورة تلك الفارسية الجميلة بجانب صورتى فى المرآة وبلفتة عاجلة من عنقها ونظرة خاطفة مليئة بالرغبة والشوق والألم الذى يبدو فى عينيها السوداوين الواسعتين ، وبمجرد شبهة من كلام يرتسم على شفتيها القرمزيتين ، وبقوامها النحيل المشوق يتوجه شباب كالغصن فى حالة الازهار ، ثم تنتصب قامتها الرشيقة ، وفى ومضة تبهر الأبصار ، تجمع بين الألم والرغبة المحمومة ونشوة الفرح ، وأخيرا بنظرة وابتسامة ، وفى وهج من بريق الجواهر ولمعان الحرير ، رأيتها تذوب وتختفى أمام عينى ٠

وتهب ريح عاتية محملة بشذى التلال والغابات فتطفىء المصباح ٠ وبعد ذلك أرمى كسوتى جانبا وأستلقى على سريرى مغمض العينين وجسمى منتشى بالسعادة وحولى فى النسيم المحمل بشذى عطر الغابات والتلال ، يطوف خلال الليل الصامت عديد من التربيت وعديد من القبلات واللمسات الرقيقة من الأيدى وهمهمات رائعة فى أذنى وأنفاس عطرة تداعب جبينى أو منديل معطر يمسح مرة بعد أخرى على وجنتى ٠

وببطء أشعر كأن ثعبانا غامضا يلتف حولى ويعصرنى بين لفات جسده المذهلة وأروح فى غيبوبة أسقط منها الى سبات عميق ٠

وذات مساء قررت أن أمتطى جوادى وأخرج للنزهة ـ ولا أعلم من توسل الى لأبقى ـ ولكننى لم أستجب لأى نداء فى ذلك اليوم وكنت قد وضعت سترتى وقبعتى على أحد الرفوف وكنت على وشك أن آخذهما ، عندما هبت ريح عاتية محملة برمال نهر سوستا والأوراق الجافة الميتة من شجر تلال آفالى وحملتهما معا وأخذت تدور بهما وتدور بينما انطلقت جلجلة عالية من الضحك والمرح أخذت تعلو وتعلو لامسة كل أوتار المرح حتى ماتت بعيدا فى دنيا الغروب ولم أستطع الخروج لنزهتى ، وثانى يوم قررت الاستغناء عن سترتى الانجليزية وقبعتى البيضاء الشاذتين الى الأبد ٠

وفى ذلك اليوم أيضا وفى جوف الليل البهيم سمعت تشنجات مخنوقة تقطع نياط القلوب لشخص ما ـ وكأنها تأتى من تحت السرير ، أو من تحت أرضية الغرفة ، أو من تحت الأساسات الحجرية لذلك القصر الشامخ ومن أعماق قبر رطب مظلم سمعت صوتا يصرخ بطريقة تبعث على الرثاء ويقول راجيا اياى :

« أوه ـ أنقذنى ـ اخترق هذه الأبواب المصنوعة من الوهم الصلب ، ومن النوم العميق الذى يشبه الموت ، ومن الأحلام الجدباء وضمنى بجانبك على السرج وضمنى لقلبك وطر بى خلال التلال والغابات وعبر النهر وخذنى الى الاشعاع الدافىء فى حجراتك المشمسة فوق ! » .

ـ « أنا ... ومن أكون أنا ؟ وكيف لى انقاذك ؟ أى جمال غارق وأى عاطفة مشبوبة متجسدة فى شكل بشر . سأجر الى الشاطىء بعيدا عن دوامة الأحلام هذه ؟ ـ ايه أيتها الرؤية الأثيرية الجميلة ! ـ أين ازدهرت ومتى ؟ وبقرب أى جدول ماء رطيب تحت النخيل ولدت ؟ وفى حجر أية هائمة فى الصحراء دون مأوى كانت هذه الولادة ؟ . وأى بدوى اختطفك من بين ذراعى أمك وأنت لا تزالين زهرة تتفتح ، مقطوفة من نبات برى متسلق ووضعك معه على ظهر حصان أسرع من البرق ، وعبر بك الرمال المشتعلة . وفى أى مدينة ملكية ، كان سوق العبيد ، التى اقتادك اليها ؟

وهناك ... يا ترى ... أى ضابط من ضباط البادشاه الذى حين رأى روعة شبابك فى ازدهاره الخجول ، ووضعك فى محفة ذهبية ، وقدمك هدية لمولاه ، يضمها الى سراى حريمه ؟ ويا ترى ... ما تاريخ هذا القصر بالموسيقى المنبعثة من السارنج (نوع من الكمان) مع رنين الخلاخيل الذهبية وومضات الخناجر فى بعض الأحيان ، وتورد النبيذ الشيرازى المسمم ، والنظرة الخاطفة النافذة ، أو أى عظمة خالدة وأى عبودية لا نهاية لها !

الجوارى على يمينك وعلى يسارك ، يلوحن لك بذيول الياك ، بينما يبرق الماس من أساورهن . ويركع البادشاه ملك الملوك عند قدميك الناصعتين فى خفهما المطعم بالجواهر . وفى الخارج يقف العبد الحبشى الخصى المريع الذى يبدو كأنه رسول الموت ولكنه يرتدى لباس الملائكة ، ويقف وفى يده سيفه المسلول !

وبعد ـ يا زهرة الصحراء ، وقد جرفك محيط العظمة المبهر المخضب بالدماء بزبده من الغيرة ، بصخوره وأماكنه الضحلة التى تصنعها المؤامرات . فعلى أى شاطىء من شواطىء الموت القاسى ألقى بك ، أو فى أى أرض أخرى أكثر روعة وأكثر قسوة قذف بك ؟

وفجأة فى هذه اللحظة بالذات ، صاح ذلك المخبول ميهر على : « ارجعوا للخلف ... ارجعوا للخلف !! كله زيف ... كله زيف ! » وفتحت عينى ووجدت أن النهار قد انبلج . وحضر تابعى وقدم الى بريدى ووقف الطاهى وهو يؤدى السلام فى انتظار أوامرى ، وقلت لنفسى :

« لا ... لن أستطيع المكث هنا أكثر من ذلك » .

وفى نفس اليوم حزمت متاعى .. وانتقلت لمكتبى وابتسم العجوز كريم خان ابتسامة صغيرة وهو ينظر الى وأغاظنى ذلك ولكننى لم أقل شيئا وانغمست فى عملى .

ولما اقترب المساء شعرت كأننى تائه وشعرت كأننى على موعد يجب ان افى به وبدا لى أن مراجعة حسابات القطن عمل لا جدوى منه بتاتا ، وحتى الضريبة التى تخص نظام حيدر أباد بدت لى كأنها ليست ذات قيمة تذكر .

وبدا له أن كل ما يمت للحاضر وكل ما يتحرك ويمثل ويعمل للقمة العيش تافه وحقير ولا معنى له . وألقيت بقلمى وأغلقت دفاترى وقفزت الى عربتى وقدتها ولاحظت ان العربة وقفت من تلقاء نفسها عند مدخل القصر المرمرى عند غروب الشمس تماما .

وارتقيت الدرج بخطى سريعة ودلفت الى الحجرة وكان الصمت المطلق يخيم على المكان وبدت الغرفة المظلمة متجهمة كما لو كانت غاضبة . وشعرت بأن قلبى قد سحق من الشعور بالذنب ، ولكن لم يكن هناك أحـد لأشكو له همى أو أستميحه عذرا !

وهمت فى الغرف الخالية بعقل شـارد وتمنيت لو أنه كان معى قيثارة لاغنى بها للمجهول .

« أوه أيتها النار .. ان الفراشة البائسة التى حاولت عبثا أن تطير بعيدا قد عادت أدراجها اليك فاصفحى عنها هذه المرة فقط والتهمى جناحيها وابتلعيها فى لهيبك .

وفجأة شعرت بدمعتين سقطتا من أعلى على جبينى وكانت قمم تلال آفارى ذلك اليوم تغطيها غيوم داكنة كثيفة وكانت الغابات الداكنة ومياه نهر سوستا المعتمة تنتظران فى قلق بالغ وفى هدوء منذر بالسوء .

وفجأة اهتزت الأرض والمياه والسماء وهبت ريح صرصارة عاتية يعوى زئيرها خلال الغابات البعيدة التى لا طريق فيها وهى تكشر عن أنيابها المصنوعة من البرق كأنها مارد مجنون فك من عقال . وضربت أبهاء القصر الموحشة أبوابها بعنف وهى تئن من اللوعة والكرب . وكان كل الخدم بالمكتب ولم يكن هناك أحد لاضاءة المصابيح وكانت الليلة كثيفة الغيوم ولم يسطع لها قمر . وفى ظلمة الليل بالداخل كنت أشعر بوضوح أن هناك امرأة ترقد على وجهها على البساط تحت السرير وهى تشد وتجذب شعرها الطويل المشعث بأصابع يائسة وكان الدم ينسـاب على جبهتها الجميلة وهى تضحك مرة ضحكة جافة صلبة لا سرور فيها ، ثم تنفجر مرة أخرى فى نوبات من النشيج العنيف ، ثم تمزق

صديريتها وتضرب على صدرها العارى بينما كانت الريح تزأر من خلال النافذه المفتوحة والمطر يسيل مدرارا ويبللها وينفذ الى جسدها حتى العظام ·

وطوال الليل لم يهدأ هدير العاصفة ولا ذلك الصراخ المحموم · وهمت على وجهى من حجرة لأخرى فى الظلام . وقلبى منفل بذلك الأسى الذى لا جدوى فيه ·

من أستطيع أن أواسى عندما لا يكون هناك أحد !!

ومن كان صاحب هذا الألم الدفين المروع ؟

ومم حدث هذا الحزن الذى لا يقبل العزاء ؟

وصاح المعتـوه ميهر على « ارجعوا للخلف ··· ارجعوا للخلف !! كله زيف ··· كله زيف ··· » ·

ثم رأيت أن ضوء الفجر قد انبثق ولا زال ميهر على يدور فى القصر مرددا صرخاته المعتادة فى ذلك الجو الفظيع ·

وفجأة خطر لى أنه ربما هو أيضا قد عاش فى ذلك القصر وأنه بالرغم من أنه قد فقد رشده فانه كان يجىء يوميا ويدور ويدور مجـذوبا بذلك السحر الشبحى الغامض النابض من ذلك المارد المرمرى ·

وبالرغم من العاصفة والمطر فاننى عدوت نحوه وسألته :

« أوه ـــ ميهر على ··· ما هو الزائف ؟ » ·

ولم يجب الرجل بشىء ودفعنى جانبا وهو يدور ويصرخ صراخا مسعورا كأنه الطير الذى تنومه الحية مغناطيسيا ، فيفقد ارادته فى الهرب ويدور حول فكيها · واستمر ميهر على فى صياحه وهو يحاول مستميتا أن يحذر نفســه بتكراره « ارجعـوا للخلف ··· ارجعـوا للخلف ··· كله زيف ··· كله زيف ··· » ·

وعدوت كرجل فقد رشده خلال المطر المنهمر الى مكتبى وسألت كريم خان : « قل لى ما معنى كل هذا ؟ » ··

وكان كل ما جمعته من ذلك الرجل العجوز هو ما يلى :

« انه فى وقت من الأوقات كان القصر يموج بشهوات لم تنطفىء ورغبات لم تشبع وقد ارتفع لهيب الملذات والمجون حتى أن لعنـة القلوب المسحوقة ، والآمال المحطمة قد جعلت كل حجر فى القصر ظمآنا وجوعانا ومستعدا كأى غول استبد به الجوع ، أن يبتلع أى بشر يلقى به قدره الى هناك · ولم ينج من أنيابه القاسية أى رجل قضى به ثلاث ليال متوالية سوى ميهر على الذى أمكنه الفرار

على حساب رشده » . وتساءلت .. ألا توجد هناك وسيلة لخلاصي ؟ وأجاب الرجل العجوز .. « توجد وسيلة واحدة ولكنها صعبة للغاية وسأخطرك بها .

ولكن قبل ذلك يجب أن تسمع قصة فتاة ايرانية صغيرة عاشت ذات يوم في ذلك القصر البهيج . ولعل مأساة أغرب من هذه أدعى لتمزيق القلوب ، لم تحدث قط على الأرض » .

وفي هذه اللحظة بالذات نادى عمال المحطة بأن القطار على وصول .. أهكذا سريعا !؟

وحزمنا متاعنا على عجل بينما أقبل القطار . وكان رجل انجليزى يبدو أنه استيقظ لنوه من النوم يطل من نافذة في مركبة الدرجة الأولى محاولا قراءة اسم المحطة وحالما وقع بصره على رفيقنا صاح« هاللو » وأخذه لديوانه . ولما كنا من راكبى الدرجة الثانية فلم تسنح لنا الفرصة لمعرفة شخصية الرجل أو كيف انتهت قصته .. وقلت :

« يبدو أن الرجل قد استخف بعقولنا وخدعنا لمجرد التسلية » ..

« ان القصة ملفقة من أولها لآخرها » ..

وانتهت المناقشة التى تلت ذلك الى قطيعة بينى وبين قريبى الصوفى دامت طوال العمر .



سارات شاندرا شاترجى

كان سارات شاندرا شاترجى (١٨٧٦ - ١٩٣٨) كاتبا للرواية والقصة القصيرة من البنغال .

ولد فى بيت فقير بالقرب من كلكوتا ولم يتلق تعليما منتظما ولم يبدأ الكتابة الا حين قارب الثلاثين من عمره .

ونشرت أول قصة له « مانديرا » أو (المعبد) سنة ١٩٠٧ وبعدها اكتسح عالم البنغال الأدبى وانتشر قراؤه فى جميع أنحاء شبه القارة وترجمت كتبه لكل لغات الهند الأساسية . ورغم أنه قد اصطدم مع النقاد الأرثوذكس التقليديين والمحافظين وهاجم بعنف الأخلاقيات الزائفة التى يتظاهر بها ذووها ، الا أن أسلوبه كان مبشرا وبسيطا ولم يكن ممن يملؤون كتاباتهم بالمواعظ .

وقد كتب اثنتى عشرة رواية وكثيرا من القصص القصيرة ، أمكنه أن يخلق فيها للريف البنغالى صورة غنية بالألوان والمآسى معا ، ونافست شهرته فى العشرينات والثلاثينات شهرة طاغور . وتحولت كثير من رواياته الى أفلام هندية ناجحة .



القحط

القحط

كان اسـم القرية كاشيبور · وكانت قرية صغيرة ولو أن (زاميندار) (١) القرية كان أصغر حجما الا أن مؤجرى أراضيه كانوا لا يستطيعون الوقوف أمامه لأنه كان قاسيا لا يرحم ·

وكان اليوم عيد ميلاد ابنه الأصغر ، وكان الوقت ظهرا وكان « تاركارانتا » الكاهن ، فى طريق عودته لمنزله من منزل زاميندار القرية حيث كان يقدم الدعوات ·

كان ذلك فى أواخر شهر مايو الا أنه لم يكن بالسماء أى أثر للسحاب ، وكانت القبة الزرقاء التى لا مطر فيها تصب حممها على الأرض

وفى نهاية الحقل قرب الطريق كان منزل جافور النساج · ولما كانت جدرانه الطينية مهدمة فان ساحة المنزل أصبحت تتصل بالطريق العام وأصبحت أخص خصوصيات سكان هذا المنزل تحت رحمة أبصار المارة · ووقف تاراكارانتا تحت ظل شجرة بالطريق ونادى :

« ايه ··· جافور – هل هناك أحد بالداخل ؟ » ·

وظهرت ابنة جافور الصغيرة البالغة من العمر عشر سنوات على الباب قائلة :

---

(١) « زاميندار » هو نظير الملتزم فى مصر فى عهد الأتراك · وهو الذى كان يعهد اليه بمساحة معينة من الأرض يؤجرها أو يزرعها ، نظير مبلغ معين يدفعه للحكومة كل عام · المراجع

« ماذا تريد ؟ ان أبى مريض بالحمى » ..

« حمى !! ... استدعى ذلك الوغد » ..

وخرج جافور على الصوت وهو يرتجف من الحمى وكان هناك ثور مربوط الى شجرة السنطة التى تستند الى الحائط المهدم . وتساءل تاركارانتا « ماذا أرى هناك ؟ » وهو يعنى الثور .

« ألا تعلم أن هذه القرية هنـــدوسية وأن صاحب الأرض نفســه من البراهمة ؟ » ..

وكان وجهه شديد الاحمرار من الغيظ ومن حرارة الشمس . وكان من المنتظر أن تكون كلماته لاذعة وقاسية . ولكن جافور تطلع اليه ببساطة وهو لا يقدر خطورة حديثه . وقال تاركارانتا :

« حسنا .. لقد رأيته مربوطا فى الصباح وها هو لا يزال فى مكانه للآن واذا نفق الثور فان سيدك سيسلخك حيا .. انه ليس من البراهمة العاديين » .

« وماذا أستطيع أن أفعل يا أبى فانا لا حول لى ولا قوة فاننى مصـــاب بالحمى منذ عدة أعوام ولا أستطيع أن أخرج به للمرعى فاننى منهوك بالمرض » .

« ألا تستطيع أن تتركه يرعى بمفرده ؟ » .

« وأين سأتركه يذهب يا أبى ؟ فان الأهالى لم يتموا بعد دراستهم للأرز بالنورج ولا زال ملقى بالحقول . ولم يجمعوا قش الأرز بعد وكل شىء احترق حتى صار هشيما . ولا يوجد أى عود واحد من الحشيش فى أى مكان . فكيف أتركه طليقا يا أبى ؟ فانه قد يدس أنفه فى أرز أحد الناس أو يأكل قش غيره » .

ولان جانب تاركارانتا قليلا وقال :

« ولكنك على الأقل يمكن أن تربطه فى مكان ظليل وتعطيه حزمة أو اثنين من قش الأرز ليأكل . ألم تطبخ ابنتك أرزا ! لماذا لم تعطه دلوا من نقيع الأرز المغلى ؟ وتدعه يشربه » .

ولم يجب جافور وتطلع بلا حول الى تاركارانتا وهو يزفر زفرة عميقة .

« لقد فهمت .. ليس لديك حتى ذلك القدر .. ماذا صنعت بحصتك من القش ؟ أظن أنك ذهبت لبيعها لتشبع معدتك ؟ ولم تبق منها حتى حزمة واحدة للثور ـ ما أقساك يا رجل !! » .

وبدا على جافور أنه فقد القدرة على الكلام عند سماعه هذا الاتهام القاسى وبعد لحظة تردد وقال ببطء :

« كان من المفروض أن آخذ حصتى من القش هذه السنة ولكن السيد أبقاها كلها سدادا لايجار السنة الماضية وتوسلت اليه جاثيا عند قدميه قائلا :

« يا سيدى أنت سيدنا وأميرنا ٠٠ أين سأذهب لو تركت أرضك ٠٠ اعطنى على الأقل قليلا من القش فلا قش على سقفى وليس لدينا الا كوخ نعيش فيه نحن الاثنين ــ الوالد والبنت ــ وسنغطى السقف بسعف النخيل وسنجتاز هذا الجو الممطر بطريقة ما ٠٠ ولكن ماذا سيكون من أمر ماهيش « الثور » بدون طعـام ؟! » ٠

« حقا !! فأنت مغرم بالثور لدرجة أنك تسميه ماهيش ٠٠٠ هذه ملحة ٠ ولكن تهكمه لم يؤثر فى جافور الذى استطرد قائلا :

« ولكن السيد لم تأخذه بى رحمة ٠٠ وأعطانى أرزا يكفى لمدة شهرين فقط ٠٠ وأضاف نصيبى من القش الى نصيبه ولم يحصل ماهيش حتى على حزمة صغيرة منه » ٠

وقال تاركارانتا الذى لم يتأثر :

« حسنا ٠٠٠ ألست مدينا له بنقـود ؟ هل تنتظر أن يعولك صـاحب الأرض ؟! » ٠

« ولكن كيف لى أن أدفع له ؟ نحن نزرع له أربع قطع صغيرة من الأرض ٠ وقد جف الأرز فى الحقول أثناء الجفاف فى السنتين الماضيتين ٠ ولا يوجد لدينا أنا وابنتى ما يكفى لقوتنا ٠ أنظر الى الكوخ فعندما تمطر السماء فاننى أقبع مع ابنتى فى أحد الأركان طوال الليل ولا نستطيع حتى أن نمد أرجلنا ٠ أنظر الى ماهيش انك تستطيع أن تحصى ضلوعه ٠ بربك أقرضنى حزمة من القش حتى يتسنى له أن يجد شيئا يأكله ليوم أو اثنين ٠ وسقط جافور على الأرض عند قدمى الكاهن :

« لا ٠٠ لا ٠٠ تنح جانبا ٠٠ دعنى أذهب لمنزلى فقد تأخر الوقت » ٠

وتحرك تاركارانتا هاما بالرحيل وهو يبتسم :

« يا الهى ــ انه يبدو كمن يلوح بقرنيه نحوى مهددا هل سيهاجمنى ؟ » ٠

قالها مذعورا غاضبا وهو يتراجع مسرعا بعيدا عن الثور ٠

وتثاقل جافور واقفا على قدميه وقال وهو يشير الى حزمة الأرز الرطبـة والفاكهة فى يد تاركارانتا :

« انه يريد أن يأكل حفنة مما معك » وقال الكاهن وهو يبتعد تدريجيا عن الثور :

« يريد أن يأكل ؟! حقا ـ الحيوان مثل سيده ـ ليس لديه حتى القش للأكل ويجب أن يأكل أرزا وفاكهة ؟ ابعده واربطه فى مكان آخر · يا لهذه الفرون ، انه سوف يطعن شخصا بهما فى أحد الأيام » · ثم أسرع بالانصراف ·

وحول جافور نظره من الكاهن الى الثور الذى امتلأت عيناه البنيتان العميقتان بالألم والجوع وتمتم :

« لقد بخل عليك حتى بحفنة واحدة » قالها وهو يربت على عنق الثور وظهره وهمس للثور :

« أنت ولدى يا ماهيش··فلقد بلغت من السن عتيا وخدمتنا لسنوات ثمان ولا أستطيع حتى أن أقدم لك ما يكفيك من الطعام · ولكنك تعلم مدى حبى لك ··· أليس كذلك ؟! » ·

ومد ماهيش عنقه فقط وأغلق عينيه سرورا واستطرد جافور :

« أخبرنى ··· كيف لى أن أبقيك حيا فى هذه السنة الفظيعة فاذا تركتك طليقا فانك ستبدأ بأكل أرز الناس الآخرين أو بمضغ أوراق أشجار موزهم · ماذا أفعل بك ؟ لم يبق لك قوة فى جسدك ولا أحد يريدك · وقد طلبوا منى أن أبيعك فى سوق الماشية » ·

وامتلأت عيناه بالدموع عند ذكر تلك الفكرة بالذات · ومسح دموعه بظهر يده والتفت ذات اليمين وذات اليسار وأحضر حزمة من القش لا لون لها من خلف الكوخ وقال بحنان وهو يقدمها لماهيش :

« كلها يا صغيرى بسرعة والا ···· » ·

« أبى » ··

« ماذا ؟ » ··

وأجابت بنت جافور وهى تطل من الباب :

« تعال تناول غذاءك ··· ماذا ··· هل أعطيت ماهيش قشا من السقف ثانية ؟! » ·

وكان هذا ما يخشاه فأجاب وهو يشعر بالخجل :

« انه قش قديم ··· وكان متعفنا » ·

« لقد سمعتك تجذبه يا أبى » ·

« لا يا حبيبتى لم يكن هذا تماما ··· » ·

« ولكنك تعلم يا أبى أن الحائط سيتداعى » ٠

وصمت جافور ٠٠ ولم يكن قد بقى له شىء الا ذلك الكوخ ٠٠ ومن كان يعلم أكثر منه أنه ان لم يحافظ عليه فانه لن يتحمل موسما ممطرا آخر ٠٠ وعلى أى حال ما جدواه حقا ؟! وقالت الفتاة :

« اغسل يديك واحضر لتناول طعامك لقد جهزت لك الطعام » ٠

« اعطنى ماء الأرز ودعينى أغذيه » ٠

« لم يبق منها شىء يا أبى ٠٠ لقد جف فى القدر » ٠

ومر حوالى أسبوع ٠٠ وكان جافور جالسا فى الساحة مريضا ومضطربا فان ماهيش لم يعد منذ أول أمس ٠٠ وكان يشعر بالعجز وكانت أمينة تبحث عن الثور فى كل مكان منذ الصباح الباكر ٠٠ وكان المساء قد حل عندما عادت للمنزل وقالت :

« هل سمعت يا أبى ٠٠ ان « مانيك جوس » قد أرسل ماهيش الى حظيرة الشرطة ؟ » ٠

« هـــــراء » ٠

« نعم يا أبى ٠٠ انها الحقيقة ٠٠ لقد قال خادمه أخبرى والدك أن يبحث عن الثور فى دار يابور » ٠

« ماذا فعل ؟ » ٠

« لقد دخل حديقتهم يا أبى » ٠

ولم يجب جافور ٠

« وبعد ثلاثة أيام ـ كقولهم ـ فان الشرطة ستبيعه فى سوق الماشية » ٠

وأجاب جافور :

« دعهم يبيعونه » ٠

ولم تعرف أمينة معنى كلمة سوق الماشية ٠٠ ولقد لاحظت دائمـا أن والدها يصبح قلقا عند ذكرها مرتبطة بماهيش ٠٠ ولكنه خرج هذا اليوم دون أن يقول شيئا آخر ٠

وفى ظلام الليل دلف جافور الى حانوت « بانشى » وقال وهو يضع طبقا من النحاس تحت المقعد :

« يا عمى .. يجب عليك أن تقرضني روبية » (*) .

وكان بانشى معتادا على مثل هذا التصرف ففي السنتين الأخيرتين كان قد اقرض روبية خمس مرات على الأقل نظير رهن هذا الطبق .. ولم يبد اعتراضا ذلك اليوم أيضا .

وفي صباح اليوم التالي شوهد ماهيش في مكانه المعتاد ثانية .

ووقف رجل مسلم كهل يفحص ماهيش بعين ثاقبة . وعلى جانب ، وبالقرب منه قبع جافور على الأرض . ولما انتهى الفحص أخرج الكهل ورقة من فئة العشر روبيات من أحد أركان شاله حيث كان معقودا عليها وأخذ يتحسسها مرارا وقال :

« هاك .. خذ هذه ولن أخصم منها شيئا فسأدفع الثمن كاملا » .

ومد جافور يده وأخذ النقود ولكنه بقى صامتا . ولما هم الرجلان اللذان كانا مع الكهل بالامساك بالحبل الذى كان حول رقبة الحيوان فانه هب واقفا فجأة وصاح بوحشية :

« لا تلمس الحبل ... قلت لك ... احترس فانى أحذرك ... » .

وجفل الرجلان وتساءل الكهل فى عجب :

« لماذا ؟ » وأجابه بنفس اللهجة :

« ليس هناك لماذا لهذا ؟ انه ملكى ولن أبيعه انه سعادتى » .

وألقى بالورقة بعيدا .

وقال الثلاثة بصوت واحد : « ولكنك قبلت التأمين أمس ! » .

وقال جافور وهو يقذف لهم الروبيتين : « هيا ... استعيدهما » .

واستجدى جافور ماء الأرز من بعض الجيران وأطعم ماهيش . وبينما كان يربت على رأسه وقرنيه كان يهمس له ببعض كلمات اعزاز مبهمة .

وحل منتصف شهر يونيو ولا يستطيع شخص لم يتطلع لسماء صيف هندى أن يتصور فظاعة وقسوة الحرارة فلا أثر للرحمة فيها على الاطلاق . واليوم فانه حتى فكرة أن مظهر السماء هذا سيتغير يوما ما ، وأن السحب الهشة المشبعة ببخار الماء ستحجب عنها ضوء الشمس ، كانت تبدو ضربا من المحال ، وبدا أن السماء كلها تتلظى بالنار يوما بعد يوم بلا نهاية وللأبد .

(*) الروبية حوالى ٨ قروش . والآنا $\frac{1}{16}$ من الروبية .

وعاد جافور لمنزله ظهرا · ولم يكن معتادا أن يعمل كعامل أجير ولم تكن حرارته قد هبطت الا منذ اربعة أو خمسة أيام وكان جسده لا يزال ضعيفا متعبا ·

وكان قد خرج ليبحث عن عمل ولكن بلا جدوى فلم يصادفه النجاح وكان جائعا عطشانا متعبا وبدا له كل شيء قاتما أمام عينيه ·

ونادى من الساحة : « هل جهزت الطعام يا عزيزتى أمينة ؟ » ·

وأعاد جافور سؤاله : « هل الطعام جاهز ؟ » ولكنه لم يتلق ردا ·

« ماذا تقولين ؟ · · · لا · · · لماذا ؟ » ·

« لا يوجد أرز يا أبى » ·

« لا أرز · · · ؟ لماذا لم تخبرينى فى الصباح ؟ » ·

« لماذا ؟ لقد قلت لك مساء الامس » · وحاكاها جافور متهكما :

« لقد قلت لك مساء أمس ! كيف لى أن أتذكر ما قلتيه لى مساء أمس ، وكان غضبه يزداد كلما تكلم ·· وتجهم وجهه غضبا وزمجر :

« طبعا لا يوجد ارز ·· وماذا يعنيك أنت ان أكل والدك أو لم يأكل ؟ ولكن الآنسة الصغيرة لابد أن تحصل على وجباتها الثلاث ·· سأغلق على الأرز عندما أخرج بعد ذلك ·· أعطنى ماء لأشرب فاننى أموت عطشا · · · وهكذا ليس لديك حتى الماء » ·

وبقيت أمينة واقفة مطأطئة الرأس كما كانت ·

ولما أدرك انه لا توجد نقطة ماء واحدة فى المنزل فانه فقد السيطرة على نفسه تماما واندفع نحوها وصفعها بقوة على وجهها قائلا :

« أيتها البنت اللعينة ·· ماذا تفعلين طوال اليوم ؟ يموت كثير من الناس فلماذا لا تلحقين بهم ؟ » ·

ولم تنبس الفتاة ببنت شفة وأخذت الجرة الطينية الخالية وخرجت تحت شمس بعد الظهيرة وهى تمسح دموعها فى صمت ·

وفى اللحظة التى غابت فيها عن نظره تملكه تأنيب ضمير قاتل فلقد كان الوحيد الذى يعلم كيف نشأت هذه الفتاة المحرومة من أمها · وكان يعلم أن ابنته العطوف التى تقوم بواجباتها فى هدوء لا لوم عليها فلم يكن لديهم أبدا الكفاية من الغذاء حتى عندما كان مخزون أرزهم موجودا وكان من المستحيل أن يتناولا

ثلاث وجبات فى اليوم · ولم يغب عنه كذلك سبب نقص الماء فان خزانى المياه أو الثلاثة التى كانت فى القرية كانت قد جفت ·

ولم يكن الماء القليل الذى بقى فى خزان شيبو بابو الخاص مباحا للجمهور وكانت بعض الحفر قد حفرت فى قاع الخزانات الأخرى ولكن الزحام والتدافع بالمناكب حولها للحصول على قليل من الماء كان شديدا لدرجة أن تلك الفتاة الضئيلة لم تستطع حتى الاقتراب منها ، فقد كانت تنتظر بالساعات فى آخر الصف وبعد استجداء طويل كان بعضهم يعطف عليها وتعود الى المنزل بقليل من المـاء ·

وكان يعرف كل هذا فربما لم يكن هناك ماء اليوم أو لم يجد أحد وقتا ليتعطف عليها بقليل من الماء ولابد أن شيئا من هذا القبيل قد حدث ذلك اليوم · ولما تذكر ذلك امتلأت عيناه هو أيضا بالدموع · وصاح أحدهم من خارج الساحة :

« جافور ··· هل أنت بالداخل ؟ أرسل السيد فى طلبك ··· تعال » ·

وأجاب جافور :

« أنا لم أتناول أى طعام بعد ·· سأحضر بعد برهة » ·

وبدت وقاحته غير محتملة للرسول الذى زمجر وهو ينعته بأقبح الصفات·

« انها أوامر السيد أن تجر اليه وتضرب أمامه » ·

وفقد جافور السيطرة على نفسه للمرة الثانية وأجاب رادا المجاملة :

« نحن لسنا عبيد أحد ·· نحن ندفع ايجارا لنعيش ·· لن أذهب » ·

ولكن فى عالمنا هذا فانه ليس فقط من العبث للضعيف أن يتظلم الى السلطة بل انه من الخطر عليه أيضا أن يفعل · فمن حسن الطالع أن الأصوات الضعيفة نادرا ما تصل للآذان الكبيرة والا فمن يعلم ماذا كان يمكن أن تكون نتائجها ؟

ولما عاد جافور لمنزله من عند مالك الأرض واستلقى بهدوء على ظهره ، كان وجهه متورما ، وكذلك عيناه ·

وكان ماهيش هو السبب الرئيسى لكل هذا العذاب فعندما غادر جافور منزله ذلك الصباح فان ماهيش أفلت من قيده ، وتسلل الى أراضى مالك الأرض وأكل الزهور وقلب نظام محصول الذرة الذى كان يجفف فى الشمس ، وأخيرا عندما حاولوا الامساك به فانه أصاب ابنة المالك الصغرى وهرب ·

ولم تكن هذه أول مرة يحدث فيها ذلك ولكن جافور كان يغفر له ذلك لفقره ولو كان قد ذهب الى مالك الأرض واستغفره كالمرات السابقة لكان من الممكن أن ينال عفوه ولكنه بالعكس ادعى أنه يدفع ايجارا وانه ليس عبدا لأحد ،

وكان هذا أكثر مما يحتمله شيبو بابو الزامندار • وتحمل جافور الضرب والعذاب بدون احتجاج وكذلك فانه رقد فى منزله فى ركن من الأركان دون أن يتكلم ونسى الجوع والعطش ولكن قلبه كان يحترق فى داخله كالشمس فى الخارج • ولم يعرف للوقت حسابا وهو على هذه الحال •

وفجأة هب من رقاده مذعورا على صرخة فتاة • كانت ترقد منبطحة على الأرض وقد وقعت الجرة التى كانت تحملها وكان ماهيش يلعق الماء الذى كان ينسكب من الجرة على الأرض •

وفقد جافور صوابه تماما ودون أن ينتظر دقيقة أخرى فانه أمسك بكلتا يديه برأس المحراث الذى كان قد تركه بالأمس لاصلاحه وهوى بقوة على رأس ماهيش المنحنى •

وحاول ماهيش محاولة واحدة أن يرفع رأسه ولكن جسده الهزيل تهاوى على الأرض فى الحال • وتدفقت بعض قطرات الدم من أذنيه واهتز جسده مرة أو مرتين ثم مد قدميه الأماميين والخلفيتين الى أقصى ما تستطيع أن تصل اليه ووقع ميتا •

وانفجرت أمينة باكية وهى تقول :

« ماذا فعلت يا أبى ؟! ان ماهيش قد مات » •

ولم يتحرك جافور أو يجب وظل يحدق دون أن تطرف عيناه فى عينى الثور الزجاجيتين السوداوين ، اللتين لا حراك بها •

وقبل أن تنقضى ساعتان كان دباغو الجلود الذين يعيشون فى طرف القرية قد أقبلوا وحملوا ماهيش على عمود من البامبو • وارتجف جافور لرؤية نصالهم اللامعة فى أيديهم وأغلق عينيه ولم يتكلم •

وأخطر الجيران أن مالك الأرض قد استدعى تاركارانتا ليسأله النصح كيف يكفر جافور عن قتله الحيوان المقدس ؟

ولم يجب جافور على هذه الملاحظات بل بقى جالسا القرفصاء وذقنه على ركبتيه •

وفى جوف الليل أيقظ أمينة قائلا :

« هيا يا عزيزتى أمينة لنذهب » وكانت أمينة ترقد فى الساحة وقامت وهى تفرك عينيها وتتساءل : « الى أين يا أبى ؟ » •

« للعمل فى مصنع الجوت فى فولبير » •

ونظرت الفتاة اليه وهى لا تكاد تصدق أذنيها ففى خلال كل مآسيه وبؤسه كان عازفا عن الذهاب الى فولبير ٠٠ وكانت تسمعه مرارا يردد :

« لا دين ٠٠ لا احترام ولا خصوصية لجنس النساء هناك » ٠

وقال جافور :

« هيا يا صغيرتى فأمامنا شوط طويل نقطعه » ٠

وهمت أمينة أن تأخذ جرة الشرب وطبق والدها النحاسى ولكن جافور قال لها :

« اتركيهما جانبا ياعزيزتى كجزء من فدية قتل ماهيش » ٠

وخرج جافور فى جوف الليل وهو يمسك أمينة بيده فلم يكن لديه أحد آخر فى القرية ولا كان لديه شيء يقوله لأى شخص ٠

ولما وصل الى شجرة السنط وقف لا حراك به وانفجر يصرخ عاليا وهو ينظر الى السماء الداكنة المرصعة بالنجوم :

« يا الهى عاقبنى كيفما شئت فلقد مات ماهيش والظمأ فى شفتيه ٠٠ لم يترك له أى شخص أى قطعة أرض مهما كان صغرها ليرعى حشائشها ٠٠ أرجوك يا الله أن لا تغفر خطيئة صاحب الأرض الذى لم يسمح له بأكل شيء من الحشيش أو شرب شيء من الماء ، الذى أنعمت به على عبادك » ٠

وانطلقا فى طريقهما الى مصنع الجوت ٠

ترجمها الى الانجليزية ــ س ٠ سنها ٠

س· راجاجو بالاتشارى

ولد س· راجاجو بالاتشارى عــام ١٨٧٨ فى مقاطعة سالم الجنوبية على بعد ألف ميل جنوب دلهى · كانت أسرته من البراهمة الرفيعى الدرجة فى نظام الطوائف ولكنهم كانوا فى غاية الفقر · أتم دراسته الثــانوية والجامعية فى بنجالور وحصــل على أجازته الجامعية بكالوريوس الحقوق من مدراس · وقد كتب عن نفســه يقول :

« لم أسافر للخارج للدراسة · مارست المحاماة من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٩ ، ولم أصبح قط « كاتبا » · كان اهتمامى الأساسى فى الاصلاحات الاجتمــاعية واستقلال الهند ·

كنت أكتب اذا شعرت بميل الى الكتابة ، وفى الوقت الذى أشعر فيه بهذا الميل ، ومن الطبيعى أن ذلك كان بغرض اعطاء دفعة لهاتين القضيتين ، وليس ككاتب محترف ، أو رجل كرس نفسه للتأليف ·

وشارك فى حركة غاندى « لعدم التعاون » عام ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن عدة مرات بين عام ١٩٢١ الى ١٩٤٢ ·

وأنتخب رئيسا لوزراء ولاية مدراس فى برنامج الحكم الذاتى الذى قدمته بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية ·

وبعد الاستقلال خدم كحاكم للبنغال ومن يونيو ١٩٤٨ الى يناير ١٩٥٠ كان الحاكم العام للهند · وكان وزير داخلية الهند عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ وكبير الوزراء لمدراس من ١٩٥٢ الى ١٩٥٤ ·

وفى الوقت الحالى يشغل وظيفة رئيس حزب الحرية « سواتانترا » وفى عام ١٩٦٢ سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية كعضو فى وفد غاندى للسلام لمناقشة حظر تجارب القنابل الذرية مع الرئيس كينيدى ·

وتشمل مؤلفاته « العربة القاتلة وقصص أخرى » « الطريق للخروج » و « ماركوس أوريليــوس » و « رامايانا ومهابهاترا » ، باللغتين الانجليــزية والتاميلية ·

ويعيش الآن فى مدراس ويشرف على تحرير مجلة أسبوعية بالانجليزية تسمى « سواراجايا » ·



أردهانارى

أردهانارى

كان أردهانارى صبيا من طائفة المنبوذين من قرية كوكالاى فى اقليم سالم • وذهب الى دلهى مع السيد مالكانى سكرتير جمعية خدمة طائفة المنبوذين • وعندما كان السيد مالكانى فى جنوب الهند فقد اعجب بذلك الصبى الذى قابله فى سالم وصمم على الفور أن يصطحبه الى دلهى حيث أدخله مدرسة وأولاه عنايته • واتصل بمؤسسة تجارية شهيرة فى دلهى حيث وجدوا له وظيفة فى مكاتبهم بمرتب شهرى قدره ٦٠ روبية •

ولما كان أردهنارى أمينا مثابرا وذا شخصية فقد لازمه النجاح وكان مرتبه قد ارتفع الى ١٥٠ روبية شهريا قبل أن يبلغ الرابعة والعشرين وبعد مدة خلا مركز فى أحد المصانع الكبيرة التابعة للمؤسسة فى بنجالور وتولى أردهنارى ذلك المنصب بمرتب بلغ ٢٠٠ روبية شهريا •

وقضى سنتين سعيدتين فى بنجالور وكان رئيسه المباشر جوفندا راو قد تدرب فى مانشستر لمدة عامين وكان هو واردهانارى فى عمر متقارب ولما كان معجبا بطباع اردهانارى فقد أصبحا صديقين حميمين •

وكان لجو فنداراو شقيقة تدعى بانكاجا وكان الأخ والأخت يحبان بعضهما حبا جما • وكان والداهما قد توفيا عندما كانت الفتاة فى العاشرة من عمرها وأصبحت الآن فى العشرين وغير متزوجة • وكانت قد قابلت أردهانارى مرارا عندما كانت ترافق أخاها لزيارته وعندما كان الأخير يزور أخاها •

وعندما بدا لجوفنداراو أن شقيقته واردهانارى معجبـان ببعضهما اسعده ذلك • ولطالما سأل نفسه :

« لماذا لا يتزوج هذان الشخصان ويستقران هنا ؟ » .

وفى يوم من الأيام سأل جوفنداراو شقيقته :

« بانكاجا .... هل فكرت قط فى الزواج ؟ » .. وأجابته :

« ليس لدى اهتمام قوى بهذه المسألة » .

« اذن ما رأيك فى الزواج من صديقنا اردهانارى ؟ » .

ولم تبد بانكاجا اعتراضا على توجيه هذا السؤال اليها ، ولكنها تجنبت الاجابة بالهروب الى موضوع آخر .

وبعد بضعة أسابيع أثير نفس الموضوع عرضا وقالت بانكاجا وهى تضحك :

« ويحك يا جوبى .... هل أصبحت عبئا ثقيلا عليك ؟ » .

ثم انخرطت فى البكاء . فالفتيات وخصوصا اللائى فقدن أمهاتهن يصبحن حساسات جدا ويصبح شعورهن مرهفا للغاية .

« أيتها البلهاء .... لا تتحدثى عن كونك عبئا على أو أننى سئمتك ... فقط أخبرينى اذا كانت فكرة الزواج تهمك ، واذا كانت اجابتك بالرفض فان ذلك سيسعدنى لأننى فى هذه الحالة سأبقيك دائما معى » .

قال ذلك وهو يمسح دموعها ثم أردف قائلا :

« والدتنا توفاها الله ومن هناك ليسألك عن شعورك نحو الزواج ؟ »

وقالت بانكاجا :

« اذا تقرر ذلك فاننى سأتزوج .... ولكن ما أسباب اثارة ذلك الموضوع الآن ؟ » .

« يبدو أنكما معجبان كل بالآخر ولما كنا لم نعد نهتم بالطائفية أو الطبقة فلماذا لا تتزوجينه ؟ » وقالت باتكاجا :

« طبعا لم نعد نهتم بالطائفية ولكننا لا نعرف بعد شعوره نحو هذا الموضوع » .. وأجابها شقيقها :

« لا تدعى هذا يقلقك فانه لابد أن يعتبر نفسه محظوظا جدا ان حصل على زوجة مثلك » . وكان متأكدا أنه لا توجد فى العالم من تقارن بشقيقته .

ولما علم أردهانارى بذلك فاقت سعادته كل الحدود ولكنه بعد لحظة أطرق برأسه واجما ثم قال :

« ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ... جوفنداراو !! » وتساءل جوفنداراو :

« لماذا ؟ هل هناك أى موانع ؟ » . وقال اردهاناري :

« المانع هو ما بين طائفتينا من فارق كبير » . وأجاب جوفنداراو ضاحكا :

« أوه ... لا تتحدث عن موضوع الطوائف ... فهذا هراء ... من هم البراهمة ومن هم غير البراهمة ؟ لقد كففنا عن التفكير فى مثل هذه الأشياء منذ زمن طويل فاذا كنتما تتبادلان المحبة وقررتما الزواج نهائيا فلن يزعجنا موضوع الطوائف . »

كان اردهاناري قد أخبرهم من قبل أنه من مقاطعة كويمباتور وأنه من أتباع الالهة « داليفا » وأتباع هذه الالهة قوم نباتيون من طائفة ذات مكانة عالية ، ولكنهم ليسوا من البراهمة .

وكان تصريحه هذا فى أحد المناسبات كنوع من التفاخر ولم يستطع أن يتراجع بعد ذلك . وكان خجلا من الاعتراف بحقيقة طائفته . وفى دلهى كان هناك قليلون يعرفون أسلافه أما فى بنجالور فلم يكن هناك أحد يعرف شيئا عن طائفته .

وتساءل اردهاناري : « وما رغبة بانكاجا ؟ » .

« يبدو أن بانكاجا تميل اليك واجاباتها على أسئلتى تدل على أنها راغبة فى هذا الزواج » .

وقال اردهاناري : « أليس من اللائق أن أسألها وأعلم منها بنفسى » .

وأجابه جوفنداراو : « نعـــم » .

وهكذا أقفل الموضوع وقرر أن يصارح بانكاجا بالحقيقة مهما كانت العواقب ولكنه فى آخر الأمر عدل عن قراره وساءل نفسه :

« لماذا أتطوع باخبارها بذلك . اننى لو فعلت فان جوفنداراو وبانكاجا سوف يمقتاننى . لقد صرحا بأنهما لا يؤمنان بنظام الطوائف وما فيه من فروق بينهما . ولكن اذا حدث وعلما أننى من طبقة المنبوذين فانهما سوف لا يوافقان اطلاقا على الزواج وسأعتبر كاذبا فى نظرهما » .

وفى اليوم التالى أعاد التفكير فى الموضوع ثانية وتوجه الى منزل جوفنداراو وقد عزم على مصارحته بالحقيقة ولكنه وهو فى طريقه تنازعته الأحاسيس مرة أخرى وناقش نفسه قائلا :

« اذا كنا نحب بعضنا نحن الاثنين فلماذا أثير موضوع الطوائف ؟ ولماذا

نولى هذا الظلم هذا القدر من الاهتمام ؟ من خلق نظام الطوائف ؟ أليس هذا النظام أكذوبة فلماذا اذن أعيره ذلك الاهتمام الكبير وأصارحها بالحقيقة ؟ لماذا أصارحها وأفسد كل شيء ! لقـد قالا لى بصراحة أنهما لا يهتمـان بموضـوع الطوائف ؟ اذن لماذا أعود اليه على الاطلاق ؟ » ٠

وصمم على اخفاء الحقيقة ٠

وسألها : « بانكاجا ٠٠٠ هل تحبيننى حقا ؟ وهل سنتزوج ؟ ونعيش معـا » ٠٠ وقالت بانكاجا :

« ولكن هل ترغب أنت فى ذلك ؟ » ٠

وكان والدى اردهانارى ـ مونيابان ـ وشقيقه رانجـا ووالدته كوبابيى يعيشون فى حى المنبوذين فى كوكالاى ٠ وكان اردهانارى يرسل اليهم عشرين روبية شهريا بانتظام عندما كان فى دلهى أو فى بنجالور وكانت هذه تعتبر منحة ملكية بالنسبة اليهم وكانوا يعيشون بها فى سـعادة بالغة ولم يكونوا يعلمون بمرتب نحاس ولكن عشرين روبية فى الشهر كانت ثروة بالنسبة لهم ٠

ولسوء الحظ كان « مونيابان » مدمنا على الشراب ولما بدأت النقود تصله بانتظام شهريا فان حالته ازدادت سوءا ولم يكن ذلك يعجب رانجا ولكنه لم يستطع أن يمنع ادمان والده ٠

وكان رانجا مدرسا فى مدرسة بالقرية ولم يكن متزوجا ولما كانت والدته تلح عليه ليتزوج كان يقول :

« ليس الآن ٠٠٠ فلننتظر قليلا » ٠ وكان دائما يماطل فى هذه المسألة ٠
وكان اردهانارى بعد نقله الى بنجالور معتادا أن يزور أهله مرتين فى السنة ولما وجد أن والده قد أدمن الخمر أحس ، بخجل لا يوصف ، ولم يطق قذارة المنزل وعدم ترتيبه ، وكان يبقى لديهم يوما أو يومين ثم يسرع بالعودة ٠

وكان والده يقول وهو يتأهب للعودة الى بنجالور :

« سنذهب معك يا اردهانارى » وكان اردهانارى يجيبه :

« لا قطعا ٠٠٠ فلو رأوك معى فانهم سيفصلوننى » وكان رانجا يوافق قائلا :

« نعم يا أبى ٠٠٠ فأمثالنا لا يجب أن يذهبوا هناك » ٠

ولما كان يرسل لهم نقودا باستمرار فانهم لم يكونوا يطيلون المناقشة فى هذا الموضوع وهكذا سار الحال على هذا المنوال فترة من الزمن وكان اردهانارى

يرى أن الأنسب له أن يرحل لأبعد من هذا البلد فى الشمال بعد زواجه وكانت الأفكار تتجاذبه بين الحين والحين فيخاطب نفسه قائلا :

« ولو أنهم فى غاية الود وحسن المعاملة معى الا أنهم لو علموا أننى من طبقة المنبوذين فلابد أن تتعقد الأمور وحتى لو لم يبدوا اعتراضا على ذلك فانهم لو شاهدوا تصرفات وعادات أبى فلابد أن بانكاجا ستتقزز ولن تنظر الى وجهى بعد ذلك » . وبتكرار مثل هذا الحديث مع نفسه ، كان اردهانارى يؤكد تصميمه على اخفاء الحقيقة .

وقرر أن يعجل بالزواج ما أمكن ثم يرحل للشمال وأرسل خطابات لمديرى شركته طالبا نقله الى مصنع آخر للنسيج فى الهند الشمالية .

وفى يوم من الأيام فاجأته بانكاجا قائلة :

« اردهانارى اننى أود حقا أن أرى والدتك .. لقد قررنا أنه يجب أن نأخذ اجازة ونذهب نحن الثلاثة الى كويمباتور والى أماكن أخرى .. فما رأيك ؟ » .

وقال جوفنداراو أيضا :

« لا يوجد الآن عمل كثير فى المكتب وسيناسبنا تماما الأسبوع الأول من الشهر القادم » .

وأسرعت ضربات قلب اردهانارى وقال :

« أوه ... نعم ... نستطيع أن نفعل ذلك ولكننى تلقيت اليوم خطابا يفيد أنه هناك كوليرا بشكل وبائى خطير فى قريتنا » .

وانزعجت بانكاجا لسماع هذا النبأ وقالت :

« كوليرا !! هل طلبت من أهلك الانتقال لمكان آخر ؟ لماذا لا تطلب منهم الحضور الى هنا ؟ » .. وقال اردهانارى :

« هذا نفس ما كنت أفكر فيه الآن ! » .

وبعد ثلاثة أيام تلقى اردهانارى خطابا من رانجا يقول فيه : « تحياتى للأخ الاصغر اردهانارى ... انتشرت الكوليرا بشدة هنا وكان عدد الوفيات كبيرا ونحن فى خوف ... لا زال الوالد على ما تركت ولا يسمع نصحنا . نفذت كل النقود التى أرسلتها هذا الشهر . واذا استطعت أن ترسل ثلاثين روبية فسنغلق المنزل ونذهب الى مقاطعة سالم حتى يزول الخوف من الكوليرا .. أخوك المحب رانجا !! » .

وأصابت اردهانارى الدهشة والانزعاج وتساءل :

« ماذا يعني هذا ؟! ما قلته خداعا ينقلب حقيقة !! لعل الله يختبرني ! » .
ولم يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل ، وبعد تفكير قرر أن يرسل النقود في اليوم التالى . ولم يغمض لاردهانارى جفن تلك الليلة ، وساورته أفكار سيئة . وأفكار مخجلة وكلما تذكر والده شعر باشمئزاز وعاودته مرارا الرغبة فى أن تقضى الكوليرا على والده ويزيح عنه كل هذا الشقاء .

وفى اللحظة التالية كان يلوم نفسه على هذه الأفكار .

ومضى ليلته ينقلب قلقا فى فراشه وفى الصباح أخذ حماما باردا .

وأحضر ساعى البريد خطابات وكما توقع كان من بينها خطاب آخر من القرية وفض الخطاب بأيد مرتجفة وقرأ .

« أصيب والدك بالكوليرا .. نحن فى خوف بالغ .. لابد أن ننقذنا فلم يبق معنا فلس ! ـ رانجا » .

واغبر وجه أردهانارى عندما قرأ الخطاب وظل جالسا فى مقعده لفترة طويلة . ولم يرسل أى نقود ذلك اليوم .

ولم يرسل أى نقود فى اليوم التالى كذلك . وسألته بانكاجا :

« كيف حال الكوليرا فى قريتكم ؟ » .. وأجابها :

« أخشى أنها لا زالت خطيرة » .. وسأله جوفنداراو :

« هل سكر القهوة كاف ؟ » .. وأجابه اردهانارى :

« نعم انها جيدة جدا » .

ولما عاد الى منزله كان هناك خطاب آخر فى انتظاره .

« ظهرت بوادر الكوليرا على الوالدة أيضا .. انك لم ترسل لنا بعد أى نقود .. نحن فى حالة يائسة .. احضر حالا ـ رانجا » .

ولم يرسل اردهانارى نقودا ذلك اليوم أيضا فقد تحول قلبه الى صخر وكان يقول لنفسه :

« والآن سيختفى ذلك الوجه المخجل من حياتى الى الأبد . وهذا الحل يبدو أنه من كرم الله وليس هناك دين أو عدل أعلى من مشيئته ولماذا أحاول أن أفسدها ؟ اذا مات أبى وماتت أمى فلن يبقى هناك مانع من زواجى من بانكاجا » .
وفجأة سمع صوتا يصيح به مؤنبا : « ويحك .. ما هذه الأفكار الشريرة أيها الرجل الشرير ؟ » .

وعندما أدار رأسه رأى بانكاجا تقف خلفه وخشى أن يكون سره قد انكشف .

وبعد فترة عاد لذهنه صفاؤه وعرف أن أحدا لم يتكلم وان ذلك كان وهما فى مخيلته ·· وسألها :

« كيف دخلت بدون أن تحدثنى أى صوت ؟ · وضحكت بانكاجا وهى تقول :

« لقد قرعت الباب ثلاث مرات ثم دخلت · هناك شىء يقلقك ولهذا لم تسمعنى وأنا أدخل » · وقال اردهانارى :

« يجب أن أذهب الى قريتى ·· يبدو أن وباء الكوليرا قد ازداد سوءا ·· والدى ووالدتى هناك يجب أن أعمل بعض الترتيبات لأجلهما » ·· وأجابته :

« نعم ·· كان المفروض أن تقوم بهذا منذ فترة طويلة ·· اذا توجهت لهناك الآن فيجب أن تكون فى غاية الحرص ويجب أن لا تأكل أو تشرب شيئا أثناء تواجدك هناك » ·

وتوجه اردهانارى الى سالم فى ذات الليلة ولكن بدلا من التوجه مباشرة الى كوكالاى فقد تمهل فى الطريق ولم يبلغها الا بعد أربعة أيام ·

وكانت والدته قد توفيت ولحق بها المسكين رانجا ولم ينج الا والده السكير الذى ظل حيا واستعاد صحته · وتوسل الى اردهانارى قائلا :

« خذنى معك الى بنجالور ·· ماذا سأفعل هنا بعد ما حدث ؟ » ·

ولكن اردهانارى أصم أذنيه عن رجاء أبيه فقد غدا قلبه كأنه قد من صخر وقال لوالده :

« سأرسل لك نقودا كافية ويجب أن تبقى هنا ولا تسألنى أن أصحبك معى لأننى لا أستطيع أن آخذك معى » ·

وتضرع الوالد لولده كالطفل الصغير وقال وهو ينتحب :

« لا أستطيع البقاء هنا » ورفض اردهانارى الاستجابة لدموعه وكان يقول لنفسه :

« كيف أتخلى عن بانكاجا !! » ولم يستمع الى توسلات ونحيب والده ·

وفى اليوم التالى دس ورقة مالية من فئة العشر روبيات فى يد والده وسافر الى سالم ·

« يا للهول !! ماذا جنيت ؟ لقد قتلت والدتى وأخى ! لماذا فعلت ذلك ؟! » ·

« هل يوجد من هو أشر منى فى هذا العالم ؟ كيف أخذل والدى هكذا ؟! ماذا سأقول لبانكاجا ؟ » ·

واستغرقته هذه الافكار حتى لم يستطع أن يغمض له جفن فى القطار • وعندما وصل الى بنجالور قطع المسافة كلها الى منزله سائرا وهو شارد الفكر وهناك أغلق الباب على نفسه واستلقى على فراشه • ولم يخطر جوفنداراو أو بانكاجا بعودته ولم يذهب الى مقر عمله كذلك •

وفى نفس الليلة أخذ متاعه وذهب مرة ثانية الى محطة السكة الحديد وابتاع تذكرة الى سالم • وهناك سمع أن رجلا من طائفة المنبوذين قد انتحر بالقاء نفسه فى بئر فى كوكالاى • ولما بلغها علم أن الرجل كان والده بالذات •

وقال شخص ان رجال الشرطة يقومون بالتحقيق فى قضية السكير موبيابان •• ولم يتوجه الى قسم الشرطة ولكنه غافل الجميع وانسل الى سالم وعاد بالقطار الى بنجالور •

وقال اردهانارى . « بانكاجا يجب أن تحاولى أن تنسينى ! » •

وأجابته بانكاجا : « سأفعل ذلك فيما بعد •• ما أخبار سالم ؟ » •

وقال اردهانارى : « لقد توفى الجميع •• وذلك لاننى لم أفعل ما كان يجب ان أفعله . ولقد فقدت كل اهتمامى بالحياة الآن •• سأستقيل من وظيفتى واذهب الى قريتى •• أرجو أن تنسينى » •

ونظرت اليه بانكاجا نظرتين أو ثلاث ثم فزعت واندفعت مهرولة لتخبر أخاها •

وأصيب اردهانارى بالحمى • وفى أول الأمر أعلن الطبيب أنه مصاب بالتمود ثم قال انه مصاب بحمى فى المخ ولزم الفراش ما يزيد عن الشهر •

ولازمه جوفنداراو وبانكاجا ملازمة مستمرة طوال الوقت وفى نهاية الأسبوع الرابع هبطت الحمى وقال الطبيب :

« لم يعد هناك سبب للقلق •• وعما قريب سيتحسن وسيتمكن من الجلوس فى سريره » •• وقال اردهانارى :

« انا من طبقة المنبوذين •• أنا مذنب •• أنا فى الحقيقة من طائفة المنبوذين •• كاذب •• اننى أتبرأ من الزواج •• بربك انسينى » •

وتجيب بانكاجا ضاحكة :

« ماذا يهمنى من أى طائفة تكون ؟ لماذا يجب أن نفترق ؟ » ولم يوافق اردهانارى وقال :

« أنت لا يهمك الى أى طائفة أنتمى وأنا أعلم ذلك •• ولكننى قاتل •• لقد قتلت والدى ووالدتى •• » وقص عليهم القصة كاملة ••

ولما شفى من علته استقال من منصبه وعاد الى كوكالاى وهو الآن ناسك يدير مدرسة فى معبد ماريامان •

يعرف « بريم تشاند » (١٨٧٨ ــ ١٩٣٦) بوجه عام بأنه أعظم الكتاب الروائيين وكتاب القصة القصيرة باللغة الهندية .

ولد في أسرة من الطبقة المتوسطة الفقيرة في شمال الهند ولقد كان « دهانبات راى سرى ستافا » ــ وهذا اسمه الحقيقي ــ نتاج ثقافة هندية ايرانية ونشأ في بيئة كانت تستخدم كلا اللغتين الأردية والهندية كلاما وكتابة .

وخلال سنيه الخمس والستين كتب عشر روايات وحوالى ٢٥٠ قصة قصيرة . وكان انتاجه المبكر باللغة الأردية ولكنه تحول الى الكتابة باللغة الهندية عام ١٩١٤ .

تميز صباه وشبابه بالفقر المدقع والمآسى العائلية فقد توفى والداه ولما يبلغ العشرين ولحقت بهما زوجته الصغيرة .

تقلد وظائف حكومية صغيرة وبعد مجموعته الأولى من القصص القصيرة « سوز ــ وطن » الذى حظر نشرها عام ١٩٠٧ لنبرتها الوطنية العالية ، بدأ الكتابة تحت اسم مستعار هو بريم تشاند .

كان تولستوى وغاندى مرشديه روحيا وأدبيا . وكان متأثرا كذلك بفيكتور هوجو وروماں رولاند .

وكان لماركس وفرويد تأثيرهما الواضح في ذلك الحين على المثقفين الهنود ولم يكن بريم تشاند بعيدا عن ذلك التأثير ولكنه لم يكن يؤمن بالوسائل الثورية ولذلك صار أكثر ميلا الى تعاليم غاندى .

وفي عام ١٩٢٠ عندما بدأ غاندى حركة « عدم التعاون » مع الانجليز استقال بريم تشاند من وظيفته وكرس كل وقته للكتابة .

عرف بريم تشاند الريف الهندى معرفة مباشرة عن كثب وصور حياة الفلاحين بصدق مذهل ونظرة ثاقبة وتفهم عميق وتعاطف . وكان كاتبا خلاقا من الطراز الأول ، كما كان دؤوبا ومستعدا للجهاد في سبيل الوصول الى

المستوى الذى يهدف اليه وتأثر تأثرا عميقا بما يقاسيه مواطنوه تحت وطأة الاستعمار وقدم احتجاجه فى قالب أدبى لا يبارى وبدون مرارة · وتوفى عام ١٩٣٦ ·

وقد قاسى طوال حياته من الافلاس المزمن واعتلال صحته · وبالنسبة له فان الشهرة والاعتراف به جاءاه بعد الوفاة · وقد تم طبع أشهر رواياته وأكثرها طموحا ألا وهى « جودان » قبل وفاته ببضعة أشهر فقط ·

وترجم الى اللغة الهندية قصه برنارد شو « العودة الى ميتيوثيل » وقصص تولستوى القصيرة ورائعة أناتول فرانس « تاييس » ·

وقصة الكفن المذكورة هنا قد صيغت فى قالب رائع · وبقراءتها تستطلع بعض الزوايا المهملة فى عقولنا وتواجه مباشرة أبعادا للحياة لا تجد لها اجابة على هذا الجانب من القبر !!

ولقد قال سومرست موم مرة : « ان المال هو الحاسة السادسة التى تمكننا من التمتع بباقى الحواس الخمس والحرمان من المال يجعل المرء يتصرف كالحيوان » ·

ان هذه الواقعية العارية فى « الكفن » مخيفة ولكن بالرغم من ذلك ففيها اقتصاد فى الكلمات وبعد عن الاغراق فى العاطفية يضعان بريم تشاند ضمن أعظم رجال القصة القصيرة فى الهند ·

الكفن

عند باب الكوخ وأمام نار خبت جذوتها جلس الأب والابن وفى الداخل استلقت « بودهيا » زوجة الابن الصغيرة تعانى آلام المخاض ، وبين الحين والحين كانت تطلق صرخات تمزق القلب كانت كافية لازعاجهما ٠

كانت ليلة شتاء وبدت الطبيعة خرساء وكان الظلام يخيم على القرية ٠ وقال « جيشو » الأب :

« يبدو أنها لن تعيش ٠ لقد كان يوما محموما ٠٠٠ لماذا لا تذهب لتلقى نظرة عليها ؟ » وقال « مادهاف » متوترا :

« اذا كان لابد أن تموت فلماذا لا تعجل بالموت ؟ ماذا أستطيع أنا أن أفعل حيال ذلك ؟! » وأردف جيشو :

« يا لك من فظ غليظ القلب ٠٠ لقد جعلتك سعيدا لعام كامل والآن تبدو بهذه القسوة ؟! » ٠

« ربما ٠٠٠٠ ولكننى لا أتحمل أن أراها تتقلب وتتلوى » ٠

كانت أسرتهما من العمال غير المهرة وكانت لديهم سمعة سيئة فى القرية ٠

وكان جيشو اذا عمل يوما استراح ثلاثة وكان مادهاف عديم الأمانة فى عمله الى حد أنه بعد كل نصف ساعة عمل كان يدخن لمدة ساعة !!

ولم يكن العمل يخطر على بالهما ان كان بالمنزل حفنة من الأرز ٠ وكان اذا برح بهما الجوع تسلق جيشو شجرة وأسقط بعض الأغصان الجافة يحملها مادهاف للسوق لبيعها ٠

وطالما كان لديهما مال فانهما يتكاسلان ثم يدفع بهما الجوع ثانية لجمع بعض الحطب أو البحث عن عمل ٠

ولم تكن هناك ندرة فى الأعمال فى القرية فقد كانت قرية زراعية حيث الحاجة دائمة للأيدى العاملة ، وعلى أية حال فان هذين الشخصين لم يكن يحتاج اليهما الا عندما يضطر صاحب العمل لانجاز عمل رجل واحد برجلين ٠

ولو كان جيشو ومادهاف قد تحولا الى طبقة النساك التى تستجدى قوتها لكانا سعيدين حقا لأنهما كانا بطبيعتهما قانعين وكانا ذوى صبر لا ينفد ٠

كانت حياتهما غريبة وكان كل ما يملكانه بضعة أوان طينية فى الكوخ وتغطى عوراتهما أسمال بالية ، وهكذا كانا يطفوان على سطح الحياة غير مبالين بما حولهما وكانا غارقين فى الديون يقاسيان من الاهانات والتحقير وحتى الضرب لم ينجوا منه ٠٠٠٠ ولكن ٠٠٠ هل ألقيا بالا لذلك ؟!

وكانت حياتهما بائسة الى حد أن بعض القوم كانوا يقرضونهما مبالغ زهيدة وهم يعلمون ضآلة فرصة استعادتها ٠

وعندما كان يحل وقت الحصاد كانا يسرقان البطاطس والبسلة ويقومان بسلقها وأكلها أو يخلعان أعواد قصب السكر ويمصانها ليلا ٠

وقضى جيشو أعوامه الستين فى حياة لا استقرار فيها ولا ضمان وخطا ابنه البار على نفس الدرب وفى الحقيقة فان الابن فاق أباه الذى تمرس بهذه النوع من الحياة طويلا ٠

وكانا جالسين أمام النار التى خبا أوارها يشويان البطاطس التى سلباها من حقل أحد الزراع ٠

وكانت زوجة جيشو قد توفيت منذ مدة طويلة ولكن مادهاف كان قد تزوج السنة الماضية فقط ٠ ومنذ حضور « بودهيا » للكوخ حاولت جاهدة أن تشيع فيه نوعا من النظام وكانت تطحن الغلال أو تقطع الحشائش لتشترى قدحا من دقيق القمح يلتهمه هذان المخلوقان اللذان لا يعرفان الخجل ولم تؤد المعاملة الكريمة الا الى زيادة فى تكاسل هذين الطفيليين ، بل لقد أدت الى غرورهما فكانا ان عرض عليهما عمل يطلبان ضعف الأجر بلا خجل ٠

والآن وهذه المرأة تكاد تموت من آلام الوضع كان الاثنان ينتظران موتها حتى يمكن أن ينعما بالنوم فى هدوء ٠

وقال جيشو وهو يلتقط قطعة من البطاطس من الرماد وينزع قشرتها :

« هيا الق نظرة عما يحدث بالداخل ٠٠ لابد أن هذا من فعل أرواح شريرة ٠٠٠ ولكن استدعاء أحد الأطباء السحرة سيكلفنا روبية على الأقل » ٠

وخشى مادهاف أنه ان دلف الى الداخل فان جيشو سيزدرد معظم البطاطس وأجاب :

« أنا أخشى الدخول هناك » ٠٠ وأردف جيشو :

« ما يخيفك هناك وأنا هنا ؟ » ٠٠ فقال مادهاف :

« لماذا لا تدخل أنت ؟ » ٠٠ وقال جيشو :

« عندما توفيت امرأتى فاننى لم أتحرك من قربها لثلاثة أيام متواصلة ولكن ٠٠٠٠ ألا تخجل زوجتك منى ؟ وأنا الذى لم أر وجهها طوال هذه المدة ٠٠ أيجب أن أراها فى عريها المخجل ؟ يا له من موقف بالنسبة لها ولو رأتنى فانها لن تتمكن من التلوى والتقلب بحرية » ٠

« ان ما يقلقنى هو ماذا سنفعل لو ولد طفل ؟ فليس لدينا عسل أسود أو زيت أو زنجبيل جاف فى المنزل » ٠

« كل شىء سيتوفر ٠٠ ليهبنا الله الطفل أولا فان القوم الذين كانوا يبخلون علينا بالنحاس سوف يقدمون لنا الفضة ٠ لقد رزقت بتسعة أولاد ولم يكن بالمنزل شىء ولكن الله ساعدنى بطريقة ما على الوصول الى بر الأمان » ٠

وفى مجتمع ليس نصيب الفلاح الكادح فيه أفضل كثيرا من حظ هذين الرجلين وحيث ينعم فقط أولئك الذين يستغلون الفقراء فان هذا الموقف لم يكن مستغربا ويمكننا القول أيضا بأن جيشو كان أعقل من الفلاحين ٠ فبدلا من اتباع قطيع الفلاحين الذين لا يفكرون ، فانه قد انضم الى صفوف المتقاعدين الكسالى مع أنه كانت تنقصه الوسائل ليتبع عادات ومبادىء هذه القبيلة !

وهكذا فبينما وصل بعض أعضاء القبيلة الى أماكن الزعامة والرئاسة فى القرية فانه كان ينظر اليه باحتقار ولكن ما كان يعزيه أنه بالرغم من فقره وعوزه فانه لم يضطر لأن يعمل حتى نصف عمل الفلاحين وأن أحدا لم يستطع استغلال بساطته وبؤسه !!

واستمر كلاهما فى التقاط البطاطس من النار وازدرادها ساخنة كالجمر فلم يكونا قد أكلا شيئا منذ أمس ولم يستطيعا الانتظار حتى تبرد ٠

واحترق لسانهما مرارا ٠ فحين تنزع قشرة البطاطس عنها فان سطحها لا يبدو ساخنا ولكن حالما كانت تقضم فان جوفها كان يلسع اللســان وسقف الحلق والبلعوم وكانت المجازفة أكبر فى ابقاء الكرات المحترقة فى الفم بدلا من ابتلاعها لأنه توجد داخل المعدة استعدادات أكبر لتبريدها وهكذا فانهما واصلا ابتلاعها بسرعة ولو أن المجهود كان قد أدمع عيناهما ٠

وتذكر جيشو حفل زواج تاكور الذى حضره منذ عشرين عاما فان الاحساس بالمتعة والشبع فى هذا الحفل جعله خالدا فى مخيلته وظل يتذكره الى هذا اليوم . وقال جيشو :

« لا أستطيع أن أنسى هذا الحفل .. ومنذ ذلك الحين لم يملأ معدتى مثل هذا الطعام فان أهل العروس أطعموا الجميع صغارا وكبارا أطباقا من الياغورت وخبزا محمرا فى زبد صافى وثلاثة أصناف من الخضروات طبخت جافة وأخرى بالزبد والكارى والبهارات .... عدا الحلوى والفاكهة . كيف لى أن أصف الآن كم كانت هذه الوليمة شهية . ولتعلم أنه لم تكن هناك أنصبة محددة لا يتعداها الفرد ، بل كان كل شىء متوفرا وبأى كمية تريدها ... وأكل القوم وأكلوا حتى لم يعد هناك موضع لرشفة ماء . وبالرغم من ذلك فان الخدم والوا تقديم المشروبات وكنا نعترض بتغطية الأطباق بأيادينا ولكنهم كانوا يملئونها رغما عنا . وبعد أن اغتسلنا قدموا لنا ورق البيتل وحب الهان . ولكن كيف أنظر الى البيتل وحب الهان وأنا لا أقوى على الوقوف على رجلى .. وهرعت الى فراشى ومددت نفسى عليه . لقد كان تاكور حقا رجلا سخيا » .

وقال مادهاف وهو يستطعم كل هذه الشهيات فى مخيلته :

« لا أحد يقدم لنا مثل هذه الولائم هذه الأيام » .. وأجاب جيشو :

« وكيف يستطيعون ؟ لقد كانت تلك الأيام مختلفة .. الآن الكل يفكر فى التدبير والاقتصاد .. لا تنفق على حفلات الزواج ... لا تنفق على مراسم الدفن ... اننى أسألهم ماذا سيفعلون بكل هذه النقود التى أخذوها من الفقراء ؟ فان الأخذ مستمر والاقتصاد فى الصرف فقط » . وسأله مادهاف :

« لابد أنك قد أكلت حوالى عشرين رغيفا » .

« أكثر من عشرين » .

« لقد كنت آكل خمسين » .

« أنا لم آكل أقل من الخمسين .. لقد كنت ضخما وأنت لا تبلغ حتى نصفى » .

وانتهيا من أكل البطاطس وشربا بعض الماء واستلقيا قرب النار وهما يغطيان جسديهما بعباءتيهما وقد ثنيا ركبتيهما أسفل بطنيهما كثعبانين ملتفين .

واستمرت بودهيا فى الأنين .

وفى الصباح دخل مادهاف الكوخ وكانت زوجته راقدة باردة وقد فارقت الحياة وكان الذباب يحوم حول وجهها وتسمرت عيناها الجامدتان شاخصتين لأعلى ، وكان جسدها مغطى بالتراب والطفل ميت داخل الرحم .

وهرع مادهاف خارجا الى جيشو وأخذ الاثنان يصرخان ويولولان بصوت عال وهما يضربان على صــدريهما ٠ وسمع الجيران عويلهما وأقبـلوا يقدمون التعازى الواجبة للمسكينين ٠

ولكن لم يكن هناك فسحة من الوقت لكثير من العويل فكان يلزم الحصول على كفن وخشب حريق لاحراق الجثة وكان المال نادرا فى المنزل ندرة اللحم فى عش الحدأة ٠

وهرع الأب والابن الى عمدة القرية وهما يبكيان وكان العمدة يكره حتى مجرد النظر اليهما وكان قد ضربهما بيديه بين الحين والحين مرة للسرقة ومرة أخرى لعدم حضورهما فى الموعد المحدد للعمل ٠ وقال العمدة بتكبر :

« ماذا حدث يا جيشو ؟ ولم هذا العويل ؟ اننا لم نعد نراك هذه الأيام ويبدو أنك لا تستطيب الحياة فى هذه القرية » ٠

ولمس جيشو الأرض بجبهته وهو يقول بعينين مغرورقتين بالدموع :

« أنا فى محنــة شديدة يا ســيدى ٠٠ لقد توفيت امرأة مادهاف الليلة السابقة ٠ وكانت تقاسى آلاما شديدة طوال الليل يا سيدى وجلسنا بجانبها طوال الليل ٠٠٠٠ وأمددناها بما يلزم من الدواء ولكنها رحلت عنا ٠٠ والآن لا يوجد شخص يمدنا بالخبز ٠٠ لقد حل علينا الخراب وقضى على منزلنا ٠٠ أنا عبدك يا سيدى ٠٠٠ ومن غيرك سيجعل الاجراءات الأخيرة ممكنة ٠٠ ولقد صرفنا كل ما معنا على دوائها ويمكن حرق جثتها فقط لو تعطف سيدى ٠٠٠٠ وأى باب أطرق غير بابك ؟! » ٠

وكان قلب العمدة رحيما ولكن فعل الخير لجيشو كان عملا لا طائل تحته وكان أول ما خطر له أن يقول له بجفوة : « أغرب عن وجهى ٠٠ انك لا تحضر أبدا عندما أرسل فى طلبك ، والآن تأتى وتتذلل الى لأنك فى مسيس الحاجة أيها الخسيس الفاشل » ٠

ولكن لم تكن المناسبة لغضب أو جزاء ٠

وألقى العمدة اليهما بروبيتين وهو يشتعل غضبا فى داخله فى صمت ، دون أن ينظر اليهما أو يقدم كلمة تعزية كان كمن يلقى عن كاهله عبئا ثقيلا ٠

والآن وقد تبرع العمدة بروبيتين كيف يجرؤ مرابو القرية أو أصحاب الحوانيت على الرفض !!

وعرف جيشو جيدا كيف يستغل كرم العمدة وأعطاه بعضهم قطعة من ذات الأناتين وأعطى البعض الآخر أنات أربع ٠٠٠ وفى غضون ساعة كاملة كان

قد جمع خمس روبيات كاملة · وجانب ذلك كله كان قد حصل على بعض الحبوب من هنا وبعض الحطب من هناك ·

وعند الظهيرة توجه جيشو ومادهاف الى السوق لشراء الكفن · وقام بعض الأفراد بقطع أخشاب البامبو وأخشاب أخرى ·

وأقبلت طيبات القلب من نساء القرية يلقين النظرة الأخيرة على جثمان المتوفية ورجعن وهن يذرفن الدموع على مصير بودهيا المسكينة ·· وعند وصولهما للسوق قال جيشو :

« لدينا حطب كاف لاحراق جثمانها ··· أليس كذلك يا مادهاف ؟ » ·

وأجاب مادهاف :

« نعم لدينا الكفاية ··· وما نحتاجه الآن هو الكفن » ·

« اذن دعنا نشترى واحدا رخيصا » ·

« طبعا ·· سيكون الظلام قد حل عند اخراج الجثة ·· ومن سيرى الكفن فى الظلام ؟ » ·

« يا لها من عادة سخيفة ·· أن تلك التى لم تجد خرقة لستر جسدها فى حياتها يلزم لها كفن جديد عند موتها !! » ·

« ولكى يحرق مع الجسد ليس الا !! » ·

« وعدا ذلك لو كان لدينا هذه الروبيات الخمس فى وقت مبكر لأمكننا شراء بعض الأدوية لها » ·

وكان كلاهما يعرف ما يدور بخلد الآخر · وتجولا فى السوق متنقلين من محل بيع أقمشة الى آخر ، وشاهدا أنواعا مختلفة من الأقمشة ··· من الحرير ··· ومن القطن ولكنهما لم يستقر رأيهما على شىء حتى حل الظلام · ثم – وكأن قوة خفية تجذبهما – وجدا أنفسهما أمام حانة وكأنما كانت الزيارة مقررة من قبل فقد دخلا ومكثا برهة واقفين لا يستقران على رأى ثم تقـــدم جيشو الى « البار » قائلا :

« أيها الساقى ···· الينا بزجاجة » ·

وتبع الزجاجة بعض الأطعمة الخفيفة والسمك المقلى ، وجلس الاثنان فى الشرفة وأخذا يحتسيان الخمر فى تعاقب سريع حتى انتشيا · وقال جيشو :

« وما فائدة الكفن ؟! انه ســيحترق على أية حال ومن المســتحيل أن يرافقها » ·

ونظر مادهاف الى السماء كمن يتضرع الى الآلهـة لكى تشهد على براءته وقال :

« هكذا سنة الحياة ... والا لماذا يعطى الناس آلاف الروبيات لطائفة البراهمة ؟ ومن يعلم ان كانت هذه العطايا ستسترد فى العالم الآخر ؟ » .

« لدى الأغنياء مال فليبددوه اذا شاءوا .. ولكن ماذا نملك نحن من مال يمكن أن نبدده ؟ » .

« ولكن ماذا سنقول للناس ؟ ألن يسألوا أين الكفن ؟ » .

وضحك جيشو قائلا :

« سنقول لهم ان النقود سقطت من الحزام وفقدت فى الطريق .. واننا قد بحثنا جيدا ولكننا لم نعثر عليها .. ولن يصدقنا القوم ولكنهم سيعطوننا بعض المال مرة أخرى على أية حال » .

وضحك مادهاف أيضا على هذا الحظ غير المنتظر وقال :

« لقد كانت روحا طيبة تلك الفتاة المسكينه .. فانها لا تزال تطعمنا حتى فى موتها » .

وكانا قد أتيا حتى ذلك الوقت على نصف الزجاجة تقريبا وطلب جيشو بعضا من الشطائر والخبز والمربى والمخللات واللحم .

وكان الحانوت على الناحية المقابلة من الطريق وهرع مادهاف الى الحانوت وعاد حاملا ما لذ وطاب على ورقتين عريضتين من ورق الشجر .

وكانا قد أنفقـا روبية ونصـف حتى الآن وبقى لديهما بعض دريهمات قليلة ....

وجلسا يأكلان بشهية كبيرة كأسد يلتهم فريسته فى الغاب . ولم يأبها بأحد . فلا رد على سؤال أو خشية نقد من المارة فقد كانا قد ألقيا وراء ظهرهما هذه الوساوس منذ فترة طويلة . وتفلسف جيشو قائلا :

« ألا تظن أنها ستكافأ فى العالم الآخر على ما قدمته لنا من بهجة ؟ » .

وأحنى مادهاف رأسه باحترام موافقا .

« طبعا ستكافأ .. يا الهى ... أنت أعلم بكل القلوب وأرجوك ارسالها الى الجنة فنحن نباركها من أعماق قلوبنا فاننا لم نذق مثل هذا الطعام من قبل » .

وبعد برهة ساورت مادهاف الشكوك فتساءل :

« نحن أيضا سنذهب هناك يوما ما ... أليس كذلك يا أبتاه ؟ » .

ولم يجب جيشو على هذا التساؤل الساذج فلم يكن يرغب أن يعكر صفو متعته الآن بالتفكير فى العالم الآخر . وأكمل مادهاف كلامه :

« لنفترض أنها ستسألنا هناك لماذا لم تعطيانى كفنا ؟ ماذا سنقول ؟ » .

« هـــراء » ..

« ولكنها لابد ستسأل ؟ » .

« كيف لك أن تعلم أنه لن يكون لديها كفن؟ أتحسبنى أبله الى هذا الحد؟ » .

« أتظننى لم أتعلم شيئا طوال هذه السنين الستين .. سيكون لديها كفن أحسن مما يخطر على بالك » .

ولم يقتنع مادهاف وتساءل :

« من سيقدم لها الكفن ؟! لقد ابتلعت أنت النقود . وسنتلقى اللوم على أنا الذى وضعت القرمز على جبينها » (كناية عن الزواج فى الهند) .

وقال جيشو غاضبا :

« لقد قلت لك انها ستحصل على كفن .. لماذا لا تصدقنى ؟! » .

« لماذا لا تقول من سيقدم لها الكفن ؟ » .

« نفس الأشـــخاص الذين قدموه من قبل وربما لن يضعوا النقـــود فى أيدينا » .

وعندما اشتد الظلام وازداد لمعان النجوم ازداد النشاط فى الحانة وأطلق أحدهم عقيرته بالغناء وثرثر ثان وتعانق ثالث مع صديق ودفع آخرون بالكئوس الى شفاه رفقائهم . وانتشى الجو فى الحانة وثمل الهواء وثمل البعض من الدورة الأولى للكئوس وكان الهواء والجو أقوى مفعولا من الخمر .

وكان القوم قد انجذبوا الى الحانة هربا من متاعب الحياة لينسوا لبرهة ان كانوا أحياءا أو أمواتا أو حتى ان كان لهم وجود على الاطلاق .

واستمر هذان الشخصان ـ الأب والابن ـ يشربان ويمرحان وثبتت جميع الأعين عليهما . أى حظ عظيم أن يكون لهما زجاجة كاملة لا يشاركهما فيهـــا أحـــد !! » .

ولما امتلأت بطونهما أعطى مادهاف ما تبقى من الخبز والشطائر الى سائل كان واقفا ينظر اليهما بعيون نهمة . ولأول مرة فى حياته شعر بفخر وعظمة ونشوة « الاعطاء » :

« خذ هذا واملأ معدتك وبارك لها ــ فان هذا يخص شخصا توفاه الله ــ ولكن ابتهالك لابد أن يصل اليها · دع كل شعرة فى جسدك تباركها فان هذه النقود كانت صعبة المنال » · ونظر مادهاف للسماء قائلا :

« انها ستذهب الى الجنة يا أبتاه ··· وستكون ملكة فى الجنة » ·

ونهض جيشو واقفا كمن يطفو على أمواج السعادة وقال :

« نعم يا ولدى ·· ستذهب الى الجنة ·· انها لم تضايق أو تنتهر أى شخص هنا ، وبموتها حصلنا على أعظم ما نمنيناه فى حياتنا ·· فان لم تذهب الى الجنة أتظن أن أولئك المتخمين سيذهبون اليها ··· هؤلاء الذين ينهبون الفقراء يمينا ويسارا ، ويغسلون ذنوبهم فى نهر الجانجيز ويقدمون القرابين فى المعابد ؟ ·

وسرعان ما تبدلت حالة التوقير والتبجيل تبدلا سريعا ــ فان عدم الاستقرار على حالة واحدة هى صفة أصيلة للسكارى ــ واستولت عليهما نوبة من الحزن واليأس وقال مادهاف :

« لقد قاست البائسة الكثير فى حياتها يا أبتاه وكم كانت وفاتها مؤلمة » ·

وغطى عينيه براحتى يديه وطفق يبكى وينتحب بصوت عال ·· واساه جيشو قائلا :

« لماذا تبكى يا ولدى ؟ أولى بك أن تسعد لأنها تحررت من شباك الأوهام بهذه السرعة » ووقف الاثنان وبدآ فى الغناء :

« لماذا هذا السحر فى العيون أيها الجمال الزائف ؟ » ·

وتركزت عليهما عيون كل رواد الحانة بينما استمر غناؤهما غير شاعرين بما حولهما ·

ثم أخذا يرقصان ووثبا وقفزا ودارا وتمايلا وصخبا وفى النهاية سقطا على الأرض مخمورين فاقدى الوعى ·



استقالة

استقالة

ان الكاتب النمطى فى مكتب من المكاتب حيوان آخرس · فانك ان قطبت جبينك فى وجه أحد العمال فانه يرد عليك بالمثل · واذا سببت أحد الحمالين فسيلقى بحمله على الأرض ، واذا أهنت شحاذا فسيجد طريقة لتصغير شأنك وحتى الحمار فانه سوف يركلك برجليه الخلفيتين اذا آذيته أكثر من اللازم · ولكن الأمر ليس كذلك مع كاتب حسابات المكتب · قطب له جبينك ، تعال عليه ، أهنه ··· اضربه فانه سيتحمل كل هذا فى صمت ·

ان لديه السيطرة على مشاعره الى الحد الذى لا يصل اليه ممارس اليوجا بعد سنين طويلة من التكفير وضبط النفس ·· انه صورة من القناعة والرضى ونموذج للصبر وتجسيد للاخلاص ، ومثال للتبجيل ، ومجموعة تضم جميع الفضائل · وبالرغم من ذلك فان الحظ لا يبتسم له قط ·

وحتى سقف القش لعشة حقيرة لفلاح بائس له دوره فى الالتقاء بالحظ ···· ففى ليلة « الديوال » ليلة احتفالات المصابيح فانه يضاء وينعم بحمام من المطر ويسعد برؤية تغير الفصول ولكن رتابة حياة الكاتب لا تتغير قط ، ولا يوجد اطلاقا أى شعاع من النور فى الظلام المحيط به · كما لا يوجد نور الابتسامة قط على وجهه · وكان « لالا فاتح تشاند » من أعضاء هذه الفصيلة البكماء من فصائل الجنس البشرى ·

يقولون ان للاسم تأثيرا على الشخصية لحد ما · واسـم « فاتح تشاند » يعنى قمر النصر ولكن من شخصية بطلنا هذا يبدو أنه من الملائم أن نسميه « عبد الهزيمة » فقد فشل فى عمله وفشل فى حياته الخاصة وكان فاشلا بين أصدقائه وأحاطت به خيبة الأمل والفشل احاطة السوار بالمعصم ·

ولم يكن له ولد بل ثلاث اناث . ولا اخوة بل شقيقتان لزوجته ولا شيء من المال يلجأ اليه فى الشدائد · وكان الجود والطيبة طبيعتين فيه وكان معنى ذلك أنه كان يستغل الجميع · وفوق ذلك فانه كان دائمـــا عليل الصحة وفى سن الثـــانية والثلاثين كان شعره خليط الملح والفلفل · وقد خبا بريق عينيه وساء جهازه الهضمى وكان شاحب الوجه غائر الوجنتين ساقط الكتفين ولم تكن هناك شجاعة فى قلبه ولا قوة فى دمائه ·

وكان يذهب الى عمله فى التاسعة صباحا ليعود فى السادسة مساء وبعد ذلك كله لم يكن يتوفر له الجهد ليغادر منزله ولم يكن يدرى ما يدور فى العالم خارج حوائط مكتبه أو منزله · وكانت حياته الحاضرة والمستقبلة ونعيمه وجحيمه فى عمله · ولم يكن يهتم بالدين ولا بالترويح عن النفس ولا حتى بالخطيئة وكان لا يتذكر آخر مرة لعب فيها الورق فقد مضى عليها عهد طويل ·

وكان الشـــتاء قد حل وتناثرت بعض السحب فى السماء وعنـــدما عاد « لالا فاتح تشاند » فى الخامسة والنصف مساء كانت الشموع قد أضيئت قبيل وصوله وكالعادة فانه استلقى لمدة عشرين دقيقة على سرير خفيف فى الغرفة المظلمة قبل أن يستجمع ما يكفى من الطاقة لفتح فمه !!

وكان لا يزال راقدا هناك عندما علا ضجيج فى الخارج وسمع صوتا يناديه وخرجت ابنته الصغيرة تستطلع الأمر وعادت لتقول انه ساع من المكتب وفى تلك اللحظة كانت زوجته « شاردا » تغسل بعض الأوعية بالرماد قبل أن تقدم الطعام لزوجها وقالت للفتاة :

« اسأليه ماذا حدث ؟ لقد عاد لتوه من المكتب ولماذا يريدونه ثانية ؟ » ·

وقال الساعى :

« ان المدير يريده ويقول ان الأمر فى غاية الأهمية » ·

وقطعت تلك الضجة على « لالا فاتح تشاند » غفوته القصيرة ورفع رأسه المتعب عن سريره متسائلا :

« من هناك ؟ » · وأجابته « شاردا » :

« انه الساعى من المكتب » ·

« الساعى !! لماذا ؟ هل يريدنى المدير ؟ » ·

« نعم ·· انه يقول انه يريدك لأمر هام ·· أى نوع من الرجال مديرك هذا ؟ يبـــدو انه يريد دائما ·· ألم يكفه ما أخذه منك اليوم ؟ قل له انك لن تستطيع الذهاب ·· وأسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن يفصلك من ذلك العمل البائس ·· دعه يفعل ذلك » ·· وتمتم « فاتح تشاند » وكأنه يخاطب نفسه :

« لقد أنهيت كل شيء ·· لماذا يريدني ؟ هذا شيء غريب !! » ·

ثم صاح للساعي الذي كان لا زال واقفا بالخارج :

« انني قادم » · ونهض استعدادا للذهاب وقالت « شاردا » :

« كل شيئا ·· فانك لو بدأت الحديث مع الساعي فانك ستنسى كل شيء آخر » ·

وأحضرت له وعاء به بعض العصيدة المصنوعة من العدس · وكان فاتح تشاند قد نهض ليذهب ولكنه ما ان رأى ذلك الطعام المنشط حتى جلس ثانية ونظر اليه بنهم ثم سأل زوجته :

« هل أكل الأولاد شيئا منه ؟ » ·

وأجابته « شاردا » بغضب كأنها كانت تنتظر ذلك السؤال :

« نعم نعم لقد حصلوا على نصيبهم والآن كل نصيبك » ·

وفي هذه اللحظة ظهرت الابنة الصغرى ووقفت بالقرب منهما ونظرت اليها « شاردا » بعيون يتطاير منهما الشرر وقالت :

« ماذا تفعلين هنا ؟ هيا أخرجي والعبي بالخارج » ·

وقال فاتح تشاند :

« لا تخيفي الطفلة ·· هيا يا « شاني » تعالي واجلسي هنا وخذي بعضا من هذا » ·

ورنت « شاني » في خوف نحو والدتها ثم انطلقت الى الشارع ·

وقالت « شاردا » :

« ليس هناك الكثير منه كما ترى ·· وليس هناك ما يكفيك منه حتى تتخلى عنه لغيرك ، فلو قدمت شيئا منه ، فستطلب الأخرتان نصيبهما منه كذلك » · وفي هذه اللحظة نادى الساعي من الخارج قائلا :

« يا سيدي لقد تأخر الوقت » ·

وقالت « شاردا » :

« لماذا لا تقول له انك لا تستطيع الذهاب في مثل هذا الوقت من الليل » ·

« وكيف أستطيع ؟ وأنا أعتمد عليه في معاشي » ·

« انك تدعه يرهقك بالعمل حتى الموت ·· هـل نظرت الى وجهك فى المرآة ؟ انك تبدو كما لو كنت مريضا منذ ستة شهور » ·

والتهم « فاتح تشاند » بضعة ملاعق من العصيدة بسرعة وشرب كوب ماء وأسرع خارجا · ولم ينتظر حتى نفرغ شاردا من اعداد الطبق الرئيسى لعشائه ·

« لقد استغرقت وقتا طويلا يا سيدى ·· والآن دعنا نسرع والا فان المدير سيبدأ فى السباب حالما يراك » ·

وحاول « فاتح تشاند » أن يركض لبضع خطوات ولكنه سرعان ما أقلع عن ذلك قائلا :

« فليسب اذا شاء ·· أنا لا أستطيع أن أركض ·· هل هو فى بيته أم فى المكتب ؟ » ·

وقال الساعى :

« ولماذا يكون فى المكتب ؟ هل هو ملك أو مهرج ؟ » ·

وكان الساعى معتادا على السـير بسرعة وعلى العكس فقد كان الكاتب « فاتح تشاند » معتادا على السير ببطء · ولكن كيف سيعترف بذلك ؟ فلقد كانت لديه بقية من كبرياء وحاول جاهدا أن يساير صاحبنا ولكن دون جدوى وشعر بألم فى ضلوعه وضيق فى تنفسه ودارت رأسه وتصبب جسده عرقا لزجا واسودت الدنيا أمام عينيه ·

وحذره الساعى منتهرا اياه :

« أسرع الخطى يا حضرة الكاتب ··· انك بطىء للغاية » ·

ووجد « فاتح تشاند » صعوبة فى الكلام وقال :

« اذهب أنت وأخطره أننى سأحضر فى التو » وانتحى جانبا على الرصيف وجلس وأمسك برأسه بين يديه وجذب أنفاسا عميقة · ولما رآه الساعى على هذه الحال صمت ولم يقل شيئا وأكمل طريقه ·

وكان « فاتح تشـاند » يخشى ما عسى أن يقوله هـذا الشيطان للمدير الانجليزى وقام من جلسته بمجهود وبدأ السير ثانيـة وكان بمقدور طفل أن يصرعه أرضا ولكنه تحامل بطريقة ما وتعثر حتى وصل الى بيت المدير · وكان المـدير يذرع الشرفة ذهابا وايابا وكان ينظـر بين الحين والحين الى البـوابة ويستشيط غضبا عندما يرى أن أحدا لم يصل بعد · وعندما رأى الساعى صرخ فيه قائلا :

« أين كنت طوال هذا الوقت ؟ » ٠

وأجاب الساعى وهو يقف على درج المنزل :

« سيدى ٠٠ لقد تأخر « فانج تشاند » حتى أننى لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك ٠٠ وكما ترى فاننى ركضت طوال المسافة عائدا الى هنا » ٠

وقال المدير فى لهجة هندية رديئة :

« ماذا قال ؟ » ٠

« انه قادم ٠٠ لقد استغرق حوالى الساعة ليخرج من منزله » ٠

وفى هذه الأثناء وصل « فانج تشاند » الى الساحة الواسعة أمام المنزل واقترب يحيى المدير وهو ينحنى انحناءة شديدة وانتهره المدير قائلا :

« لماذا تأخرت هكذا ؟ » ٠ ولما رأى فانج تشاند سحنة المدير تجمد الدم فى عروقه ٠

« سيدى ٠٠٠ لقد غادرت المكتب منذ فترة وجيزة ولكن حالما نادانى الساعى فاننى غادرت منزلى بأسرع ما استطعت » ٠

« انك تكذب ٠٠ اننى أنتظر هنا منذ ساعة » ٠

« سيدى ٠٠ أنا لا أكذب ٠٠ ربما قد استغرقت وقتا أطول من المعتاد فى السير لأننى أشعر بوعكة ولكننى غادرت المنزل وقت أن نادانى الساعى » ٠

ولوح المدير بالعصا التى كانت فى يده وكان يبدو أنه مخمور وصاح :

« اخرس أيها الخنزير ٠ اننى كنت واقفا هنا منتظرا لأكثر من ساعة ٠٠ امسك أذنيك واطلب الصفح !! » ٠

« أنا لم أرتكب خطأ » ٠ وصاح الانجليزى المخمور :

« أيها الساعى اجذب أذنى ذلك الخنزير » ٠ وأجاب الساعى فى صوت خفيض ولكنه حازم :

« سيدى ٠٠ انه كذلك رئيسى ٠٠ كيف أستطيع أن أجذب أذنيه ؟ » ٠

« اجذب أذنيه ٠٠٠ أنا آمرك بذلك وان لم تفعل فسأضربك » ٠

وأجاب الساعى :

« سيدى ٠٠ لقد حضرت للمكتب لكى أشتغل لا لكى اضرب وأنا ـ كذلك ـ عندى احترامى لنفسى وكرامتى ٠ يستطيع سيدى أن يعفينى من عملى ٠٠ أنا

مستعد لأن أطيع كل أوامرك ٠٠ ولكننى لا أستطيع أن اهين كرامة شخص آخر ٠٠ لن أحتفظ بهذه الوظيفة للأبد ولن أستطيع أن أعادى العالم من أجل هذه الوظيفة » ٠

ولم يستطع المدير أن يكبح جماح غضبه وهرع نحو الساعى والعصا فى يده وعلم الساعى أنه لا أمان له فى البقاء فنكص على عقبيه وولى الأدبار ٠ ووقف « فاتح تشاند » صامتا مسمرا فى الأرض ٠

ولما لم يستطع المدير اللحاق بالساعى فانه تحول اليه وأمسك بأذنيه وهزه قائلا :

« أيها الخنزير ٠٠ انك متمرد عاص اذهب وأحضر الملف من المكتب » ٠

وقال « فاتح تشاند » وهو يتحسس أذنيه « أى ملف يا سيدى ؟ » ٠

« أى ملف ٠٠٠ أى ملف ٠٠٠ هل أنت أصم ٠٠٠ أنا أريد الملف ٠٠٠ هل تسمع ؟ » ٠

واستجمع « فاتح تشاند » بعض الشجاعة وتساءل فى احتقار :

« أى ملف تريد ؟ » ٠

واستبدت به الحيرة ٠ وكان المدير رجلا سريع الغضب بطبيعته وزيادة على ذلك فقد كان ثملا بسلطته ، كما كان ثملا بالخمر التى احتساها أيضا ولم يكن أحد يستطيع أن يتنبأ بما سيفعله بعد لحظة ولهذا فان « شاند » سار بهدوء فى الطريق الذى يوصله الى المكتب ٠٠ وصاح المدير : « اركض » ٠

وقال الكاتب : « سيدى ٠٠ لا أستطيع أن أركض » ٠

« أرى انك تتكاسل ٠٠ أليس كذلك ؟ سأريك كيف تجرى » ٠

قال ذلك وركله بقدمه من الخلف ٠ كان « فاتح تشاند » كاتبا بالمكتب ولكنه كان بشرا كذلك ولو كانت لديه أى قوة ما كان تحمل مثل هذه الاهانات من سكير ، ولكن طالما كان الأمر كذلك فانه كان من غير المجدى أن يقاوم فهرع نحو الباب ووصل الى الطريق ٠

ولم يذهب « فاتح تشاند » الى المكتب فان المدير لم يبين له أى ملف بالضبط كان يريد ولعله كان مخمورا الى حد ظن فيه أنه ليس من الضرورى أن يخطره بذلك ٠ وابتدأ سيره فى اتجاه منزله ببطء لأن الألم والكرب اللذين سببتهما هذه الاهانات وضعا أغلالا فى قدميه ٠

حقا — لقد كان المدير أقوى منه بنية بكثير ، ولكن الم يكن ممكنا على الأقل أن يفصح له قليلا عما فى قلبه وعما يدور فى خلده ؟ لماذا لم يخلع حذاءه ويلطمه

به على وجهه ؟ ولكن ···· أكان ذلك يجدى ؟ لقد كان فى استطاعة الانجليزى أن يرديه قتيلا بالرصاص وفى أسوأ الأحوال كان سيحكم عليه بالسجن بضعة شهور أو بغرامة قدرها ثلاثمائة أو أربعمائة روبية ولكنه هو الذى كان سيقاسى· كانت أسرته كلها ستتحطم فلم يكن هناك أحد ليرعى أولاده بعد موته . ولعلهم كانوا قد هلكوا جوعا فى الطرقات · ولكن ـ لماذا لم يقدر له أن يكون أكثر ثراء · فلو كان لديه قليل من المال يستعين به على الحياة · لما تحمل هذه المعاملة · انه لم يكن ليبالى كثيرا لو أنه قتل بعد أن يعطى درسا ملائما لهذا العربيد المستأسد على الضعفاء · انه لا يخشى الموت من أجل نفسه فلم تكن هناك ملذات كثيرة فى حياته يأسف على فراقها ··· فقط زوجته وأولاده هم الذين كان يخشى عليهم ·

ودارت خواطر كثيرة فى رأسه وهو فى الطريق ··· لماذا أهمل صحته الى هذا الحد · كان من اللازم أن يحمل معه دائما مدية ··· كان يجب أن يصفع المدير على وجهه ··· ربما ضربه أتباع وخدم المدير حتى يفقد وعيه أو حتى يموت ··· وحينئذ سيعلم الجميع أن هناك من وقف فى وجه الطغيان · وعلى كل حال فانه لابد وأن يموت يوما وحينئذ لن يتمكن من رعاية أهله وكان سيوجد بعض الشرف فى هذه الميتة ·

وألهبته هذه الفكرة الأخيرة حتى أنه نكص على عقبيه متجها الى منزل المدير ولكنه بعد خطوات قليلة تردد وعاد ، فمن المحتمل جدا أن يكون السيد قد توجه الى النادى · وما جدوى استجلاب متاعب أخرى · ان ما حدث كان يكفى · وسألته « شاردا » حال وصوله للمنزل :

« لماذا استدعاك ؟ لقد تأخرت كثيرا » ·

واستلقى « فاتح تشاند » على كرسيه قائلا :

« لقد كان ثملا ·· وقد أهاننى ··· ذلك الشيطان ·· لقد سبنى ·· لقد كان الشيء الوحيد الذى ظل يكرره هو قوله « لماذا تأخرت ؟ » ولقد طلب من الساعى أن يجذب أذنى » ·

وأجابته « شاردا » غاضبة :

« لماذا لم تضربه بالحذاء على وجهه ؟ » ·

واستطرد « فاتح تشاند » :

« ان الساعى رجل حسن الخلق فقد قال للمدير بصراحة : سيدى ·· أنا لست فى خدمتك لاهانة قوم محترمين ·· ثم حياه وانصرف » ·

« لقد كانت شجاعة منه . لماذا لم تخطر الانجليزى برأيك فيه ؟ » .

« ولكننى فعلت ‥ لقد أعطيته أكثر من ابداء رأيى فيه فاندفع نحوى رافعا عصاه وخلعت حذائى وضربنى بالعصا فضربته بالحذاء » .

وطربت « شاردا » وقالت :

« حقا ؟ لابد أن وجهه كان يستحق النظر اليه حينذاك ! » .

« لقد كان شكل وجهه كمن مر عليه شخص بمقشة » .

« لقد أحسنت صنعا ‥ لو كنت أنا هناك ما كنت تركته حيا » .

« حسنا ‥ لقد ضربته ولكن الأمور ستتعقد الآن . ولا أعلم ماذا سيحدث ؟ سأفقد وظيفتى طبعا وقد أوضع فى السجن ! » .

« ولماذا توضع فى السجن ؟ أليس هناك عدالة فى هذا العالم ؟ لماذا أهانك ؟ لقد كان البادىء بضربك ‥ أليس كذلك ؟ » .

« لن يستمع الى أحد ‥ حتى القضاة سيكونون فى صفه » .

« لا تهتم لذلك ‥ وسترى الآن ‥ فلن يجرؤ انجليزى على أن يعامل مرءوسيه هكذا » .

« لقد كان من الممكن أن يطلق على النار » .

« ولقد كان من الممكن أن يراه أحد وهو يفعل ذلك » .

وقال « فاتح تشاند » مبتسما :

« وماذا كان سيحدث لك حينئذ ؟ » .

« كان الله سيتولانا برعايته ‥ ان أعظم الأشياء عند الرجل هو أن يحافظ على شرفه ‥ فاذا فقدت شرفك فانك لا تستحق أن تعنى بأولادك وبما أنك ضربت ذلك الشيطان فاننى فخورة بك ولو كنت تحملت الاهانة صامتا لكرهت حتى النظر الى وجهك ‥ ولعلى كنت لن أقول لك شيئا ولكنى كنت سأفقد كل احترام لك فى قلبى » .

واستطردت « شاردا » فى صوت هادىء رزين :

« والآن فمهما تكون النتائج فاننى سأواجهها بسرور ‥ هيه ... الى أين أنت ذاهب ؟ اسمع ... اسمع » .

وخرج « فاتح تشاند » من المنزل كالمجنون وكررت « شاردا » صياحها

خلفه ولكنه لم يجب · لقد كان متوجها الى بيت المدير ولم يعد ذلك الذليل الذى يرتعد من الخوف بل لقد رفع رأسه فى كبرياء · وكانت قسمات وجهه تعكس عزما من حديد · كان رجلا آخر فبدلا من ذلك الكاتب الواهن الشاحب بلا حياة · كان هناك ذلك الشجاع النشط الآدمى القوى يسير الى هدف وغاية ·

وقصد أولا الى منزل صديق له واقترض عصا قوية طويلة ثم توجه الى منزل المدير ·

وكانت الساعة التاسعة مساء وكان السيد جالسا الى عشائه ·· وفى ذلك اليوم · لم ينتظر « فاتح تشاند » حتى ينتهى السيد من عشائه فحالما وضع الخادم الطعام على المائدة وتوجه الى المطبخ أزاح « فاتح تشاند » الستار ودخل المنزل · وكانت الغرفة تسبح فى نور الكهرباء وكان يغطى الأرض بساط جميل باهظ الثمن الى حد أن « فاتح تشاند » لم ير له مثيلا حتى فى يوم زفافه ·

ونظر السيد اليه بأعين تتميز غضبا وصاح :

« أخرج ··· لماذا دخلت بدون اذن ؟ » ·

ورفع « فاتح تشاند » العصا وهو يقول :

« لقد طلبت الملف ·· وقد أحضرت الملف ·· أكمل عشاءك وسأريك اياه بعد ذلك ·· وحتى ذلك الحين سأظل جالسا هنا ·· هيا تمتع بعشائك فقد يكون الاخير » ·

وصعق السيد ونظر الى « فاتح تشاند » وقد بدا على قسمات وجهه تعبير نصفه خوف ونصفه غضب · وأدرك أن الرجل يائس وكان يعلم أنه ضعيف البنية ولكن كان من الواضح أنه أتى جاهزا لان يرد الصاع صاعين ، أو سيلقمه حجرا مقابل الطوبة ··· لا ··· بل قطعة من الحديد ·· واعترى السيد الخوف ·· فمن السهل أن تضرب كلبا طالما كان لا يزمجر ولكنه ان كشر عن أنيابه فلسوف تعدل عن تصميمك ·

وكان هذا بالضبط شعور السيد · فطالما كان « فاتح تشاند » يتقبل الاهانات ··· وحتى الضرب وهو صامت فان السيد كان يشعر بالقوة ولكنه كان الآن فى حالة نفسية أخرى ·

وكان يراقب كل حركة منه كالقط ، فقد تراجع السيد عن عزمه بعد أن خذلته ارادته · وكان يعلم أن كلمة واحدة نابية ستؤدى الى ضربه من تلك العصا ··· حقا ··· لقد كان من الممكن أن يفصله وحقا كان من الممكن أن يضعه فى السجن ولكنه كان يعلم أنه لن يمكنه أن يتجنب الفضيحة والمتاعب ·

وهكذا فأنه ـ كأى رجل بعيد النظر ـ قد استحال لكونه رجلا دبلوماسيا دمث الأخلاق وقال :

« أيها الرجل العزيز ٠٠ يبدو انك متضايق منى ٠٠ ما سبب هذا الضيق ؟ هل قلت شيئا أغضبك ؟ » ٠

« من نصف ساعة شددت أذنى وقلت لى مائة مرة اننى أحمق ملعون ٠٠ أيمكن أن تنسى بهذه السهولة أيها السيد ؟ » ٠

« شددت أذنيك !! لابد أنك تمزح ٠٠ هل تعتقد أننى مخبول ؟ » ٠

« ان ساعى المكتب شاهد على ذلك ٠٠ وكان خدمك أيضا يراقبون ما يحدث » ٠

« متى فعلت كل ذلك ؟ » ٠

« منذ نصف ساعة مضت ٠٠ لقد أرسلت فى طلبى ، ثم شددت أذنى ثم ضربتنى » ٠

« حقا !! الحقيقة يا صديقى لابد أن أعترف أننى كنت قد أفرطت فى الشراب قليلا فان الساقى كان قد قدم لى كمية من الشراب أكثر مما يجب ٠ ولا أتذكر شيئا ـ يا الهى ٠٠٠ هل فعلت هذا ؟ » ٠

« لو كنت قد أطلقت على النار وأنت ثمل فهل كنت لا أموت ؟ اذا كان كل شىء مغفورا لمن أفرط فى الشراب أو للمخمور فاننى أنا الذى فى هذه اللحظة مفرط فى الشراب وقرارى هو أن تمسك أذنيك وتطلب عفوى وتقسم أنك لن تعامل الناس هكذا مرة ثانية والا لقنتك درسا ، واياك أن تجرؤ على الحركة ففى اللحظة التى ستترك فيها مقعدك سأحطم جمجمتك ٠٠ والآن امسك أذنيك » ٠

وحاول السيد أن يضحك وهو يقول :

« حسنا يا صديقى ٠٠ ان لديك روحا للدعابة ٠٠ أليس كذلك ؟ وان كنت قد قلت لك شيئا غير لائق فاننى أرجو صفحك » ٠

وقال « فاتح تشاند » وهو يلوح بعصاه :

« امسك أذنيك » ٠٠ ولم يكن الانجليزى راغبا فى المضى فى تلك العملية المهينة بتلك السهولة فقفز من مقعده وحاول أن يخطف العصا من يد « فاتح تشاند » ولكن « فاتح تشاند » كان مستعدا لذلك وقبل أن يغادر الانجليزى المائدة هوى « فاتح تشاند » بالعصا على رأسه العارى وطنت آذنا السيد وأمسك رأسه بيديه لمدة دقيقة ثم قال : « اننى سأفصلك » ٠

« لا يهمنى ذلك ·· ولكننى اليوم لن أرحل قبل أن تجذب أذنيك وتقسم أنك لن تعامل الناس مثلما عاملتنى اليوم وان لم تفعل ذلك توا فان الضربة الثانية آتية » ·

ورفع العصا عالية · ولم يكن السيد قد نسى بعد الضربة الأولى · وفى الحال وضع يديه على أذنيه قائلا :

« ها هو ··· على أنت راض الآن ؟ » ·

« ألن تسب أحدا بعد ذلك ؟ » ·

« لا ··· » ·

« اذا فعلت ذلك فى يوم من الأيام فتذكر أننى لست عنك ببعيد » ·

وقال الانجليزى فى لهجته الهندوستانية الرديئة :

« لن أسب أحدا بعد اليوم » ·

« حسنا ·· والآن سأتركك ·· ومن اليوم لست موظفا عندك ·· سأرسل لك استقالتى المكتوبة باكرا مسببا اياها بأنه نظرا لسلوكك الردىء واستئسادك على الضعفاء فاننى لا أرغب فى الخدمة تحت امرتك » ·

« ولكن علام الاستقالة ؟ أنا لن أفصلك » ·

« أنا لا أرغب أن أخدم أكثر من ذلك تحت امرة رجل فظ سيىء الأخلاق مثلك هذا هو السبب » ··

وبقوله هذا غادر « فاتح تشاند » الغــرفة ، وبرأس صافية قفل راجعا لمنزله ·

لقد كان يشعر بنصر حقيقى وبحرية شخصية ولم يكن فى أى لحظــة من حياته ، قد شعر بالسعادة التى يشعر بها الآن ·



ولد « ملك راج أناند » في ١٢ ديسمبر ١٩٠٥ في « باشهاوار » وهى ولاية على الحدود الشمالية الغربية للهند · وكان والده ينتمى الى جماعة صانعى المشغولات الفضية والنحاسية · ولكنه التحق بعد ذلك بالجيش البريطانى الهندى · وكانت والدته من فلاحات بنجاب الوسطى ·

وحسب قوله فانه لم يتلق تعليما ذا قيمة فى مدارس وكليات بنجاب ولكنه عوض بعض ما كان ينقصه من حسن الفهم حين كان يجرى أبحاثه للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى « يونيفرستى كولدج » فى جامعة لندن وكذلك فى كامبردج ·

وقد كتب عن نفسه أنه تأثر بطاغور واقبال وتولستوى وجوركى وم· فورستر ومالرو وسيلين وهنرى ميللر والكاتب الصينى لوهسون ·

وهو يكتب باللغة الانجليزية ومن رواياته « المنبوذ » عام ١٩٣٥ و « كولى » عام ١٩٣٦ و « المياه السوداء » عام ١٩٤٠ و « السيف والمنجل » عام ١٩٤٢ و « سبعة أصياف » عام ١٩٤٨ و « الحياة الخاصة لأمير هندى » عام ١٩٥١ ·

وقام لأعوام عدة بتحرير مجلة « مارج » وهى مجلة شهرية تصدر بالانجليزية وتتخصص فى الفنون ·

وعمل كذلك فترة أستاذا للكرسى الذى يحمل اسم طاغور فى الفن والأدب فى جامعة البنجاب فى تشاندى جار وهو يعتبر أن الانجاز الرئيسى للأدب الهندى الحديث هو التركيب البنائى المشترك من القيم الغربية والقيم الهندية والذى نتج عنه مجهودات متجددة لخلق دقة الاحساس والوعى الحديث ·



نقابة الحلاقين

نقـــابة الحلاقين

« مهداه الى جون ليهمان »

لشاندو ـ حلاق قريتنا الغلام ـ مكان بين صانعى الهند الحديثة ، ولكن حقه فى شغل هذا المكان سوف يغمط . ما لم يلح بشدة واصرار على العرفان بمساهمته في التاريخ · وقد استندت مطالبة شاندو باقرار فضله ـ فى الحقيقة ـ الى عمل جرىء ، لم يكن يدرى معناه على أكمله · ولكن ـ على نقيض معظم عظماء الهند اليوم ـ لم يؤت اذ ذاك فكرة عن أهمية تنطوى على مغالاة ، وان كان قد اشترك معهم فى نوع من الغرور الساذج ، كان فى بعض الأحيان يدعو للقلق ، وفى أحيان أخرى يدعو للافتتان ·

كنت أعرف « شاندو » منذ آن كان يرتدى قطعة من الأسمال فى وسط جسمه المكرش ، وأيام أن كنا نتمرغ معا فى وحل أزقة قريتنا . نلعب مقلدين الشرطة ، أو أصحاب المتاجر أو الكتاب أو غير ذلك من ألعاب صغيرة كنا نبتكرها تسلية لنفسينا أو لوالدتينا ، اللتين كانتا وحدهما ـ دون كل الكبار ـ تتنازلان بمتابعة ما نفعل ·

كان شاندو يكبرنى بحوالى ستة أشهر ، وكان دائما يتزعمنى فى كل الأمور ، وكنت أتبعه راضيا ، لأنه كان عبقريا حقا فى الامساك بالزنابير وفى اعتصار السم من ذيولها . وفى ربط سيقانها الدقيقة بخيط قطنى وحملها على الطيران ، بينما كنت أصاب بلدغات فى خدى اذا جسرت على الاقتراب ـ أى اقتراب ـ من حافة بئر القرية ، حيث كانت هذه الحشرات تستقر على البرك الصغيرة كى تشرب منها ·

ولما كبرنا ، ظل يبدو لى تجسيدا للكمال لأنه كان قادرا على صنع الطائرات الورقية وارسالها في الهـواء ، فى تصـميم معقـد ، وتوازن ما كنت أستطيع تحقيقه ·

والمؤكد أنه لم يكن موفقا مثلى فى المسائل الحسابية فى المدرسة ، ولعل هذا لأن أباه أخذ يعلمه - فى سن مبكرة - مهنـة طائفة الحلاقين الوراثية ، ويرسله لقص الشعر فى القرية ، فلم يكن يملك وقتا للواجبات المنزلية التى كان مدرسنا يكلفنا بها · ولكنه كان أفضل منى فى القاء الشعر - فى أى يوم - لأنه لم يكن يستذكر عن ظهر قلب القصائد التى فى كتاب الدراسة فحسب ، بل كان بوسعه أن يردد صفحات النثر - التى لا نهاية لها - فى ذلك الكتاب بطريقة تجعلها تبدو كالشعر ·

امتعضـت أمى من كون شاندو قد فاز بمنحة تعطيه الحق فى مجانية التعليم ، بينما كنت مضطرا لدفع الرسوم المقررة كى أتعلم ، فكانت لا تنى تثنينى عن اللعب معه ، قائلة ان شاندو كان ابن حلاق من طائفة دنيا ، وأن من الخليق بى أن أراعى وضع طائفتى وطبقتى · ولكن ، مهما تكن الآراء المتأصلة التى ورثتها عن أسلافى ، فاننى يقينا لم أرث أى شعور بالاستعلاء · والواقع أننى كنت أستحى دائما من علامة الطائفة الحمراء التى كانت أمى تضعها على جبينها فى كل صباح ، ومن النمط الشكلى للسترة الطويلة ، والسروال (البنطلون) القطنى الضيق ، والحذاء الموشى بالذهب ، والعمـامة الحريرية ، التى كنت أرتديها · وكنت أتوق الى ارتداء كل ذلك الخليط العجيب الشكل ، الذى كان شاندو يرتديه ··· سروال قصير (شورت) من « الكاكى » منحه اياه السويدار - الضابط - المتقاعد ، وصديرية من المخمل الأسود البالى ، مزينة فى طولها وعرضها بأزرار صـدفية ، وقلنسوة من اللبـاد ، كانت يوما لمحـامى قريتنا « لالا هوكام شاند » · وكنت أغبط شاندو لحرية التنقل التى أستمتع بها بعد موت أبيه بالطاعون اذ كان يقوم بجولة لحلاقة اللحى وقص الشعور فى بيوت أعيان الطائفة الراقية فى كل صـباح ، ثم يغتسل ، ويرتدى ثيـابا عادية ، ويختلس الرحيل الى المدينة - وكانت تبعد ستة أميال - على مسند القدمين فى العربة المغلقة الجوانب ، التى كان « لالا هوكام شاند » ينتقل بها الى المدينة · ولكن شاندو كان كريما معى · كان يعرف أننى نادرا ما أصطحب الى المدينة ، وأننى كنت أضطر الى أن أتكبد المشى ثلاثة أميال مضنية الى مدرسة ثانوية - فى قرية « جواديالا » الكبيرة - والخوف يملأ قلبى ، فى حين أنه أعفى تماما من محنة سياط المدرسين القساة ، لأنه ترك المدرسة بعد وفاة أبيه · لهذا كان يحضر لى دائما شيئا من المدينة كهدية : فرشاة للرسم ، أو مدادا ذهبيا أو طباشير أبيض ، أو مدية ذات حدين لشحذ أقلام الرصاص ، وكان يسليني بأوصاف طويلة بهيجة لتنوع الأشياء التى كان يراها فى أسواق الحضر ·

وكان يسهب بوجه خاص في وصفه لدقائق الأزياء الانجليزيه من الثياب التي كان يرى السادة الانجليز والمحامون ، والحجاب ، (الشابراسي) ورجال الشرطه يرتدونها في محكمة المنطقه . حيث كان ينتظر ليعود متعلقا بمؤخرة مركبة « لالا هوكام شاند » (الغايتون) · ولقد صارحني — مرة أو مرتين — بسر رغبة كانت تساوره بأن يسرق بعض النقود من ابريق كانت أمه تحفظ فيه مكاسبه من حذفه لمهنته ، ليبتاع لنفسه زيا مثل الذى كان يرتديه طبيب الأسنان « كالان خان » الذى قال انه كان يقوم بالمعجزات في المدينة ، بتركيب أطقم من الأسنان . بل وعيون جديدة للناس · وقد وصف لى « شاندو » مظهر « كالان خان » : شاب بشعر يفرقه الى أحد الجانبين ، ويرتدى قميصا منشى وياقة عاجية ورباط عنق معقودا بشكل الفراشة ، وسترة سوداء ، وسروالا و « بنطلونا » مخططا بخطوط طولية ، ومعطفا بديعا من المطاط وحذاء لا يحتاج الى رباط · وروى لى البراعة التى كان هذا الساحر يفتح بها حقيبته الشبيهة بالحافظة . كاشفا عن أدواته من الصلب البراق ·

ثم سألني رأيي بصدد ما اذا كان — كحلاق تعلم حتى الصف الخامس الابتدائى — يبدو أكثر وقارا هو الآخر . لو ارتدى زيا على نمط ما يرتدى الدكتور كالان خان ····

وقال : « ذلك لأننى وان لم أكن طبيبا تلقى التعليم العالى ، أعرف كيف أعالج البثور ، والحبوب ، والجروح التى فى أجساد الناس ··· تعلمت عن أبى الذى تلقى هذه المعرفة عن أبيه ·

وافقت على مشروعه وشجعته بالتحمس الذى كنت أستشعره نحو أى شيء يفكر فيه بطلى أو يفعله · وذات يوم بهرت اذ وجدت « شاندو » عند باب بيتى فى الصباح · كان يرتدى عمامة بيضاء ، ومعطفا من المطاط الأبيض (أكبر من حجمه قليلا ، ولكنه مع ذلك كان بديعا جدا) وحذاءا انجليزيا محكما على القدم . كان بوسعى أن أرى وجهى منعكسا عليه بوضوح لفرط لمعانه · وكانت فى يده حقيبة جلدية · كان ينطلق لجولته ، وقد جاء ليرينى مدى أبهته فى زيه الجديد ،

قلت : « مدهش ! ··· رائع ! » ·

واندفع مسرعا نحو دار صاحب الأرض — اذ كان يحلق له لحيته كل صباح — وأنا خلفه معجب ·

لم يكن فى الطريق كثيرون فى ذلك الوقت ، فكنت وحدى أشاهد أبهة شاندو — فى زى كزى الأطباء — الا أنه هو نفسه كان يبدو مرتبكا أو محرجا بعض الشيء ، وهو يخطو فى الطريق متحاشيا بحرص كتل روث البقر التى

كانت نسوة القرية يلصقنها بالجدران ، والماء القذر الذى كان ينساب خلال الميازيب ٠

ولكننا التقينا ـ حين دخلنا دار المالك ـ بديفى ، ابن المالك الصغير ، الذى صفق طربا ، وصاح معلنا قدوم شاندو الحلاق ، فى زى فخم جميل ، كالذى يرتديه السيد قس مدرسة الارسالية ٠

قال « بيجاى » شاند المالك الفظ ، وهو يمس الخيط المقدس المعلق فوق أذنه منذ أن ذهب الى المغسل : « رام !! رام !! رام ! » ٠ ثم أردف « يا لابن الخنزير !! ٠٠٠ أيدخل بيتنا بحقيبة من جلد البقر ، ومعطف من نخاع حيوان آخر ، لا أعلم ما هو !! وهذا الحذاء الأسود الانجليزى !! ٠٠ أخرج ٠٠ أغرب يا ابن ابليس ! ٠٠٠ انك تدنس الديانة بكفرك ٠٠ ما أحسب أن هناك من تخافه الآن وقد مات أبوك !! » ٠

قال شاندو : « ولكننى أرتدى ثياب طبيب يا جاجير دار صاحب (يا سيد الأرض) » ٠

« أغرب أيها الخنزير ٠٠٠ ارحل والبس ثيابا تليق بوضعك الواطىء كحلاق ، ولا تدعنى أبصرك تمارس أيا من نزواتك المستحدثة ، والا سآمر بجلدك !! » ٠

قال شاندو بضراعة : « ولكن ٠٠٠ يا راى بيجاى شاند صاحب ! » ٠ صرخ فيه مالك الأرض : « انصرف ! يا عديم النفع ! ٠٠٠ لا تزدد اقترابا والا اضطررنا لتطهير البيت كله بروث البقر المقدس ! » ٠

رجع شاندو ، بوجه مكتئب ٠ كان مبهوتا تماما ، ولم ينظر الى للخزى الذى شعر به من جراء اهانته أمامى ٠ واندفع صوب حانوت « ثانورام » تاجر « ساهوكار » القرية ، الذى كان يمتلك حانوتا للبدالة عند ناصية الحارة ٠ وكان « ديفى » ابن مالك الأرض قد شرع يبكى لخشونة كلمات أبيه ، فوقفت أهدئه ٠ وعندما وصلت الى ناصية الحارة رأيت « الساهوكار » وقد رفع طرفا من الميزان ـ الذى كان يزن به غلالا ـ فى احدى يديه ، وراح يوجه لشاندو أقذع السباب « أيها الخنزير الصغير ، أتذهب فتتنكر كمهرج ، فى حين أن الواجب أن تتحمل مسئولياتك وترعى أمك العجوز ٠ تذهب فترتدى الثياب الدنسة التى يرتديها أفراد المستشفى ! ٠٠٠ انصرف وارجع بثيابك اللائقة بك ٠٠ حينذاك سأدعك تقص شعرى ! » ٠

وتحسس ـ وهو يقول ذلك ـ خصلة الشعر المجدولة فى قمة شعر رأسه حسب الطقوس الدينية ٠

وبدا شاندو مطأطأ الرأس ، وجرى فى غضب جامح ، فتجاوزنى وكأنى المسئول عن هذا الحادث المؤسف وكدت أبكى اذ تصورت أنه أصبح يكرهنى لمجرد أننى أنتمى الى طائفة أعلى مستوى ٠

صحت وراءه : « اذهب للبانديت بارماناند ، وقل له ان الثياب التى ترتديها ليست دنسة » ٠

قال « البانديت بارماناند » وهو يخرج أمامى لتوه من دار مالك الأرض ، حيث كان من الواضح أنه استدعى لبحث هذه الحالة الطارئة المخالفة لقداسة الطقوس : « اذن فأنت متواطىء معه ٠٠ لقد أفسدكما التعليم الذى تلقيتماه فى المدرسة أيها الصبيان ، قد يكون من الصواب لك أن ترتدى هذه الأشياء ، لأنك ستكون رجلا متعلما ، ولكن أى حق لهذا الصبى ـ ابن الطائفة الدنيا ـ فى أن يرتدى زيا كهذا ؟ ان مهنته تجعله يمس لحانا ورءوسنا وأيدينا ٠٠ لقد أراد له الله أن يكون دنسا بما فيه الكفاية ، فلماذا يريد أن يزيد نفسه دنسا ؟ انك من طائفة عليا يا صبى ، وهو شيطان من طائفة دنيا ٠٠ انه وغد ! » ٠

كان شاندو قد سمع هذا ، فلم يلتفت خلفه ، بل جرى مهتاجا ، وكأنه قد عقد العزم على تنفيذ غرض شغله أكثر مما شغله السباب الذى كان سببا لهربه ٠ نادتنى أمى وقالت انه قد حان الوقت لكى أتناول طعامى وأذهب للمدرسة والا تأخرت ٠ ولم تقو على مقاومة اغراء أن تعظنى ضد صحبتى للصبى الحلاق ٠ ولكننى ظللت طيلة النهار متضايقا جدا لما أصاب شاندو ، فلما كنت فى طريق العودة من المدرسة ، عرجت على الكوخ الذى كان يسكنه مع أمه ٠ كانت أمه معروفة بأنها عجوز شرسة ، لأنها ـ كامرأة من طائفة دنيا ـ كانت تجسر على أن ترى أهل الطوائف العليا كما لم يجسروا يوما على أن يروا أنفسهم ٠ وكانت جد لطيفة معى ، وان كانت قد اعتادت أن تكلمنى أنا الآخر بلهجة مازحة اكتسبتها من المعاناة والمهانة اللتين قاستهما على مدى ستين عاما ٠ وقد التفتت الى قائلة : « اذن فقد جئت ٠٠٠ أليس كذلك ؟ جئت تنشد صديقك ٠٠ لو أن أمك علمت بأنك جئت هنا ، لاقتلعت عينى ، لأننى ألقيت بصرى المشئوم على وجهك الحلو ٠٠ وأنت ٠٠ أأنت بالسذاجة التى تبدو بها ، أم أنك منافق مستخف لبقية قومك ؟ » ٠

قلت : « أين شاندو اذن يا أماه ؟ » ٠

قالت فى لهجة صادقة طيبة « لست أدرى يا بنى ٠٠ لقد انطلق فى اتجاه المدينة ، ويقول انه اكتسب بعض النقود من الحلاقة لأناس على قارعة الطريق ٠٠ أنا لا أدرى ماذا يدبر ، ولا أرى أنه ينبغى أن يغضب العملاء الذين اعتاد أبوه أن يخدمهم ٠٠ انه طفل . وتساوره نزوات غريبة ، ولا يخلق بهم أن يغضبوا عليه

انه مجرد صبى • أحسبك تريد أن تراه لتخرجا معا للعب • حسن جدا ، سأخبره حين يأتى • لقد انطلق فى الطريق لتوه فيما أظن » •

قلت : « حسن يا أماه » •• وذهبت لبيتى •

أرسل شاندو — بعد الظهر — صفيره المعتاد يستدعينى ، بالطريقة التى دبرناها لتفادى تأنيب الكبار الذى كانت صحبتنا تستثيره أحيانا •

قال : « تعال لنتمشى الى السوق ، فانى أود أن أتحدث اليك » •

ولم أكد أنضم اليه ، حتى شرع يقول :

« أتعرف ؟ ••• كسبت روبية من الحلاقة وقص الشعر بقرب المحكمة هذا الصباح • ولو لم أكن مضطرا للعودة مبكرا متعلقا بظهر مركبة هوكام شاند ، بعد الظهر ، لكسبت أكثر • ولكننى سألقن هؤلاء الأغبياء المتزمتين درسا •• سأقوم باضراب •• فلن أذهب لبيوتهم لأعنى بهم •• سأبتاع دراجة يابانيه من المقامر ابن لالا هوكام شاند بخمس روبيات ، وسأتعلم ركوبها ، وأذهب عليها الى المدينة كل يوم • ألن أبدو فخما وأنا أركب الدراجة مرتديا معطفى ، وحذائى الجلدى الأسود ، وعلى رأسى عمامة بيضاء ، لا سيما أن فى مقدمة مركبتى ذات العجلتين مشجبا لأعلق فيه أدواتى ؟ » •

قلت : «نعم» •• ولقد وافقت وأنا فى بالغ السرور •• لا لأنى تمثلت أبهة شاندو على دراجته ، وانما لأننى شعرت بازدياد قربى من غاية طموحى ، اذ شعرت بأن شاندو اذا ظفر بدراجة ، فانه سيدعنى أركب الى المدينة على المقعد الصغير فوق العجلة الخلفية — على الأقل — أو على قضيب المحور الأمامى ، هذا اذا لم يدعنى أركبها وحدى أو يعيرنى اياها من آن لآخر •

تفاوض شاندو لشراء الدراجة باعتداد كشف لى عن مقدرة فى التعامل التجارى ما ظننت قط أنه يملكها ، نظرا لتهوره فى انفاق نقوده • وما لبث أن قال لى بصوت الواثق الذى يأتمننى على سر :

« انتظر يوما آخر أو يومين •• وسأريك شيئا سيضحكك كما لم تضحك من قبل » •

ألححت عليه ، فى نفاذ صبر اذ كان ايقاع الاثارة التى ملأت بها كيانى ما رأيته فيه من روح المغامرة • فقال :

« كلا ، انتظر لا أملك حاليا سوى التلميح • انه سر لا يعرفه سوى حلاق • والآن دعنى أبدأ مهمة تعلم استعمال هذه الآلة • امسك بها ريثما أعتليها ، وأخال أن الأمر سيكون على ما يرام » •

قلت : « ولكن ، ما هكذا تعلم ركوب الدراجة · ان أبى تعلم ركوبها من المشعب الذى فى الخلف ، كما أن أخى تعلم الركوب بأن حاول أولا حفظ التوازن على البدال » ·· فقال شاندو :

« ان أباك عوريلا ثقيل ، وأخوك عنكبوت طويل الساقين » ·

وأردف قائلا : « أما أنا فقد ولدت مقلوبا ، كما تقول أمى » ·

أمسكت بالدراجة له ، ولكن قبضتى تراخت وأنا منصرف باعجاب الى تأمل لمعة القضبان المصقولة · واذا شاندو يقع – مع الدراجة – من الجانب الآخر ، مرتطما بالأرض ، وانطلقت قهقهات من حانوت « الساهوكار » حيث اجتمع عدد من الفلاحين حول صاحب الأرض · وما لبث أن سمع صوت الساهوكار يصيح قائلا : « انك تستحق هذا أيها الوغد ابن عصر الحديد !! هشم عظامك ومت أيها المغرور ! بدون هذا لن تثوب الى رشدك ! » ·

طأطأ شاندو رأسه خزيا ، وتمتم يسبنى : « انك لا تصلح أيها الأحمق ! » مع أننى تصورت أنه سيقبض على عنقى ، وينهال على بالضرب المبرح ، لأننى السبب فى فشل محاولته · وما لبث أن تأملنى مبتسما فى حرج وقال : « سنرى من الذى يضحك أخيرا ··· أنا أم هم ؟ » ·

قلت صادقا : « سأمسك الآلة باحكام هذه المرة » ، ورفعتها من حيث كانت ملقاة ·

وانبعث صوت مالك الأرض صائحا : « أجل ، هشم عظامك يا خنزير ! » فقال لى شاندو : « لا تكترث ! سأريهم ! » · واعتلى الدراجة ، فبذلت كل قوتى لأحكم امساكى بها · ثم قال : « اتركها ! » ورفعت قبضتى ·

كان قد دفع البدال بضغط من قدمه اليمنى الى أسفل ، ومع دوران العجلتين اذا به يميل الى أحد الجانبين بدرجة خطيرة · ولكنه دفع « البدال » الآخر ، فاذا الآلة تتوازن ، مائلة الى اليمين قليلا فرأيت « شاندو » يرفع ردفه عن المقعد بطريقة أفزعتنى · وظل معلقا غير مستقر لحظة · واهتز مقبض الدراجة بخطورة · وراح يتمايل · وعند ذلك ارتفع مزيج صاخب من الضحك والسخرية من الجمع الموجود فى الحانوت ، وظننت أن شاندو سيؤوب بالخزى ازاء هذا الصخب ، ان لم يكن بسبب عجزه الكامل · على أن قدمى « شاندو » توصلتا – بمعجزة عجيبة – الى التناسق مع حركة « البدال » واستجاب مقبضا الدراجة ليديه المتصلبتين ، ومضى قدما وأنا أجرى وراءه أكاد أفجر رئتى ، وأنا أهتف بحماسة : « شوباسى ! » ·

هكذا قطع نصف ميل ، ثم كرر الحيلة ·

ومع أننى كنت تواقا جدا لأن أشاطره متعة براعته التى اكتسبها حديثا ، فاننى لم أر شاندو فى اليوم التالى ، اذ أخذت من المدرسة مباشرة لزيارة عماتى فى « فيركا » ٠

ولكنه زارنى فى اليوم الثالث ، وقال انه سيرينى الحيلة المضحكة التى حدثنى عنها منذ أيام ، فأسرعت وراءه وأنا أسأله : « أخبرنى ما هى ؟ » ٠٠ قال وهو يتوارى خلف فرن صانع الخزف بالقرية : « أنظر ٠٠ أترى جمع الرجال الذين فى حانوت الساهوكار ؟ حاول أن تتبين من هناك ؟ » ٠

وتفرست فى الوجوه العديدة ، ثم تملكتنى الحيرة لحظة وقلت : « ليس هناك سوى الفلاحين وقد جلسوا فى انتظار مالك الأرض » ٠

قال : « انظر ثانية يا غبى ، وتبين ٠٠ ان صاحب الأرض هناك ، وقد شوه وجهه المستطيل الفكين القذارة البيضاء التى تغطى ذقنه نتيجة لعدم حلاقة لحيته » ٠

صحت فى جذل ، وقد دهشت للتناقض بين الشارب الضخم (الذى كنت أعرف أن صاحب الأرض اعتاد أن يصبغه) والغابة الكثيفة البيضاء على صدغيه : « ها ! ها ! ٠٠٠٠ » ورحت أقهقه : « ها ها يا للأسد السقيم ! ٠٠٠ انه يبدو فى حالة سيئة ! » ٠

فهتف يحذرنى : صه !! لا تحدث صخبا ٠٠ ولكن أنظر الى الساهوكار ٠٠ انه يبدو كالمجذوم وآثار التبغ تصبغ شاربه المهوش ، الذى كنت يوما ما أشذبه له ٠٠ والآن ، اجر أمام الحانوت وأنت تصيح :

« يا للقنادس (١) !! فراؤها يكسو الذقن والفم ! انهم لا يستطيعون أن يقولوا لك شيئا » ٠

كنت متهورا ، تلميذا لشاندو العفريت ، بدرجة لم تدعنى أنتظر لأتدبر ٠٠٠ فرحت أصيح وأنا أجرى مارا بالحانوت حتى نهاية الرصيف بقرب شجرة « البانيان » : « يا للقنادس !! ٠٠٠ يا للقنادس !! ٠٠٠ القنادس !! » ٠

وانفجر الفلاحون المتجمعون حول الحانوت بالضحك كما لو كانوا يتدهفون شوقا أن يفعلوا على ما ظهر ، لأنهم كانوا قد لاحظوا الشعر الكث على وجوه الكبار ، وان لم يجسروا على أن يقولوا شيئا ٠

صاح الساهوكار : « امسكوه ! ٠٠ امسكوا الوغد الصغير ٠٠ انه متحالف

(١) القندس ـ ويسمى السمور ـ حيوان قارض ، ذو فراء كثيف ثمين تصنع منه القبعات والملفحات ٠

مع ذلك الصبى الحلاق شاندو ! » • ولكننى كنت قد تسلقت شجرة البانيان بالطبع ومنها وثبت على سياج المعبد ، وصرخت فى الكاهن بما كنت أردد •

انتشرت شائعة اضراب الحلاق الصبى ، وأصبحت النكات حول لحى كبار رجال القرية الغير مشذبة حديث كل بيت • حتى أولئك المنتمين الى الطوائف العليا. بل حتى أفراد أسر علية القوم الذين أخذوا يقهقهون بالضحك من مظهر الكبار الرث ، ويتندرون بملاحظات غير لائقة عن أشخاصهم • وقيل ان زوجة مالك الأرض ـ على الأقل ـ هددت بأن تهرب مع شخص ما ، لأنها كانت تحتمله ـ وهى تصغره بعشرين عاما ـ ما دام حريصا على أن يحافظ على مظهره ، ولكنها أصبحت تشمئز منه الآن الى درجة تتجاوز حدود الوفاق معه •

لقى شاندو اقبالا فى المدينة خلال هذه الأيام ، وادخر نقودا ، بالرغم من انه ابتاع ثيابا وأدوات جديدة ، ومنحنى عدة هدايا • ولقد هدده كبار القرية بالعمل على سجنه جزاء اهاناته ، وأمروا أمه بأن تغصبه على الطاعة قبل أن يشكوه للشرطة متهمين اياه بمخالفته للأمن • ولكن أم شاندو كانت قد لمست ـ لأول مرة فى حياتها ـ حدود الرخاء ، فقالت لهم كل ما كان يدور فى خلدها نحوهم ، بلهجة أكثر صراحة مما اعتادت أن تخاطبهم بها • حينذاك فكروا فى أن يحملوا حلاق « فيركا » على المجىء ليعنى بلحاهم ، وعرضوا أن يدفعوا له « آ نا » (١) بدلا من « البيسين » الذين كانوا يدفعونها لشاندو • غير أن شاندو كان قد اهتدى لفكرة جديدة هذه المرة ، أكثر جدة من أية فكرة راودته من قبل • اذ انه قد رأى حانوت « نرينجان داس » ـ حلاق المدينة ـ فانصرف بذهنه الى مشروع افتتاح حانوت على حافة الطريق ، عند رأس السوق ، بالاشتراك مع ابن عمه حلاق فيركا و « دهنو » الحلاقين فى نطاق سبعة أميال حول قريته • وقد عرض فكرته الجديدة على ابن عمه و « دهنو » والحلاقين الآخرين فى اجتماع خاص بمهنته ، وبفضل بلاغته ، الى جانب صفاته الأخرى التى ترتبط بالعقل أو الفؤاد ، فقد أقنعهم جميعا بأن الوقت قد حان ليأتى اليهم كبار القرية للحلاقة ، بدلا من أن يسعوا هم اليهم كخدم يحرصون على ارضاء سادتهم •• وتبع « صالون الاخوة الحلاقين » فى منطقة راجكوت لقص الشعر وحلاقة اللحى فكثير من النقابات الحرفية النشيطة ضمت العاملين فى نواحينا •

---

(١) الآنا = ١/١٦ من الروبية ـ البيس pice ١/٦٤ من الروبية والروبية = قرشا تقريبا •



عميل الشرطة

عميل الشرطة

كان هناك سبعة منا ، بل لعلهم ستة ، لأن السابع كان مجرد صفر على الشمال فى جماعتنا ، أو — على أكثر تقدير — مجرد تابع ، يفعل ما نفعل ، ويقول ما نقول ٠ فان كان لدينا اجتماع مثلا ، طوال الليل لمناقشة وسائل وأساليب الاتصال بأصدقائنا فى مختلف أنحاء البلاد ، فانه لا يبدى قط اقتراحا أصيلا ، وانما يجلس طوال الليل حتى وان كان عليه أن يغالب النوم كى يظل مستيقظا ، وان قال أحدنا أى شيء ، سواء أكان تافها أم عميقا ، فانه كان يردد الجزء الأخير من الجملة بالضبط للدلالة على الموافقة ٠ وكانت طريقته فى الكلام تجرى كالآتى ٠ فاذا حدث أن قلت مثلا — « ان القلق هو العشب التحتى المتشابك للخوف » فانه كان يردد فى صوت متخاذل ملول « القلق هو العشب التحتى المتشابك للخوف » ٠ واذا قال السكرتير مثلا « ينبغى على كل منا أن يرى الناس ما يمكن أن تكون عليه صورة الرجل » فانه كان يكرر « نعم ٠٠ ينبغى على كل منا أن يرى الناس ما يمكن أن تكون عليه صورة الرجل » ومع ذلك فلم يكن مجرد امعة ، يوافق على كل رأى مطروح ، لأنه فى مكان ما فى دخيلته وسط فترات نعاسه الطويل الصامتة كان يبدو أنه يعود بخطاه القهقرى الى الأزقة الضيقة التى ولد فيها واستقر بين أرجائها ، كأنه يجلس بين أطلال تراثه وكأنه سمع هدير صوت أبيه يؤنبه على بعض التقصير بينما كانت أمه تسرى عنـه بعبارات المودة والأمثال السائرة الحلوة ٠

كان وسيما بشكل فريد اذا ما نظرت اليه ، بقامته التى تميل الى الطول والتى تعوض افتقاره الى الرشاقة ، وتصرف الأنظار عن صدره الضيق وكتفيه المستديرين ومشيته المتثاقلة وهو يجر قدميه ٠ وكان وجهه أسمر داكنا فى استدارة وجه القمر ٠ وكان ذا جبهة صغيرة وأنف بديع التكوين وشفتين ممتلئتين

وعينين كبيرتين ، وان كانتا غائرتين دائبتى الحركة وكأنه يحاول أن يخفيهما ، الا أنهما تفيضان رقة . وكان تأثير شخصيته ككل هو تأثير فرد ينوء ببعض الخوف المجهول أو بفكرة متسلطة تنحدر به الى عقلية النور من حيث الترديد المتبلد الذى ينحصر خبثه فى غباء لا شعورى أكثر مما يتمثل فى النية المتعمده لايذاء أى شخص .

فقد كان عملا خبيثا من جانبه حقا أن يبلغ الشرطة بكل شيء عنا عندما هوجم المنزل الذى كنا نعيش فيه فى لاهور حيث اتهمنا « بالتآمر لحرمان جلالة الملك الامبراطور من سيادته على الهند وبتدبير اسقاط الحكومة القائمة بمقتضى القانون ..... الخ » . وهكذا أصبح الشخص الذى لم نعمل له حسابا على الاطلاق والذى كنا نعتبره كما مهملا لترديده الحقير الغبى لكل عبارة لنا ، شخصا هاما ومفتاحا لمصيرنا .

كانت التجربة شنيعة : ذلك أن رجال الشرطة وصلوا فى الفجر وصدمنا بوجودهم على قمة المنزل الذى كنا نقيم فيه بطريق كوتشرى . لم نكن نتوقع هذه الزيارة الرسمية المفاجئة ، اذ كنا حريصين حرصا معقولا بشأن تحركاتنا ولم نترك أثرا للنشرات التى كنا نوزعها الا أننا بعد أن فركنا أعيننا ، وبعد أن تمطينا بضع مرات والنعاس لا يزال يسيطر علينا ، وبعد أن أطلقنا بضع تنهدات أسفا على النوم الجميل فى النسيم العليل للصباح الباكر اللطيف الذى حرمنا منه فقد سلمنا أنفسنا دون ضجة ، وان كنا قد طالبنا بابراز أوامر القبض علينا ، وأوضحنا نيتنا باعلان أننا « غير مذنبين » عندما توجه الينا التهمة . ولكن جوبال العضو السابع فى جماعتنا لم يبد أنه كان مذهولا بقدر ما كان مشرفا على الانهيار وعلى فقدان عقله تماما .

فبعد كونه ذلك الشخص المتبلد الاحساس ، التافه ، الفاقد للحيوية ، الذى كانه دائما ، أصبح الآن بالغ الانفعال الى درجة الهستيريا .

قفز من فراشه وباندفاع غريب بدأ يتشقلب على طول السطح فى سلسلة من حركات بهلوانية لا نهاية لها وهو يزبد من فمه ويبكى بدموع كبيرة من عينيه الكبيرتين ويطلق فحيحا كالأفعى ، حتى وهو يهز رأسه كأنما ينفض الثقل المميت للأفكار التى طأطأت رأسه سنوات . وبعد أن تملص من قبضة رجال الشرطة ثلاث أو أربع مرات وتم احضاره فى النهاية الى فراشه ، ورحنا جميعا نحاول

تهدئته بكلمات طيبة . وبالاحتجاج والغضب قفز من فراشه ثانية وراح يتشقلب وجلس فى وسط السطح وهو يضرب رأسه ويطحن أسنانه ويزبد بغزارة هازا رأسه لأعلى ولأسفل ، ثم بالقاء نفسه الى الوراء سقط على الأرض فى صوت مكتوم واستلقى فى سكون حزين . ورحنا جميعا نعجب ان كان صرعا أم أنه ينفض متاعب مليون سنة من الألم . ولكن بينما كان رجال الشرطة يرفعونه باجبار وخشونة فقد أثارهم بعناده فبدأ يطلق الاعترافات والبخار العاطفى ويلتمس الرحمة ويلقى باتهامات قد تكون مفيدة للشرطة .

قال : « لقد دبرتموها جيدا دون تفكير فى تبعات مخططاتكم ودون أى تفكير فى أنه ينبغى أن نعدم شنقا بواسطة « الساركار » قلتم الحرية ..... والخلاص ولكنكم حتى لم ترتابوا فى أن الناس الذين كنتم تتحدثون عنهم كانوا سذجا وريفيين أجلافا عاجزين عن التقدير .. قال هانز :

« اقفل فمك ولا تكن بورجوازيا صغيرا أحمق » .. وانطلق يقول :

« لقد ظننتم أنكم كنتم جميعا بارعين فى التهرب من القانون .. واننى كنت أحمق لأننى انضممت اليكم .. سأبعثر القول الآن (سيقول للشرطة كل شىء » ، أيها الشياطين الكبار المتآمرون ، كنتم بيروقراطيين صغارا ، لم تجسروا حتى على المطالبة بالدم ، بل كنتم ستنتظرون يوم القيامة » .

« أنت مجنون » كان هذا كل ما قلناه وتركناه « يكشف الحقيقة !! » وأثناء محاكمتنا ظننا أنه سيتحول الى مؤيد للاتهام وأن يخلى سبيله فى سهولة ولكن من الغريب فيما عدا الفترات الجنونية من الاساءة المتحدية التى كان يلقيها علينا ، والتى كان يتخللها ابتسامات لطيفة ، ونهنهة وعواصف من الانفعال الساخط التى لا يمكن التحكم فيه ، فانه راح يردد الشهادة التى أدلينا بها بأسلوبه المألوف فى الأيام القديمة التى تحالفنا فيها كلنا معا .

حكم علينا جميعا بعشر سنوات من الأشغال الشاقة للكل ، وهو حكم مصحوب ببيان من القاضى يقول فيه بأنه رغم أنه لم يكن هناك دليل يثبت أننا ارتكبنا أى عنف فقد اختفينا اختفاء مريبا لمدة عام واننا حاولنا تنظيم العمال لأغراض قد تكون هدامة لسلامة المملكة !!

ولا حاجة للقول بأن قسوة هذا الحكم جاءت كصدمة لنا ، ولكن كل

ما امكننا أن نفعله هو آن نتقبله وأن نأمل أن أصـــدقاءنا سيرفعون استئنافا نيابة عنا ٠

ولم يبهر جوبال كما فعل وقت اعتقالنا المشترك ، والواقع أنه ظل هادئا هدوءا ملحوظا ٠

ولكن بينما كنا يعانق بعضنا البعض لأننا كنا نظن أننا قد لا نلتقي ثانية لسنين عديدة اذا ما ارسلنا الى سـجون مختلفة بالدولة لتنفيـذ أحكامنا كل فيما يخصـه ، اقبل علينا وألقى بنفســه على الأرض وانحنى أمامنا بيدين متشابكتين ، ثم لمس التراب عند موطىء أقدامنا بيديه ومسحه على جبهته وشبك يديه ثانية وفي صوت مسترحم بالغ الرقة قال :

« اعفوا عني أرجوكم ٠٠ اعفوا عني أيها الأخوة » وأنهضناه بسرعة وقلنا أنه ليس هناك ما يدعو للعفو :

« ليس هناك ما يدعو للعفو » هكذا راح يردد المقطع الأخير من كلامنا اليه ، كما كان من عادته أن يفعل ٠

ر. ك. ناريان

ولد ر. ك. ناريان عام ١٩٠٦ فى مدراس . كان واحدا من تسعة أنجال لعائلة عالية القدر من طائفة البراهمة . وكان والده مدرسا .

تلقى ناريان تعليمه فى مدراس ولكنه « كان يمقت المدرسة ولم يتعلم أى شىء هناك » وحصل على شهادة البكالوريوس فى الآداب فى جامعة ماهاراجا فى ولاية ميسور عام ١٩٣٠ وكان عمره حينذاك أربعة وعشرين عاما .. تزوج عام ١٩٣٤ وفقد زوجته عام ١٩٣٩ .

وكان ناريان يريد من صباه أن يكون كاتبا . قرأ الأدب الروسى ولكنه ليس من المعجبين بتولستوى ، بل بأعمال هوجو ودوماس ، و هـ. ج. ويلز ، و ى. م. فورستر و د. هـ. لورنس . وبمساندة جراهام جرين ظهرت أول رواية له فى لندن عام ١٩٣٥ وكانت « سوامى والأصدقاء » . وكتب جراهام جرين فى مقدمة كتاب ناريان الثانى والذى كان اسمه (الحاصل على درجة البكالوريوس) « لقد كان للسيد ناريان الفضل فى أنه كان أول من قدم لى الهند فى كتابه « سوامى والأصدقاء » بمفهومها السكانى وطريقتها فى الحياة وهى تنبض بالحيوية . ان رواياته تزيد معلوماتنا الشخصية عن الشخصية الهندية بالقطع ولكننى أفضل أن أعتبر هذه الروايات اسهاما فى الأدب الانجليزى ، اسهاما بالغ النضج » . وكان الفضل فى تقديم ناريان للقارىء الامريكى عام ١٩٥٢ يعود الى مطبعة جامعة ولاية ميتشجان التى بدأت فى نشر مؤلفاته المبكرة وهى تشمل بجانب « سوامى والأصدقاء » رواية « الحاصل على بكالوريوس فى الآداب » (عام ١٩٣٧) و « الغرفة المظلمة » (١٩٣٨) و « يوم فى حياة منجم وقصص أخرى » (١٩٤٧) و « مستر سام باث » (١٩٤٩) و « الخبير المالى » (١٩٥٤) و « فى انتظار المهاتما » (١٩٥٥) وأحدث كتبه هى « الدليل » (١٩٥٨) و « آكل البشر من ملجودى » (١٩٦١) و « الآلهة والشياطين وغيرهم » (١٩٦٤) .

وقد ربحت قصته « الدليل » جائزة أكاديمية ساهيتيا عام ١٩٦١ وهى نهاية الطموح الذى يتطلع اليه الأدباء فى الهند ٠

تتميز كتابته بروح الدعابة والتهكم غير الجارح وبطابع هندى فريد وبساطة هى قمة السحر والأصالة ٠

وأعماله خالية تماما من كل الأيديولوجيات ٠ انه لا يعظ ولا يعطى دروسا فى الأخلاق ، بل يلاحظ ويسجل ٠

كان ناريان متواضعا الى أقصى الحدود فقد كتب يقول :

« اذا توقف المرء ليفكر ، فسيجد أنه لا شىء ذا قيمة ، يمكن أن يقوله عن نفسه » ٠

يوم فى حياة منجم

يوم فى حياة منجم

فى موعده المقرر عند الظهيرة تمـاما فتح حقيبته ونشر أدواته الحرفيـة أمامه ، والتى كانت تتكون من اثنتى عشرة صدفه مختلفة وقطعة مربعة من القماش عليها رسوم وخرائط غيبية غامضة ، ودفتر ولفافات من المخطوطات القديمة ·

وكان يزين جبهته بالرماد القرمزى المقدس ، وكانت عيناه تومضان ببريق حاد غير طبيعى كان فى حقيقته نتاج نظرات مستمرة تبحث عن عملاء ، ولكن عملاءه البسطاء خالوها نور نبوة وشعروا براحة واطمئنان ·

وكان لموقع عينيه أثر ملموس فى زيادة حدة بريقهما فقد كانتا بين جبهته المطلية ولحيته السوداء المسترسلة على وجنتيه ، فحتى عينى أبله كانتا ستومضان لو وضعتا فى ذلك الاطار · ولكى يتوج هيبته وتأثيره فانه تعمم بعمامة زعفرانية حول رأسه · ولم تفشل خطة الألوان هذه قط !! فقد انجذبت اليه الجماهير كما ينجذب النحل الى زهرة الكوسموس أو زهرة الداليا ·

كان يجلس تحت أغصان شجرة تمر هندى مورقة على جانب درب يخترق حديقة بلدية المدينة · وكان مكانا ممتازا من وجوه عدة ، فقد كان الدرب الضيق يزخر بالمارة جيئة وذهابا من الصباح للمساء ·

وعلى طول الطريق كانت توجد مختلف أنواع التجارة والحرف ··· بائعى أدوية ، بائعى أدوات حديدية مسروقة وخردة ··· سحرة وفوق كل هذا بائع بالمزاد للملابس الشعبية الرخيصة كان يثير ضوضاء وضجة تجذب اليه كل المدينة طوال اليوم · وماثله فى احـداث الضوضاء بائع فول سودانى كان يطلق على بضاعته كل يوم اسما رنانا فيسميها يوما « مثلجات بومباى » وفى اليوم التالى

يطلق عليها « لوز دلهى » وفى اليوم الثالث يسميها « حلويات الراجا » وهكذا ٠٠ وتوافد عليه الجمهور وتلكأ قسم كبير منهم أمام المنجم أيضا ٠

وكان المنجم يمارس عمله بالقرب من لهيب يطقطق ويعلو دخانه على كومة الفول السودانى القريبة ٠ وكان نصف سحر المكان يعزى الى أنه لم ينتفع باضاءة البلدية ٠ وكان المكان يضاء بأضواء الحوانيت وكان لحانوت أو حانوتين مصابيح غازية لها أزيز خفيف والبعض الآخر كان لديه مشاعل عارية ملتصقة بقوائم خشبية وأخرى بها مصابيح دراجات قديمة ٠ وحانوت أو حانوتان أمكنهما العمل كالمنجم ٠٠٠ دون اضاءة ذاتية ٠ وكان المكان خليطا مدهشا من اشعاعات الضوء والظلال المتحركة ٠ وكان هذا يناسب المنجم تماما لسبب بسيط ٠٠٠٠ ذلك أنه لم تكن لديه أية نية لأن يكون منجما عندما بدأ حياته ، ولم يكن يعلم ما سوف يحدث للآخرين أكثر مما كان يعلم عما سيحدث له فى الدقيقة التالية ٠٠ وكان غريبا عن النجوم غرابة عملائه الأبرياء ولكنه قال أشياء أسعدت وأدهشت الجميع وكان هذا ــ فى الجانب الأكبر دراسة وممارسة وتخمين ذكى ماكر ٠

وعلى كل حال كان عمله شريفا كأى عمل آخر ٠ وكان يستحق الأجر الذى كان يعود به لمنزله فى نهاية اليوم ٠

كان قد غادر قريته دون تفكير سابق ودون تخطيط ولو بقى هناك لكان لزاما عليه أن يعمل عمل أجداده أى فلاحة الأرض والحيــاة والزواج والوصــول الى مرحلة النضج فى حقل قمحه وبيت أجداده ٠ ولكن ذلك قدر له ألا يكون فقد اضطر أن يترك منزله دون أن يخطر أحدا ، ولم يستطع أن يستريح قبل أن يتركه وراءه بمائتين من الأميال ، وهذا بعد كبير بالنسبة الى قروى ، فهو فى تقديره بحر واسع بينه وبين موطنه ٠

وكانت لديه قدرة على تحليل متاعب البشر ٠٠٠ زواج ٠٠٠ مال ٠٠٠ روابط انسانية معقدة ، وكانت الممارسة الطويلة المدى قد أوقدت بصيرته ٠٠٠ ففى خلال دقائق خمس كان يفهم كنه الخطأ ٠ وكان يتقاضى بيات ثلاث نظير كل سؤال ٠

ولم يكن ينبس ببنت شفة اطلاقا حتى يتحدث الآخر لدقائق عشر على الأقل تمده بمعلومات تكفى عددا من الأجوبة والنصائح ٠ ولما كان يقول للشخص الجالس أمامه ، وهو يحملق فى كف يده الممدودة : « انك ــ من نواح كثيرة ــ لا تجنى ثمار جهدك بالكامل » فان تسعة من عشرة يوافقون على قوله ٠

أو كان يسأل : « هل هناك امرأة فى أسرتك ــ ربما كانت من أقربائك البعيدين ــ لا تتمنى لك الخير ؟ » ٠

أو يقدم تحليلا للشخصية قائلا :

« ان معظم مناعبك ، سببها طبيعتك ٠٠ وكيف تكون غير ذلك ؟ وزحل في المكان الذى هو فيه الآن ! ان لك طبيعة مندفعة مظهرا خشنا » ٠ وكان هذا يقربه الى قلوبهم فى الحال لأنه حتى أرقنا مظهرا يود أن يتخيل ذا مظهر مرعب ٠

وأطفأ بائع الفول السودانى شعلته ونهض ليعود لبيته ، وكانت هذه اشارة لصاحبنا المنجم كى يطوى لفافته كذلك حيث انه قد تركه فى الظلام فيما عدا بصيص خافت من ضوء أخضر تسرب من مكان ما ولامس الأرض أمامه ٠ فجمع المنجم صدفاته وودعه ومتاعه وهم بوضعها فى جواله وحينئذ خبا ضوء اللهب الأخضر فنظر لأعلى ورأى رجلا يقف أمامه ٠ واستشعر احتمال عميل له وقال :

« يبدو عليك أنك مضنى بالهموم وسيفيدك أن تجلس قليلا ونتجاذب أطراف الحديث معى » ٠٠

ورد الثانى ردا مبهما غامضا ٠٠ وكرر المنجم دعونه حينما مد الثانى كف يده تحت أنفه قائلا :

« أتدعو نفسك عرافا ؟ » ٠٠

وشعر المنجم بالتحدى وقال وهو يقلب كف الرجل ناحية بصيص الضـوء الأخضر :

« ان طبيعتك ٠٠٠٠٠٠ » ورد الآخر :

« كف عن هذا ٠٠ قل لى شيئا يستحق القول » ٠

وشعر صاحبنا بالاستياء وقال :

« اننى أتقاضى بيات ثلاث عن السؤال ، وما تحصل عليه يوازى ما تدفع ويزيد عنه » وحينئذ سحب الثانى ذراعه وأخرج قطعة نقدية من فئـة الأنا « عشر بيات » وألقاها اليه قائلا :

« لدى بضعة أسئلة لك ، واذا استطعت أن أثبت أنك مخادع فيجب عليك أن تعيد الى تلك القطعة مع فوائدها » ٠

« واذا وجدت اجاباتى مرضية فهل تعطينى خمس روبيات ؟ » ٠

« لا ٠٠ » ٠

« أو تعطينى ثمانى أنات ! » ٠٠ وقال الغريب :

« أوافق ٠٠ بشرط أن تعطينى ضعف ما سأدفع اذا أخطأت » ٠

وقبل الطرفان هذا الاتفاق بعد مشاورة وحوار قصير ·

وابتهل المنجم بصلاة للسماء بينما أشعل الآخر لفافة تبغ وعلى ضوء عود الثقاب لمح المنجم تقاطيع وجه الرجل الآخر ·

وتوقفا عن الكلام لحظات علا فيها ضجيج السيارات فى الطريق وارتفعت أصوات سائقى العربات وهم يتبادلون السباب وعلا ضجيج المارة فى الطريق · كل هذا عكر صفو الظلام شبه الكامل الذى كان يخيم على المنتزه ·

وجلس الآخر أرضا وهو يجذب نفسا من لفافته وينفثه ·

وشعر المنجم بضيق شديد وقال :

« هيا ·· خذ نقودك ثانية ·· أنا لست معتادا على هذا النوع من التحدى ·· لقد تأخرت اليوم أكثر مما يجب » ·

وهم بجمع حاجياته فأمسك الآخر برسغه قائلا :

« لا يمكنك أن تتراجع الآن ·· لقـــد استدرجتنى اليك وأنا مار من أمامك » ·

وارتجف المنجم من قبضة الرجل واهتز صوته وخفت وهو يقول :

« دعنى اليوم ··· وسأتحدث معك باكر » ·

ودفع الآخر راحة يده أمام عينى المنجم قائلا :

« التحدى هو التحدى ··· هيا استمر » ·

وأكمل المنجم كلامه وهو يشعر بغصة فى حلقه :

« هناك امرأة ···· » وأوقفه الآخر قائلا :

« كفى ·· لا أريد سماع شىء من كل ذلك ·· هل سأنجح فى مسعاى الحالى أم لا ؟ ·· أجب على هذا السؤال وامض لحالك ·· والا فلن أدعك تذهب حتى تلفظ كل نقودك » ·

وهمهم المنجم ببضعة تعاويذ وأجاب :

« حسنا ·· سأتحدث ·· ولكنك ستعطينى روبية كاملة اذا اقتنعت بحديثى والا لن أفتح فمى ·· ويمكنك أن تفعل ما تشاء » ·

وبعد قدر غير قليل من المساومات وافق الآخر · وقال المنجم :

« لقد تركت على فرض أنك قد فارقت الحياة ··· أليس كذلك ؟ » ·

« آه ٠٠٠٠ زدنى » ٠٠ وقال المنجم :

« لقد طعنت بمدية مرة » ٠

« انك رائع ! » وعرى صدره ليظهر ندبة الجرح ثم قال :

« وماذا أيضا ؟ » ٠

« ثم دفع بك الى بئر قريب فى حقل وتركت هناك على أنك ميت » ٠

وصرخ الآخر وقد غلبته الحماسة :

« كنت سأموت فعلا لو لم يتصادف أن نظر مار الى داخل البئر » ٠

ثم أردف وهو يضم قبضتيه :

« متى سيقع فى قبضتى ؟ » ٠٠ وأجاب المنجم :

« فى العالم الآخر ٠٠ لقد توفى منذ أربعة أشهر فى مدينة بعيدة ولن نرى له أثرا بعد اليوم » وزمجر الثانى عند سماعه ذلك ٠٠ وأكمل المنجم :

« جورو ناياك » ٠٠٠٠ « أو تعرف اسمى ؟ » « كما أعرف كل شىء آخر !! جورو ناياك ٠٠ استمع باهتمام الى ما سوف أقوله لك ٠٠ ان قريتك على بعد سفر يومين شمالا من هذه المدينة ٠٠ اركب القطار التالى واذهب ٠٠ اننى أرى للمرة الثانية خطرا داهما يحيق بحياتك اذا تركت موطنك » ٠

قال هذا وأخرج قدرا من الرماد المقدس وقدمها اليه قائلا :

« امسح بها على جبهتك واذهب لبيتك واياك والرحيل للجنوب ثانية وستعيش اذا استجبت لهذه النصيحة حتى تبلغ المائة » ٠

وقال الآخر كمن يفكر بصوت عال :

« ولماذا أغادر بيتى ثانية ؟ كنت أسافر بين الحين والحين لأبحث عنه وأسلبه حياته لو قابلته » وهز رأسه بأسى قائلا :

« لقد أفلت من قبضتى وأرجو على الأقل أن يكون قد مات بالطريقة التى يستحقها » ٠

وأجاب المنجم : « نعم ٠٠ لقد دهمته سيارة نقل كبيرة » ٠

وظهر الارتياح على وجه الرجل الآخر عندما سمع هذا ٠ وكان المكان قد أصبح خاويا عندما جمع المنجم حاجياته ووضعها فى جواله وكان الضوء الأخضر قد اختفى كذلك تاركا المكان غارقا فى الظلام والسكينة ٠

وابتلع الظلام الرجل الآخر بعد أن دس بعض الدريهمات فى يد المنجم ·

وكان الليل قد قارب منتصفه حين وصل المنجم الى منزله وكانت امرأته منتظره على باب البيت واستفسرت منه عن سبب تأخره ·

والقى اليها بالنقود قائلا : « احصيها ·· لقد أخذتها كلها من رجل واحد » · وقالت وهى تحصى النقود وقد عمها الفرح :

انها عشرة أنة ونصف ·· سأستطيع أن أبتاع بعض السكر الأسمر وجوز الهند باكر فان الصبية كانت تلح فى طلب بعض الحلوى فى الأيام الأخيرة . وساعد ليا باكرا طبقا شهيا » ·

وقال المنجم : « لقد خدعنى ذلك المحتال ·· لقد وعدنى بروبية « ١٦ أنا » ونظرت زوجته اليه قائلة :

يبدو عليك الهم ·· ما خطبك ؟ » ·· وقال « لا شىء » ·

وبعد العشاء وعلى مقعده الطويل قال لها :

هل تعلمين أن عبئا ثقيلا قد انزاح عن كاهلى اليوم ·· لقد ظننت أن يدى ملطختان بدماء رجل كل هذه السنين ·· وكان هذا هو سبب هروبى من موطنى حين جئت الى هنا وتزوجتك ·· انه حى » ·· وشهقت قائلة :

هل حاولت أن تقتل ؟ » ·

نعم ·· فى قريتنا عندما كنت شابا طائشا ·· لقد شربنا وقامرنا وتشاجرنا يوما بعنف ·· لماذا نفكر فى ذلك الآن ·· لقد آن أوان النوم » ·

قال ذلك وهو يتثاءب ويتمطى فى مقعده الطويل ·

الكلب الضرير

الكلب الضرير

لم يكن فى هيئته ما يستوقف النظر ، ولا كان من فصيلة ممتازة · كان كلبا عاديا يراه المرء فى كل مكان · لونه أبيض ترابى ، شوه شخص غير معروف ذيله فى سن مبكرة · ولدته أمه فى الطريق وتربى على الفضلات ومايترك من البقايا فى السوق ·

وكانت له عينان مرقطتان وقامة غير متميزة وفيه حب للقتال دون هدف وقبل أن يبلغ العامين كان قد حمل مئات من آثار الجروح فى جسده وعندما كان يحتاج للراحة بعد الظهيره فى الأيام الحارة ، كان يتكور تحت الجسر الذى يجرى من تحتـــه الماء عند الباب الشرقى للسوق · وفى المساء كان ينهض ليبدأ جولاته اليومية متسكعا فى الطرقات والأزقة ، شاغلا نفسه بالمناوشات ، منتقطا ما يصلح لأكله من جوانب الطرق ثم يعود لبوابة السوق عند حلول الظلام ·

واستمرت حياته هكذا لسنين ثلاثة ثم حدث فيها تغيير فان شحاذا أعمى العينين ظهر عند بوابة الســـوق وكانت امرأة عجوز تقوده الى ذلك المكان فى الصباح المبكر وتجلسه عند البوابة وتعود اليه ظهرا ببعض الطعام وتجمع نقوده ثم تعود به فى المساء ·

وكان الكلب ينام قريبا منه وقد أثارت شهيته رائحة الطعام فنهض وخرج من مكمنه ووقف أمام الرجل الضرير يهز ذيله وهو يحملق ــ آملا ــ الى الوعاء بينما كان الرجل يتناول طعامه القليل · ومد الضرير ذراعيه متحسسا وتساءل : « من هناك ؟ » عندئذ دلف الكلب اليه ولعق يده الممدودة ، ومرر الرجل يده على ظهر الكلب برفق من ذيله الى أذنه وقال :

« ما أجملك !! تعال معى » وقذف اليه بقبضة من الطعام التهمها الكلب

شاكرا ولعل هذه اللحظة كانت لحظة مواتية لبدء صداقة بين الاثنين • وتقابلا كل يوم هناك • واقتطع الكلب الكثير من تجواله بقرب الرجل ويراقبه وهو يتناول الصدقات من الصباح الى المساء •

وبملاحظة الكلب له خلال هذا الوقت الطويل فهم الكلب أن المارة يجب أن يقدموا قطعة من النقود ، ومن كان منهم يمر دون أن يلقى بشىء الى الرجل ، كان الكلب يطارده ويمسك طرف ثوبه بأسنانه ويجذبه الى الوراء ثانية نحو الرجل الضرير عند بوابة السوق ولا يتركه حتى يلقى بشىء فى الوعاء •

وكان من بين المترددين على ذلك المكان صبى صغير من الريف تقمصتا «شقاوة» شيطان ، وكان مغرما باثارة الرجل الضرير فكان يوجه اليه الشتائم ويحاول خطف ما فى وعائه من قطع نقدية ، وكان الرجل الضرير يصرخ ويسب ويلوح بعصاه ولكن بلا جدوى •

وكان هذا الصبى يظهر عند بوابة السوق فى أيام الخميس وهو يحمل فوق رأسه سلة مملوءة بالخيار أو بالموز الهندى • ولذلك كان الرجل الضرير يواجه أزمة فى حياته دائما بعد ظهر كل يوم من أيام الخميس •

وكان يقاسم الضرير تحت قوس المدخل بائع روائح عطرية زاهية الألوان — وان كان مشكوكا فى شذاها — يعرض بضاعته على منصة ذات عجل ، وآخر ينشر بعض كتب القصص الرخيصة على جوال من الخيش ، وثالث يبيع أشرطة ملونة محملة على اطار كبير حسن الصنعه •

وفى يوم خميس عندما ظهر الصبى على باب السوق أبدى أحدهم ملاحظ قائلا :

« أيها الرجل الضرير ها قد أقبل سوط عذابك ! » •• وصاح الضرير

« يا الهى ••• أخميس اليوم ؟ » ومد الضرير يديه حوله صائحا :

« أيها الكلب •• يا كلب •• احضر هنا •• أين أنت ؟ » •

وأصدر ذلك الصوت الغريب الذى أحضر الكلب الى جانبه وأملس بيده على رأسه وتمتم قائلا : « لا تدع هذا الوغد الصغير » •• وفى هذه اللحظة بالذات أقبل الصبى ومسحة خبث تطوف بوجهه •

« أيها الرجل الضرير ••• ألا زلت تتظاهر بأنك لا أعين لك ؟ اذا كنت حقا ضريرا فلن تعرف هذا أيضا » •• وتوقف ويده فى طريقها الى وعاء الرجل وقفز الكلب عليه وأعمل نابيه فى رسغه • وانتشل الصبى يده بسرعة وولى الأدبار ناجيا بحياته وقفز الكلب وراءه وطارده حتى خارج السوق • وعجب بائع العطر صائحا :

« أرأيتم اخلاص هذا الكلب المخلط لذلك الشخص الكهل ؟ » وذات مساء لم تظهر السيدة العجوز فى موعدها العادى ، وانتظر الضرير عند البوابه وقد قلق حين تحول الغسق الى ليل ٠ وبينما كان جالسا هناك وقد استبد به القلق اذ قدم أحد جيرانه قائلا :

« سامى ٠٠٠ لا تنتظر المرأة العجوز ، فلن تراها ثانية ٠٠ لقد توفيت بعد ظهر اليوم » ٠

وفقد الضرير المأوى الوحيد الذى كان يأويه ، والشخص الوحيد الذى كان يهتم به فى هذا العالم ٠

واقترح بائع الأشرطة وهو يقدم له بضعة أشبار من القيطان السميك : « خذ هذا الحبل الأبيض وسأعطيك اياه بلا مقابل ٠٠ اربطه بالكلب ، ودعه يقودك ان كان حقا مغرما بك كما يبدو » ٠

وكانت هذه نقطة تحول فى حياة الكلب وأخذ مكان المرأة العجوز ٠ وفقد حريته تماما ٠ وتحددت دنياه بحدود طول ذلك الحبل الأبيض الذى أعطاه له بائع الأشرطة ٠ وكان عليه أن ينسى تماما حياته السابقة وجولاته القديمة ٠ وببساطة كان عليه أن يبقى أبدا فى نهاية ذلك الحبل ٠

وعندما كان يشاهد كلابا أخرى ــ صديقة أو عدوة ــ كان يقفز غريزيا بلا وعى جاذبا الشريط ، وكان هذا دائما وأبدا باعثا لركلة من سيده :

« أيها الوغد ٠٠٠ أتريد أن تطرحنى أرضا ؟ أين ادراكك ؟ » ٠

وفى غضون أيام قليلة تعلم الكلب كيف يكبح غرائزه ونزعاته وأقلع عن الالتفات الى الكلاب الأخرى ــ حتى ان جاءت اليه وزمجرت على مقربة منه ــ وهكذا فقد مدار حركته وصلاته مع بنى جنسه ٠

وبمقدار ما خسر ٠٠٠٠ كسب سيده ٠ لقد تحرك وانتقل كما لم يتحرك فى حياته من قبل ، طوال اليوم كان على قدميه يقوده الكلب ٠ وتعود الناس أن يروه وهو خارج من منزله الجديد الذى انتقل اليه بعد موت العجوز ، وهو ركن فى شرفة معبد ، لا يبعد الا أمتارا قليلة من السوق ، وهو يحمل عصاه فى يد ، ويمسك فى اليد الأخرى بالحبل الذى يقوده به الكلب ٠

وكان يبدأ فى الصباح الباكر واكتشف أنه يستطيع أن يضاعف دخله لو تحرك بدلا من البقاء ساكنا فى محل ثابت ٠ وسار فى الشارع المقبب وكان كلما سمع أصوات بشر يقف ويمد يده للصدقة ٠٠ حوانيت ٠٠ مدارس ٠٠ مستشفيات ٠٠ فنادق ٠٠٠ لم يترك شيئا ٠٠ وكان يجذب الحبل كلما أراد من الكلب التوقف ويصيح كسائق ثور المحراث عندما يرغب فى السير ٠

وحمى الكلب قدمى الضرير من التعثر فى الحفر أو الاصطدام بالدرجات أو الصخور وقاده خطوة خطوة الى بر السلامة وعبر الدرج ٠

وكان الناس يتصدقون بالنقود لهذا المنظر ويمدون يد المساعدة ٠

وتجمع الأطفال حوله وكانوا يقدمون له بعض الطعام ٠

والكلب مخلوق نشيط أساسا يفصل بين جولات المنهكة بفترات راحة منتظمة ، ولكن الآن فان هذا الكلب ـ وسيعرف ابتداء من الآن باسم النمر ـ فقد كل راحته ، وكان يستريح فقط عندما كان الضرير ينام وقد التف مقود الكلب حول أصبعه وكان يقول للكلب : « لا يمكن أن أخاطر بما يمكن أن تفعل ! » ٠

وتملكت سيده رغبة عظمى في أن يربح أكثر مما كان يفعل من قبل ولذلك اعتبر أن أى راحة هى مضيعة للفرص واضطر الكلب أن يبقى على قدميه باستمرار ، وفي بعض الأحيان كانت قدماه ترفضان الحركة ، ولكن ان حدث وأبطأ قليلا فان سيده كان يلكزه بعصاته بعنف وغلظة وكان الكلب يعوى ويزأر من وطأة اللكزة وكان الضرير يسب الكلب قائلا :

« لا تعو أيها الوغد ٠٠ ألا أطعمك ؟ أتريد أن تتسكع ؟ أليس كذلك ؟ » ٠

وكان الكلب يتحرك بتثاقل جيئة وذهابا طولا وعرضا خلال السوق بخطوات بطيئة وهو مقيد الى الطاغية الضرير ٠ وبعد أن تخبو حركة المرور فى السوق بوقت طويل فانك كنت تسمع عويلا بعيدا يخرق أجواز الليل لكلب منهك ٠ وفقد الكلب شكله الأصلى وبمرور الأشهر برزت عظام ظهره وضلوعه وغار لحمه فى جسده الذاوى ٠

ولاحظ بائع الشرائط وبائع القصص الرخيصة وبائع العطور ذلك فى أحد الأمسيات حينما خبا النشاط وعقدوا مؤتمرا فيما بينهم ٠ وتساءل بائع الأشرطة الملونة :

« إنه ليحز فى قلبى أن أرى ذلك الكلب المسكين وقد أذلته العبودية ٠٠ ألا نستطيع أن نفعل شيئا ؟ لقد بدأ ذلك الوغد يقرض النقود بالربا ، ولقد سمعت ذلك من بائع الفاكهة ٠٠ انه يربح أكثر مما يحتاجه ، ولقد تقمصه شيطان الجشع » ٠

وفى هذه اللحظة وقعت عين بائع العطور على المقص فى منصة الشرائط وقال : « ناولنى اياه » وتقدم والمقص فى يده ٠

وكان الرجل الضرير يمرق أمام البوابة الشرقية وكان الكلب يجذب المقود وكانت هناك قطعة من العظام ملقاة على جانب الطريق وكان الكلب يجاهد فى

الوصول اليها واشتد ضغط المقود على يد الضرير فآلمها فجذب المقود بشـدة وركل بشدة حتى ان الكلب عوى وعوى ولكنه لم ينجح فى الوصول الى قطعة العظم وحاول أن يندفع ثانية ناحيتها وكان الرجل الضرير يصب لعناته عليه ، وتقدم بائع العطور وأعمل مقصه فى الشريط وقضمه · وقفز السعيد والتقط العظمة ، وتسمر الضرير فى مكانه لا حراك به وقد تدلى النصف الآخر من المقود فى يده وصاح :

« نمر ·· نمر ·· أين أنت ؟ » وسار بائع العطور مبتعدا بهدوء وهو يتمتم :

« أيها الشيطان القاسى القلب ·· لن يكون لك أبدا بعد اليوم ·· لقـد حصل على حريته » ·

وانطلق الكلب بأقصى سرعة وتشمم الحفر بسعادة واندفع نحو الكلاب الأخرى وطاف مرارا حول نافورة المياه فى ميدان السوق جاريا ·· نابحا ·· وعيناه تلمعان من الفرح وعاود جولاته المختلفة وتردد على حانوت بائع اللحوم والمخبز ومشرب الشاى ·

ووقف بائع الشرائط وصديقاه عند بوابة السوق وهم جد سعداء بمنظر الضرير وهو يحاول جاهدا أن يجد طريقه · ووقف لا حراك به فى نفس موقعه وهو يلوح بعصاه كمن تعلق فى الهواء وأخذ يصرخ :

« أين كلبى ؟ ··· أين كلبى ؟ ألا يستطيع أحد أن يعيده الى ·· سأقتله لو وضعت يدى عليه ثانية » ·· وتلمس طريقه وحاول أن يعبر الطريق ، وكاد أن يدهم عشر مرات بعربات مختلفة فى عرض الطريق وتعثر وجاهد وشهق وزفر ونفر وقال ثلاثتهم وهم ينظرون اليه :

« ما كان كثيرا عليه أن يدهم ··· ذلك الوغد القاسى » ·

وعلى أية حال فان الضرير جاهد وبمساعدة بعض الناس أمكنه العودة الى ركنه فى شرفة المعبد حيث تهاوى جالسا على جواله منهكا من التعب ومن مجهود رحلته الشاقة · ولم يره أحد لأيام عشرة وخمسة عشر وعشرين ··· وكذلك اختفى الكلب وعلقوا فيما بينهم قائلين : « لابد أن الكلب يطوف الآن حول الأرض حرا وسعيدا وربما اختفى الضرير للأبد » ·

وما كاد قائل هذه الجملة ينتهى من تعليقه حتى سمعوا دقات عصا الضرير المألوفة ورأوه ثانية قادما على الرصيف والكلب يقوده وصاحوا :

« انظـروا انظـروا ·· لقد لحق به ثانية وربطه » · ولم يستطع بائع الشرائط أن يكبح جماح نفسه فهرول وسأل الرجل :

« أين كنت طوال هذه الأيام ؟ » وأجاب الرجل الضرير :

« أتعلمون ما حدث ؟ لقد هرب الكلب وكنت هالكا لا محالة فى غضون يوم أو يومين وأنا محبوس فى ركنى .. لا طعام ولا فلس أكسبه وأنا ملتزم بمأواى وكنت سأموت حتما لو استمر الحال هكذا يوما آخر ، ولكن هذا الشيء عاد » .

« متى ؟ .... متى ؟ » .

« مساء البارحة ، فى منتصف الليل كنت مستلقيا على سريرى فحضر ولعق وجهى .. وشعرت أننى أريد أن أقتله .. ولكزته لكزة لن ينساها مادام حيا .. وصفحت عنه .. وعلى كل حال فانه لا يعدو أن يكون كلبا .. لقد هام قدر ما استطاع ملتقطا بعض القمامة من الطريق ولكن الجوع الحقيقى دفعه الى ثانية وهو لن يتركنى ثانية انظروا ... فلدى هذا » .

وهز المقود وكان هذه المرة سلسلة من الصلب .

ومرة ثانية كانت هناك تلك النظرة الميتة فى عينى الكلب وصاح الضرير كسائق ثور :

« هيا أيها الأحمق » .. وجذب السلسلة وهش بعصاه وتحرك الكلب بخطى متثاقلة . ووقفوا يستمعون للدقات وهى تبتعد عنهم وصاح بائع الشرائط وهو ينظر اليهم ويتنهد :

« الموت فقط هو الذى سيساعد هذا الكلب .. ماذا نستطيع أن نفعل لمخلوق يعود لقضائه عن رضى قلب مثل هذا الكلب ؟ » .

راجاراو

ولد راجا راو عام ١٩٠٩ فى مدينة حسان بولاية ميسور فى جنوب الهند فى أسرة من البراهمة • وكان والده أستاذا للغة الكنارية فى حيدر اباد حيث تلقى دراسته •

ومن عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٧ درس اللغة الفرنسية فى جامعة اليجار فى شمال الهند ثم عاد ليحصل على شهادة « بكالوريوس » الآداب من جامعة نظام فى حيدر أباد •

وأختير مبعوثا لحكومة حيـدر أباد فى جامعـة مونبلييه فى فرنسا ، وبعد ذلك درس فى جامعة السوربون • وعاش فى فرنسا من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣٩ ثم ثانية من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٦ وكتب راجا راو قصته القصيرة الأولى ولم يبلغ العشرين من عمره •

ونشرت روايته الأولى « كانتابورا » فى انجلترا عام ١٩٣٨ ولاقت استحسانا كبيرا • ونشرت له مجموعة من القصص القصيرة ، وكذلك رواية « بقرة البوابات » عام ١٩٤٧ ، ثم نشرت له رواية « الثعبان والحبل » التى حصل بها على جائزة أكاديمية ساهيتيا ، فى انجلترا عام ١٩٦٠ ، وفى الولايات المتحدة ١٩٦٣ • وقصته بعد ذلك « القطة وشكسبير » التى نشرت عام ١٩٦٥ مثل قصة « الثعبان والحبل » هى قصـــة ميتافيزيقية (غيبية) ، وتقديره وهو فى بيته فى الهند ، كما هو فى بيته فى الغرب •

ومعرفته باللغة السانكرستية الكلاسية ومعرفته بالأدب الغربى الحديث هى معرفة عميقة • فلقد تأثر من احدى النواحى بالملاحم الهندية القديمة مثل ال « راما يانا » وال « مهابارتا » وال « جيتا »

وال « فيدانتا » · وتأثر من ناحية أخرى بأعمال و· ب· ييتس ، وأندريه جيد ومالرو وكقوله « كان تأثير أندريه جيد على فى الشكل « الفورم » وتأثير مالرو على فى التعبير الأدبى » ·

وكمعظم المفكرين (العقلانيين) من جيله وقع راجا راو تحت التأثير السحرى للمهاتما غاندى ، وفى عام ١٩٤٢ قضى بضعة أشهر فى مقر غاندى وأتباعه فى الهند الوسطى ·

وأخيرا حاضر راجا راو فى مختلف الجامعات الأمريكية عن فلسفة الهند ·

حانوت الغلال الصغير

حانوت الغلال الصغير

كان الجميع يمقتونه ·· يمقتونه ·· وكانوا يقولون : « ذلك الخنزير من طائفة البانيا » (١) وهم يبصقون ويدقون الأرض بأقدامهم ·· « ابن العاهرة ··· سوف يأكل الطين ويتقيأ الدم قريبا ··· » « يا ابن الحمار ··· » ثم يبصقون ثانية ويجذبون نفسا من الأرجيلة ويعاودون القذف والسباب والدق ·

لم يكن قد مضى أسبوع على انتقال عائلة أاناند الى البيت الذى يقع عند ملتقى الشارعين الا أنهم كانوا فعلا قد سمعوا الكثير عن « موتيلال البانياوى » ·

وكان ناراسيما وهو رفيق أاناندا فى الفصل يكره موتيلال وكانت الشتائم تنساب من بين شفتيه كلما مر بحانوت موتيلال للغلال ·

وذات يوم عندما لم يكن أاناندا متعجلا فانه دلف الى منزل ناراسيما ليتجاذب أطراف الحديث معه · وكان ناراسيما فى ثورة غضب فان البانياوى كان قد قال له أنت كلب وبصق عليه ·

وتساءل أاناندا متعجبا : « لماذا ؟ » ·

« لماذا ··· ؟ ماذا يفعل الكلب غير القضم ؟ » ·

واستطاع الآخر أن يتمتم قائلا : « أنا لا أفهم ما تعنى ! » ·

« ألا تفهم ؟ اذن فأنت لا تعرف القصة » ··

« لا ·· » ·

---

(١) « البانيا » طائفة هندوسية من الحرفيين والتجار ، تحرم أكل اللحم ·

وصاح ناراسيما منتصرا : « اذن سوف أقصها عليك » ·· وفيما يلي ما قاله له :

ان ذلك الموتيلال البائس كان فقيرا كالكلب ·· معدما ككلب فى شارع من شوارع المنبوذين ·· وذات صباح خرج هو وزوجته بتى باى من قريتهما الصغيرة فى اقليم جو جارات ، وهو لا يحمل الا وعاء نحاسيا فى يده ، ولا يملكان من الملابس الا ما يغطى جسديهما من الأسمال ·· متى ؟ ·· لا أحد يعلم ·· ولكن لابد أن يكون ذلك منذ حوالى خمسة عشر ·· أو عشرين ·· أو أربعين عاما ·· وتشردا من قرية لأخرى يغنيان ويستجديان ، ويقتاتان ما يحصلان عليه من طعام ، ويقتران فيما يحصلان عليه من صدقة ضئيلة ·· وفى غضون سنة أو سنتين أمكنهما بالفعل أن يقتصدا مائة روبية ·· والآن فى حوزتهما ذلك المبلغ لم يبق أمامهما الا العثور على مدينة يستقران فيها ·

وكانت زوجته المسكينة بتى باى قد أنهكها هذا التجوال وأقسمت أنها لا يمكن أن تذهب لأبعد من « باديبور » ولكن موتيلال كان طموحا ··· ماذا ؟ أيستقر حفيد « بهاتا تاتا لال من خودى » فى حفرة عفنة مثل « باديبور » ؟ كلا ·· حقا ان سوء الحظ المتراكم قد هبط بهما الى الحضيض · لكن عليهما الآن أن ينهضا مرة أخرى · وعليهما أن يصبحا عظماء وأغنياء مثل « بهاتا تاتا لال من خودى » ·

وكانت بتى سعيدة بكونها زوجة حفيد رجل عظيم كهذا وكانت على استعداد لأن تفعل أى شىء لتكون عظيمة مثل ذلك الجد الأكبر الشهير لزوجها ·· وبما أنها كانت فقيرة ، فقيرة لدرجة انها كانت تشرب الماء من بالوعة المياه القذرة فى جانب الطريق · وأكمل ناراسيما : ولما كانت هى أيضا فقيرة وأمها أرملة تعمل خادمة فى منزل رجل من طائفة ألبانيا فقد غدت بدورها أيضا طموحة من تأثير القصص التى كان موتيلال يقصها عليها عن جده الأكبر ·

وذات يوم كانت بيتى فيه مريضة فى بيدابور ولا ترغب فى أن تذهب لأبعد من ذلك ، قال لها موتيلال :

« ماذا تظنين يا بتى ؟ لقد كان لباتا تاتا لال منزل كبير مثل ··· لا ··· بل كبير كهذه المدينة وكان لديه المئات والمئات من الخدم والحشم وحظيرة تضم على الأقل ألفا من الماشية ·

يا الهى لو لم يحضر هؤلاء الرجال الحمر القذرون لكان قد صار غنيا ··· غنيا مثل مهراجا بهافن يا بتى وسنصير نحن كذلك أغنياء مثله ذات يوم ··· يوما ما · واعترضته بتى قائلة :

« ولكنك قلت ان جدك الأكبر هو الذى أضاع ثروته كلها » ··

« نعم يا بتى ٠٠ كان لجدى عشر محظيات بدد ثروته عليهن ٠٠٠ عليهن كلهن ٠٠ العشرة ٠٠ والقليل الذى بقى بدده أبى على محظياته هو ٠

« والرجال الحمر ؟!! » ٠

« نعم ٠٠ الرجال الحمر والمحظيات معا كانوا هم الذين بددوا ثروة جدى ٠ آه يا ليتنى ولدت حينئذ ٠٠ أما أن أولد كما ولدت وأكياس القطن على جانب والماشية على الجانب الآخر ٠٠٠ فى مثل هذا العوز ٠٠٠ أوه ٠٠٠ بتى يا لها من حياة لحفيد « بهاتا تاتا لاى من خودى » وترقرقت عيناه بالدموع ٠٠

« لا ٠٠ لا ٠٠ لا تبك يا أخى ٠٠ وكما تقول سنرحل بعيدا ٠٠ بعيدا ٠٠ بعيدا كما تشاء ٠٠ الى حيدر بور ٠٠ انك تقول انه هناك يمكن أن يثرى المرء فى غمضة عين ٠٠ حسنا سأذهب معك ٠٠ سأذهب » ٠ وأشرق وجه موتيلال وهو يقول « انك ملاك يا زوجتى ، ما أروع ذلك ٠ سنذهب الى حيدر بور ونثرى فى يوم ٠٠ سنثرى ثراء فاحشا فى غمضة عين وعندما نعود لبلدتنا سيعاملوننا كالهين حقيقيين وسيقولون « انظروا ٠٠ انظروا اليهما ٠٠ يا أختاه ٠٠ انظروا الى بهاتا موتيلال ٠٠ لقد توفى والده قبل أن يولد وماتت والدته بعد رؤيته للنور بشهرين ورغم ذلك انظروا ٠٠٠ كيف أصبح ثريا ٠٠ لقد ساعدته الآلهة بالطبع ٠٠ لقد عاش يا أختاه كثور مقدس طليق يعيش هائما ويقتات بما يجد ٠٠ لقد عاش بالاستجداء وها هو قد أصبح ثريا ٠٠ وأى ثرى ٠٠ سيحسدوننى ويحشوننى يا بتى » ٠

ولم تستطع بتى أن تغالب دموعها ٠٠ لقد كانت فى غاية السعادة ٠٠

« نعم ٠٠ كم سيكون ذلك رائعا عندما نخطر والدتى كم أصبحنا أثرياء ٠٠ ولن نكدح بعد اليوم ٠٠ وستعيش معنا » ٠

«سنرى» ٠٠ قالها موتيلال وهو ينظر الى المدينة وقد بدأ الظلام يسودها وتناثرت أضواء هنا وهناك ٠٠ ورقد بجانب بتى واستغرق فى النوم ٠

واستطرد ناراسيما : « وهكذا بعد شهور عديدة قضياها فى الاستجداء والتجوال والمرض والعرج وصلا الى حيدر بور ووجدا ذلك الكوخ الحقير الذى يقيمان فيه الآن ٠ ولم يكن به سقف أو جدران وذهبا الى المالك وطلبا منه صفقة عادلة ٠ ولم يكن هنـاك من هو أسعد منه بالتخلص منه ٠ وبعـد المساومات الضرورية ارتضى أن يتنازل عنه مقابل ٠٠٠ كم تظن ؟؟ خمسين روبية ٠٠ ذلك المبلغ التافه ٠٠ واشترياه ٠ وبينما كانا يحاولان اقامة الجدران وتثبيت السقف استمرا فى الغناء والاستجداء ٠

واستطرد ناراسيما باحتقار :

« متى بدأ كلب فى التهام القمامة لا يمكنك أن تطلب منه أن يكف » ·

وهكذا بعد شهر من العمل – وكانا لا يزالان يستجديان – تمكنا من اتمام سقف من القش فوق رأسيهما · ثم اشتريا بباقي المبلغ غلالا وسكرا ··· وهكذا بدءا حانوتهما ·· والآن وكما يعلم الجميع فانهما متخمان بفيض من الأموال وعلى الرغم من ذلك أنظر كيف يعيشان ؟ هؤلاء الكلاب ··· هؤلاء الأوغاد ، انهما يعيشان عيشة خنازير المنبوذين ·

ولم يفه اناندا بشيء ·· استمع الى القصة بشغف زائد ولكنه لم يستطع أن يشارك الآخر في غضبه حيث كان ذلك أبعد ما يكون عما يشعر به فى قرارة نفسه ·· لقد حضر فقط ليذهب الى حانوت موتيلال ، فان حماته طلبت منه بعض السكر لوجبة العشاء ·

وألقى بتحية وداع دون اهتمام الى ناراسيما وهرع خارجا وجرى الى حانوت موتيلال ·

ولم يكن منظر الحانوت قد تغير منذ أن استقرا فيه وكان السقف مكونا من ألواح من الزنك بدعامات خشبية قليلة زاد عمرها عن نصف قرن ·

وكانت الاضافة الوحيدة للمنزل هى حظيرة خشبية صغيرة أقاماها للبقرة التى اقتنياها حديثا · وكان العلف مكوما فوق السقف بعناية ولم يبد أن أحدا يذكر أن شيئا منه قد أنزل خلال السنتين الماضيتين ·

وكانت البقرة تهيم طوال اليوم من صندوق قمامة لآخر تقتات بفتات الخضر الملقى هناك أو – كما أشيع – كانت تدخل لدورات المياه وتنظفها ·

وعلى أية حال فقد كانت تقدم رطلى اللبن المطلوبين منهما واللذان بقليل من الكرم تحت صنبور المياه صارا رطلين ونصف ، ووجدت بتى باى دائمـا العملاء الذين لا حول لهم لشرائهما · ولقد دفع أناندا مرة ثمان بيات بنفسه ثمنا لربع رطل ، نصفه من الماء والنصف الآخر لا يعلم من ماذا الا الله · ولكن الحصول على نوع من اللبن كان شيئا حسنا على كل حال · وأن لم يحصـل عليه ··· فيا للعار ··· ماذا كان سيقول للضيوف · ؟ !

ولنعد الآن للحانوت ، وكان مكونا من شرفة صغيرة عشرة فى خمسة عشر قدما تطل مباشرة على الطريق · وفى ركن من الأركان كانت البقالة · أدراج صغيرة ···· حوالى الخمسين تقريبا كانت مثبتة الى الحائط كلها مليئة بالفلفل والجنزبيل أو السمسم · وبقربها مباشرة بين أربعة صناديق مفتوحة بها أرز وقمح وملح وتمر هندى كان هناك مقعد ملوث بالزيت يجلس عليه موتيلال · وعندما كان العملاء ينتظرون فانهم كانوا يجلسون عادة قرب أحد الصـناديق

وهكذا كانوا يزيلون الأتربة التى تكدست هناك لفترات طويلة · ومن الناحية الأخرى كانت هناك منصة خشبية بارزة الى الطريق ــ ربما كانت هيكل سرير قديم ــ عليه بعض العوارض الخشبية من الجانبين ، وضعت فوقها أنواع مختلفة من الغلال فى سلال من البامبو · وكانت هناك الغلال المسكرة والغلال المقلية وفطائر غلال بومباى ، وأحيانا بعض الغلال المعطرة وأعواد من السكر واللوز ·

وكانت بتى باى هى التى تجلس بالحانوت عادة · وصنعت منفضة من بعض الخرق البالية كانت تطرد بها الذباب ···· مرة من هنا ومرة من هناك ولكن على الرغم من ذلك فان الأتربة التى كانت تجىء من الطريق كانت تهبط بعناية على الغلال ولم يكن ذلك شيئا مهما ــ كما أسرت بتى بذلك مرة بين المزاح والجد ، لصديقة من السوق ــ لقد كانت تزيد الوزن !! ، وخلف بتى وبالقرب من باب المطبخ على اليسار كانت توجد منصة صغيرة عليها كل ممتلكاتها تقريبا : فراش كان دائما مطويا ومرتبا بعناية ، كان يحتل مكانا بارزا فوقها ومن خلال الثقوب الكثيرة التى كانت بالبساط فانه لم يكن من الصعب التكهن بمحتويات الفراش ··· ربما بطانية وملاءة وحشية قديمة رقيقة كجلد البقرة · وبالقرب من الفراش كانت هناك بعض الأوانى الكبيرة التى تستخدم لقلى وطهى الغلال · ولم يكن أحد بعد قد رأى موضع الخزانة · وكانت هناك شائعات تقول أنهما وضعاها فى حفرة فى الأرض كان مقعد موتيلال فى الحانوت يغطيها · وكانت هناك فسحة صغيرة بين منصة الغلال ومنصة الفراش تستخدم مرة لتناول الطعام ومرة لطحن الغلال ومرة للنوم ·

وكانت تؤدى الى المطبخ الذى كان سقيفة صفيح صغيرة تبرز الى الطريق الضيق ، رغم تحذيرات مفتش البلدية المتكررة · وسوف يعود ذلك المفتش قطعا فى يوم من الأيام · ولكن مساعديه كانوا قدما أذكياء ــ لقد أخذوا من الغلال ما يزيد ثمنه عن أنا ثلاث أو أربع مرات من قبل وأخطروا رئيسهم أن كل شىء فى مكانه الصحيح ·· حسنا ·· فان حضر ·· فان حضر فعلا فان روبية أو اثنتين كفيلتان بتسوية الموضوع · فقد عرف موتيلال عشرات من هؤلاء المفتشين واستطاع أن يخرسهم جميعا ·

وكان الشىء الوحيد السعيد فى الحانوت هو الببغاء الخضراء الصغيرة فى قفصها ، والتى كانت تصيح « السلام عليكم ··· السلام عليكم » لكل العملاء الذين كانوا يدخلون الحانوت · وكان كل من يدخل الحانوت يقدم لها بعض الحبوب ، وعليه كان لديها أكثر مما تحتاجه · وكانت بتى باى تحبها كما لو كانت وحيدتها وخصوصا منذ أن هرب ابنها « تشوتا » مع تلك المرأة فقد وجدا تعزيتهما الوحيدة فى تلك الببغاء · ولم تك تكلفهما شيئا وكانت دائما مليئة بالحيوية والحنان · وعندما كانت بتى تتشاجر مع موتيلال وكثيرا ما كان ذلك يحدث يوميا ما كان عليها الا أن تلتفت ناحيتها قائلة « ميتهو ·· ميتهو ·· »

وكانت ميتهو الصغيرة تجيب وهي تقفز وتنفش ريشها « سلام ٠٠ سلام ٠٠ يا أمي ٠٠ سلام ٠٠ سلام » ٠

لابد أن موتيلال الآن كان قد تجاوز الخمسين ٠ وكان طويلا نحيفا ، وقد تجعد وجهه وكانت عيناه الفولاذيتان السوداوان ينقصهما شيء من البريق !! ٠٠ كانتا تقبعان في محجريهما كفئران في حفرة ، وكانتا كالفئران أيضا ، ماكرتين حين تبدى أقل اهتمام بمراقبتهما ٠ وكانت الوتريتان بشرايينهما الزرقاء النافرة ترتجعان لأى هزة أو لمسة ، فلأجيال طويلة كان الربو (الآثما) يبقيه ساهرا الليلة تلو الليلة ٠ ولولا أرجيلته لكانت الحياة بالنسبة اليه شيئا لا يطاق ولا يحتمل ٠ وكانت الأرجيلة سلوته لفترة من الزمان ولكنها على مر الأيام كادت تقضى على صحته تماما ٠ وعلى الرغم من مشاجرات بتى بسببها فانه كان يدخنها طوال الوقت تقريبا ٠ وفي الحقيقة أنه كان أحيانا يدخن لدرجة أن ماء الأرجيلة كانت تخبث رائحته ولكنه كان يسعل ويبصق بعيدا ثم يواصل تدخينه غافلا عن كل شيء الا دغدغة الدخان الدافئة لحلقه ٠

وكم كان لذيذا أن يكون له صديق كهذا ٠ وعندما كان يضطر لوزن شيء فانه كان ينحيها جانبا على مضض وحالما ينهي الوزن فانه كان يختطفها ثانية في لهفة البخيل على ماله ويبدأ تدخينه من جديد ٠ وكان لها صوت قرقرة غريب ٠ وعادة ما كان الأطفال الذين يحضرون لشراء بعض الحلوى والنعناع يجلسون ويستمعون الى بقبقتها الغريبة وكانوا عند خروجهم يصفقون بأيديهم ويصدرون من حلوقهم أصواتا كصوتها ويضحكون ، وخلفهم كان موتيلال منصرفا الى أرجيلته وقرقرتها العتيدة « جد جد جد » ٠

ولم يكن أحد متأكدا من سبب عصبية وعدم استقرار موتيلال.وقال بعضهم انها بتى ، ولكن البعض الآخر صمم على أنها هي الأرجيلة ٠ وكانت بتى بالطبع تشكو من الأرجيلة فوصلت غيرتها وتقززها منها حدا أن ألقت بها خلف الوقود في المطبخ ٠ وبقيت صامتة كالحجر ، وبحث موتيلال عنها في كل مكان وسب كل عميل في يأس مربع ، ولكن العملاء لم ينبشوا ببنتشفة وأخذوا سكرهم أو أرزهم وشكروا النجوم على أنه لمرة لم يكن مقززا للنفس وانصرفوا لأمورهم ٠

وأخيرا لم يعد يتحمل أكثر من ذلك وهدد بتى بقبضتيه مقسما انه سيسلخها حتى الموت ولكنها ابتسمت وابتهلت ابتهالات قصيرة للآلهة المعاونة وتصنعت الخجل ٠

ودار هنا ٠٠٠ ودار هناك وقلب البيت رأسا على عقب ولكنه لم يعثر لها على أثر ، ولكن هناك بقى المطبخ ، وفي دقيقة كان قد اكتشف مكانها وقفز وأقسم وسب وفي ثورة عارمة ألقى ببيتى أرضا وانهال عليها ضربا بقطعة من خشب

الحريق كان قد أتى بها من المطبخ · وصرخت وولولت وبكت وصدرها الضخم جاثم على الأرض وشعرها مبعثر مشعث ·

ولم يستطع العمــلاء الذين حضروا أن يفعلوا شيئا ووقفوا فى الحــانوت صامتين ومشفقين ، وغطت الرقيقات منهن أعينهن بطرف ردائهن حيث لم يتحملن رؤية الدماء وهى تسيل من ظهر بتى ، وكان موتيلال لا زال واقفا بالقرب منها وعصاه ذات الأشواك لا زالت فى يده ·

وبعــد برهة من التوتر توجه لمقعــده فى الحانوت والتفت لعملائه وكانوا سعداء بأن ينجوا بأنفسهم وكان هو أسعد بالتخلص منهم · وذهب الجميع وبتى ما زالت راقدة كما كانت منطرحة على الأرض وهى تبكى وكانت الدماء تسيل من ظهرها ، وقليل من الذباب ـ حيث كان الوقت صيفا ـ قد استقر للعربدة · وارتفعت الأتربة من الطريق وسقطت ، فمرة كانت عربة خيل ومرة أخرى سيارة وكانت الشمس حامية تذيب الحديد ، ودخل أناندا وصرخت الببغاء « سلام عليكم ··· سلام عليكم » وحدجه موتيلال بنظرة وهو يدخن نرجيلته ، وقد ثار غضبه ، وكان مفزعا أن نراه وقد ثار غضبه وأصبح كالوحش · وصرخ موتيلال بصوت أجش محموم « ماذا تريد ؟ » ·

وغمغم أناندا وهو يرتجف : « رطل من السكر فقط » · والتفت ناحية بتى واقشعر جلده وتوسلت بتى قائلة :

« يا أبى ·· يا أبى ·· انقذنى ·· انقذنى !! » ·

وهدر موتيلال كالرعد : « ينقذك ··· !! اذهبى للجحيم أيتها التنين القذر ··· اذهبى واعرضى نفسك فى منزل للبغاء أيتها التعيسة ··· أيتها الشيطانة ··· أيتها الساحرة يا ابنة الحمار ·· يا ···· » ·

وتنفست بتى بصعوبة واستمر نحيبها ··

قال وهو يسعل : « ماذا تريد ·· كح ·· كح··ماذا تريد ؟ سكر ·· ! » ·

« نعــم » ·

« كــم ؟ » ·

« رطل » ·

« يا أبى ·· يا أبى ·· انقذنى ·· انقذنى » ·

وقفز موتيلال من مقعده وركلها فى ظهرها وهو يضحك ، وضربها بقطعة من الخشب المسننة ·

« آى ·· آى ·· يا أماه ·· آى ·· آى » وانقلبت على جنبها وأخــذت تتلوى ·

« يا كلبة ·· يا عاهرة ·· يا شيطانة ·· أصرخي ·· أصرخي ما شئت فلن يأت أحد ليساعدك ·· لن يأتي أحد البتة » ·

وجز على أسنانه ومسح عرقه بيمناه وجذب نفسا من أرجيلته التي لا تبخل عليه بما لديها ·

وتأوهت بتي وتنفست وأغمي عليها · وجالت الدموع في عيني أناندا ·· وأراد الفرار ·· ولكنه كان خائفا أن يمسك به موتيلال ويحطم أسنانه الاثنتين والثلاثين ·· فقد بدا عليه الغضب وبدا أنه مستعد أن يضرب العالم أجمع ·· وارتجف أناندا ووقف يحملق في الببغاء بلا ارادة ·

ولحسن الحظ فان الخوف من أن تموت بتي قد جال برأس موتيلال وأفزعه · فدلف الى المطبخ وأحضر وعاء به بعض الماء وجلس بقربها وألقى بحفنة من الماء على وجهها · كان فمها مفتوحا وبدا لسانها من خلاله غير واضح الرؤية وكانت حمراء في لون البطيخة من الداخل · وبعد برهة فتحت عينيها وابتسمت ·· ورد الابتسامة برقة وعطف · وكانت أرجيلته معه ·

وفي المساء عندما كان أناندا عائدا من المدرسة كانت بتي جالسة على ردهة الحانوت تطرد الذباب ·

كان الصباح عليلا كالعادة وتتابعت الأيام على بتي وموتيلال · وكان كل يوم منها طيبا ونضرا كاليوم الآخر · وكانا يستيقظان كالعادة في الخامسة وبينما كانت تتوجه الى ماسورة المياه في الطريق لتحصل على ملء دلو من الماء كان موتيلال يزيح الأتربة عن جزء من الحانوت ويطوي الفراش ثم يتوجه لازالة ألواح الباب الواحد تلو الآخر ويحاول ازالة ما عليها من أتربة أيضا ثم يضعها جانبا بالقرب من باب المطبخ · وتكون بتي في تلك الأثناء قد عادت بالماء وتبدأ في غسيل الأواني في الطريق · ولم تكن هذه الأواني الا القليل من الأوعية والطبقين المعدنيين اللذين يتخذان شكل الأجراس وكانا مخصصين لطعامهما · وأخذت حفنة من الرمال من الطريق وقليلا من الألياف الخارجية لثمار جوز الهند وأخذت تحكها حتى صارت في لمعان الذهب · وكان موتيلال في تلك الآونة ــ وليس لديه ما يفعله ــ يجلس على الدرجات وأرجيلته في يده · انه لم ينم جيدا في الليلة الماضية وكان رأسه ثقيلا الى حد يورث الجنون · فأغلق عينيه وراح في سبات هادىء · وبدأ الناس يسيرون في الطريق ، وعلا ضجيج العربات · وتذكرت بتي قريتها التي ولدت ونشأت فيها وبدأت تبكي · لقد توفيت والدتها ولم يبق هناك أحد لتذهب اليه · وحتى ان شاءت الذهاب فهل كان موتيلال يرضى بهذه الرحلة الباهظة التكاليف ؟ أبدا ···

وأيقظت العميلة الأولى موتيلال ‥ لقد حضرت لتشترى ربع رطل من الأرز ‥ ربع رطل من الأرز !! يا لها من بداية مشئومة ليومه ‥ وصاح غاضبا :

« أشيء آخر ؟ » ٠

« لا شيء آخر سوى ربع رطل من الأرز » ٠

« أوه ٠٠٠ يا لهذا العالم ٠٠٠ يا لهذا العالم ٠٠٠ سنموت قريبا من المجاعة بربعك اللعين من رطل الأرز ‥ ربع رطل من الأرز !! ربع رطل من ٠٠٠ » ٠

« لابد لى أن أذهب يا سيدى » ٠

« أتريدين الذهاب ؟! حقا يا امرأة ‥ يمكنك أن تذهبى وتغرقى نفسك فى أول بئر ‥ أو الأجدر بك أن تذهبى وتضاجعى كلبا ذكرا ٠٠٠ أيتها المرأة ٠٠٠ » ٠

وانصرفت المرأة وهى تغمغم قائلة : « حسنا » وزأر موتيلال « هيه ٠٠٠ هيه ٠٠٠ هيه » ٠ أن ينصرف عنه أول عميل ‥ أول عميل ٠٠٠ يا الهى ‥ ويفسد اليوم كله ٠٠٠ « هيه » ٠

وانصرفت العميلة وهرولت مسرعة وجرى موتيلال خلفها وهو يلعن ويسب « هيه ٠٠٠ » وهزت العميلة كتفيها وانصرفت بأسرع ما يمكن ٠ وقال لاهثا وقد وقف أمامها متوعدا « هيه » ٠

وحاولت أن تتفاداه ولكنه أمسك بيديها وشدد قبضته عليها وصرخت ، ولكن لم يكن هناك بشر لنجدتها ٠ وتهاوت عائدة متذمرة بلا حول ولا قوة وابتاعت ربع رطل من الأرز ٠ وارتسمت ابتسامة عريضة على وجه موتيلال ٠٠٠ لقد انتصر وغمغم لنفسه قائلا :

« لن أدع أول عميل يفلت منى هكذا » وكانت حدة غضبها قد هدأت بعض الشيء ٠٠٠ وربما لو كانت أكثر طيبة نحوه فقد تأخذ حفنة من الأرز أكثر ٠ وسعل وضحك بازدراء قائلا : « ولكن ‥ ربع رطل من الأرز ‥ تصورى » ٠

« أوه ولكنى لا أستطيع أن أبتاع أكثر من ذلك يا سيدى ‥ ألا تعلم أن زوجى قد فر مع امرأة أخرى ؟ وأنا فقيرة » ٠

وسالها باهتمام :

« اكذلك الحال ؟ » ٠ فقد فعل ولده ذلك ٠ وتحول حزنه الى شفقة غريبة وسألها أن تفتح حقيبتها والقى فيها بحفنة من الأرز ٠ وكانت سعيدة ٠٠٠ وأى سعادة ٠ وانصرفت وهى تبارك موتيلال الكريم وتدعو له ‥ وفى هذه الأثناء

كانت بتى باى قد فرغت من غسل الأوانى وعادت بالفعل بعد حمامها اليومى تحت الصنبور العام • وكانت تدندن لنفسها بأغانى كريشنا والتى كانت تنشدها كل صباح وهى تؤدى أعمالها المنزلية • كان يجب أن توقد النار وكان يجب أن تحلب البقرة وأن نغلى اللبن ، ويجب أن يتم كل هذا قبل الثامنة عندما يبدأ توالى حضور العملاء الواحد تلو الآخر •

وفى هذا الصباح أيضا لم تشتعل نارها كما يجب فقد خبت مرتين وتمتمت لنفسها :

« يا لها من نذير شؤم أن يبدأ اليوم بها • وصممت أن تتحمل بصبر وهدوء أى تهديدات أو ضرب من موتيلال فان يوما سيئا بالنسبة لها كان يعنى ذلك •

وأخيرا بدأت النار تضطرم ببطء وقد وضعت اناء الماء على الموقد وذهبت لتحلب البقرة • وكان عجل البقرة الرضيع قد تمكن من التخلص من الأنشوطة التى تلتف حول رقبته بطريقة ما وبذلك ضاع نصف اللبن ، وضربت العجل فى ثورة غضب ، وانتحت بالبقرة جانبا وحاولت أن تستدر منها لبنا حتى ولو نصف رطل من اللبن ولحسن الحظ كان هناك القليل الفائض — وفى الحقيقة كان هناك قدر عظيم فائض !!

وقادت البقرة الى الطريق وعادت للمطبخ وكانت النار ضعيفة الاشتعال ولم يكن الماء قد سخن بعد ، فلعنت نفسها ولعنت الوقود ، ولعنت العجل ، ونفخت الهواء داخل الموقد وجلست وأخذت تفكر فى كل ما سوف يستجد فى ذلك اليوم التعيس — اليوم الكالح كما يبدو •

وكانت حتى كحة واحدة من موتيلال كافية لازعاجها وبث قشعريرة فى جسدها • ولكن بعد لحظات — وكأنما النار تعزيها فقد بدأت ترسل فحيحها الجالب للحظ وكانت سعيدة بذلك • اذن فلن يكون يوما سيئا فان اله النار قد تنبأ بذلك • ودخل موتيلال وكان سعيدا للغاية وهتف بحماس :

« بتى •• أتعلمين ؟ •• لقد حطت سحلية على كتفى الأيمن » •

« أحقا ؟ » •• وجالت الدموع بعينيها •

« نعم •• فى التو بينما كنت جالسا فى الحانوت حطت على كتفى الأيمن ثم اختفت ، ولا أدرى ماذا ستجيئنا به ؟ » •

وجذب نفسين طويلين من الأرجيلة ونفخهما فى الهواء بمد شفتيه على شكل دائرة كصبى ينفخ الفقاعات •

وغمغمت بتى وهى تتحول ناحية النار « ربما سيعود تشوتا » ٠

« تشوتا ٠٠٠ تشوتا ٠٠٠ ألا زلت تحلمين به ٠٠ لن أدعه يطأ بقدميه هذا المنزل ـ لا ـ حقا يا بتى ٠ أظن أننا سنحصل على شيء ٠٠٠ شيء رائع ٠٠ من يدرى ؟ ربما يقبل نواب صاحب (١) شروطى ، ١٥ ٪ فائدة ٠ وهـذا شيء بسيط بالنسبة لرجل ثرى مثله » وغمغمت بطريقة آلية : « ربما يفعل » ٠ وأكد لنفسه : « بل سيفعل ٠٠ فبالأمس عندما رأيت سكرتيره قال انه سيهتم بالأمر ٠ أتريدن يا بتى ، خمسون روبية للسكرتير وخمسة عشرة فى المائة فوائد ٠ تصورى كم سيجلب لنا ذلك من عشرين ألف روبية ! سنكون أثرياء يا بتى » ٠

« وما الفائدة ٠٠ لقد توفت والدتى ٠٠ وتشوتا ٠٠٠ » وصرخ فيها :

« اقفلى فمك أيتها الحمارة الصغيرة » ٠

وذهبت لركن البقالة ، وهو يحسب ويعيد الحساب ٠٠٠ كم سيربح من هذه العملية ؟ » ٠

وانطوى الصباح ببطء ، وتثاقل بعـد الظهر فى تؤدة كئيبة ومع ذلك لا شيء قد حدث ٠ وفى كل لحظة كان موتيلال يتوقع وصول رسول من قبل نواب صاحب ، أو نواب صاحب نفسه ٠

وكان موتيلا قد عد نقوده مرتين فى ذلك اليوم ٠ ووضع العشرين ألف روبية جانبا وكلها أوراق من فئة الألف روبية ٠ وبدت له كل عربة تمر فى الطريق كأنما عربة نواب صاحب ، وبدا كل عميل كأنه رسول من طرفه ٠ وساعة الغداء لم يتناول أى شيء على الاطلاق وقال أنه لا يشعر بجوع ٠ وحزنت بتى لرؤيته فى ذلك القلق ، وكان قلبها ينبض بعنف ٠ وكانت هى الأخرى تتوقع حدوث شيء سعيد ولكن ما هو ! طبعا ان خاطر عودة تشوتا ملأها بسعادة غريبة وخوف ـ آه ٠٠٠ لو أنه عاد ٠٠٠ لو أنه حقيقة عاد ٠ انه فى هـذه الحالة سيتوجه الى « جو جارات » ويتزوج ابنة بابان لال ٠ لقد كانت معدة له من زمن طويل ٠ انها لم تكد ترى ضوء الشمس حتى تمت خطبتها الى تشوتا ـ لابنها العزيز تشوتا ٠

ولا شك أن الصبية قد كبرت الآن وأصبحت عذراء صغيرة فاتنة ٠ وهى لا تزال معدة له ٠ كم سيكون جميلا ورائعا أن يكون لها زوجة ابن فى المنزل فان نصف عمل المنزل ستتولاه هى وسيبقى القليل لتقوم به بتى بنفسها ٠

---

(١) نواب صاحب) لقب شرفى للمسلمين الحكام ، او ذى المكانة فى الهند وباكستان ٠

نعم سيعود تشوتا ٠٠ نعم سيعود ٠٠ تشوتا ٠٠ تشوتا ٠ وانخرطت فى البكاء ٠ ودخل موتيلال المطبخ ليأتى بنار لأرجيلته ورأى الدموع فى عينيها وسألها عما يبكيها ٠ وقالت له عفو الخاطر بين نشيجها :

« لقد كنت خائفة ٠٠ كنت خائفة ٠٠ أن تموت قبلى » ٠ وغمغم وهو يربت على شعرها : « أيتها المسكينة » ثم خرج لركن بقالته ٠

وبدأت الشمس تغيب ولما كان اليوم السبت فقد كان على موتيلال أن يذهب لمعبد « ماروتى » ٠ وكان من عادته أن يذهب الى هناك بعد الظهر ، ولكنه عزم اليوم أن يأخذ معه هدية أكبر الى الآلهة بمجرد سماعه عن نجاح صفقته مع نواب صاحب ، ولهذا فقد انتظر وانتظر ٠٠٠ ولكن الآن يجب عليه أن يذهب والا فان المعبد سيغلق أبوابه وكان على بعد ثلاثة أميال منه على أقل تقدير ٠ وهكذا ارتدى سترته المخملية القديمة ووضع عمامته على رأسه وهو لا يزال حزينا وان كان لم يفقد الأمل ووقف متثائبا لبرهة ، وذهب وأشعل أرجيلته وتحادث مع الببغاء ٠٠٠ ومع ذلك ٠٠٠ ومع ذلك ٠٠٠ والآن لم يبق هناك أمل وسار فى طريقه ولكنه عاد مسرعا وقال لبتى :

« لو حضر نواب صاحب فاخطريه أننى سأراه الليلة ان شاء الله » ٠

وأجابته بجفاء : « حسنا ٠٠٠ نواب صاحب ٠٠٠ دائما نفس القصة » ٠

وكانت لا تزال تحلم بابنها الذى سيعود وزوجة ابنها الطيبة المنتظرة عندما غابت الشمس فجأة ودلفت للداخل وأشعلت مصباح الحانوت وأنشدت ابتهالاتها المعتادة وقت اشتعال المصباح وأضاءت حتى المصباح الزيتى الصغير الموضوع بالقرب من صورة « راما » فى المطبخ ٠٠ قليل من الزيت الآن ولكن لعل وعسى يأتى بالحظ فان الآلهة على كل حال ليست بهذه القسوة ٠ قد يجعلونك تنتظر ولكنهم سيستجيبون لصلواتك حتما ٠

وكانت الساعة قد قاربت الثامنة وبعد نحو نصف ساعة سيعود موتيلال وهكذا دخلت بتى المطبخ وجلست لتطهو الطعام ٠ وسعل أحد الناس بالخارج وتلفتت حولها ولم يكن هناك الا الظلام ٠٠٠ لا شىء الا الظلام الدامس ، ولا أثر لمخلوق حى » ٠

ولكن تلك السعلة كانت لا تزال تزعجها بشكل مألوف ٠٠٠ كيف ؟ لم تكن تدرى ولكنها بعثت فيها سعادة غير طبيعية ٠

وهمت أن تقوم وترى من يكون هذا ٠٠٠ ولكن لابد أنه قد ذهب الآن ٠ وكان الظلام دامسا ٠ وبدون أن تعى أغفت قليلا وكانت معتادة على ذلك ٠ وفجأة خيل اليها أن شخصا يناديها بصوت مألوف : « ماى ٠٠ ماى ٠٠ يا أمى ٠٠ ماى » وقبل أن تفتح عينيها كان تشوتا يحوطها بذراعيه ٠ وأذرفا الدموع ٠ وحضر موتيلال قبل موعده المعتاد بقليل ــ هل جاء النواب صاحب ؟ ٠٠٠ وكان

يرغى ويزبد من الغضب ولكنه سمح لتشوتا بالبقاء ٠٠ فعلى أية حال لقد عاد ٠٠ وكان هذا كافيا ٠

كان ماتا بابان لال سعيدا بعودة تشوتا ، وهكذا ففى غضون أسابيع ثلاثة وصل الى هايدر بور ليتناقش فى مسألة البائنة التى تدفعها العروس ٠ وأصر موتيلال على خمسين ألف روبية ٠

ان تشوتا هو ابن حفيد بهاتا تاتا لال من خودى ٠ ولكن بابان لال كان قد زوج ابنتين وبقيت له ابنتين أخريين ٠٠ لا ٠ انه لا يستطيع أن يدفع ذلك المبلغ الضخم ٠ وعلى أية حال لما كانت بتى أقل طموحا ــ ولكنها فى غاية السعادة لزواج ابنها من ابنة ماتا بابان لال من جوراك بور ــ فقد أرغمت موتيلال أن يقبل ثلاثين ألفا فقط ٠٠ وهكذا ٠٠ فقد تم الاتفاق وتم الزواج بأبهة وفخامة وكرم ٠ وكانت كل المصاريف على ماتا بابان لال ، وأجيبت كل طلبات أهل الزوج وحصلت بنى على سارى من بناريس ثمنه ثلاثمائة روبية وحصل موتيلال على مئزر من كالكوتا ٠ وكان هناك فعلا موكب زواج ركبت فيه العروس عربة رولز رويس مبتدئة من ركن محلات سوق بادى منتهية فى ميدان السوق عند برج الساعة ٠

ولم تستطع بتى أن تغالب دموعها وهى ترى ابنها مرتديا عمامة مطرزة بالذهب ولباسا موشى بالذهب وقد ضفر كله بالزهور من رأسه لقدميه ويتبعه الآلاف من الأهالى عندما تحرك الركب وسط الزينات والألعاب النارية ٠ وبكت بتى وتمتمت لنفسها ألف مــرة أنهــا تستطيع الآن أن تموت راضية مطمئنة سعيدة ٠ وكم كانت زوجة ابنها مخلوقة لطيفة ، وكانت تبدو عليها امارات الصحة والقوة ٠ وكانت ستشتغل جيدا ٠٠٠

وبعد مضى أسبوع سار كل شىء كالمعتاد ٠ فانه فى كل مرة كان يحضر فيها « أناندا » ــ أو فى الحقيقة أى عميل ــ الى الحانوت كانت بتى تقص وتعيد قص القصة من أولها لآخرها ٠ قصـــة الملابس والفخامة والحفاوة الفاخرة لحفل الزواج ، وفى هذه الأثناء كانت زوجة ابنها الصغيرة ــ التى كانت تميل للسمنة ولها صدر ضخم وشفاه ممتلئة غليظة وعيون تظهر ارادة حديدية وهدوء طبيعى ــ كانت تطحن الغلال والأرز خلف منصة الحانوت ٠

وكان تشوتا قلما يتواجد بالحانوت ٠ وكان مفهوما أنه كان يقضى كل اليوم عند عشيقته فى حانوت سجائر قرب الجامع ، ما عدا تلك الأوقات التى كان يذهب فيهــا الى مخزن الغلال العمــومى ليأتى بالمؤن ٠ وكانت بتى كلما احتاجت اليه أرسلت اليه زوجته الصغيرة ــ وكانوا يطلقون عليها اسم راتى ــ الى حانوت السجائر لتنادى عليه ٠

ومرة واحدة فقط حدث أن سخرت فنكو ـ عشيقة تشوتا ـ من راتي، وأطلقت عليها « فتاة القرية » ، وخلاف ذلك كانتا على علاقة مشوبة بعدم المبالاة يلتزمان فيها بالأدب · وأحيانا كان ابن فنكو من تشوتا يحضر للحانوت ليحصل على شيء يأكله من جده وكثيرا ما أطعمته راتي وغسلته ، ولكن بعد بضعة أشهر راودتها غيرة غريبة ·· لقد كانت حاملا ·····

والآن وقد أصبح موتيلال عجوزا فعلا ، ففي الموسم القادم كان سيبلغ الثامنة والخمسين أو الستين عاما ، وكان ذلك الربو الفظيع يزداد سوءا عما قبل، وكانت الليلة تمضي تلو الليلة وهو جالس وقد جانبه النوم وهو يدخن أرجيلته وينتظر بزوغ الفجر · وعندما كان الألم يخف فجأة كان يرقد لينام لحظات ، وكانت هذه الليالي المؤرقة قد أضعفت لحد كبير أعصابه التالفة من قبل · وكان يشعر برغبة في ضرب كل من يراه ــ وفي الفترة الأخيرة حدث فعلا مقاطعة من عملائه نظرا لسرعة استشاطته غضبا واتفقوا فيما بينهم ــ وكان غريمه ومنافسه موها تلال صاحب الحانوت الصغير قرب شجرة البلوط خلف ذلك ــ اتفقوا على أن الا يذهبوا اليه ثانية ، ولثلاثة أو أربعة أيام أقبلت قلة قليلة الى الحانوت حتى أن بتي ــ وكانت لديها فكرة غامضة عن الموضوع ــ ذهبت تستطلع رأى حماه أناندا وزوجة الكاتب القصيرة عما حدا بهن أن يعاملنها بهذه القسوة ، ولم يخفيا عنها السبب ، وأكدت لهما أنها ستعمل على أن لا يفقد زوجها هدوءه بعد الآن · وعادت وابنته ، وسعل زوجها بعيدا واستمع وقد بلغ به الغيظ ذروته · ضايقته ضوضاء الببغاء وكان مجرد رؤية زوجة ابنه شيئا غير محتمل ، وأحيانا كان يغلق عينيه ويجلس وهو يقول لنفسه ان العالم كله يريد قتله » ومرة هدد أناندا بأرجيلته لأنه لمس الأرز قبل أن يعطيه اياه · ولكن أناندا كان قد شعر بميل غريب نحو بتي المسكينة وكان يذهب هناك دائما ليشتري حاجياته ، وكان هناك سر صغير لم يكن يعلمه أحد الا أناندا وبتي ففي أمسيات أيام السبت عندما لا يكون موتيلال متواجدا هناك كان أناندا يذهب للحانوت وكانت بتي تعطيه حفنة من الغلال المملحة بثقة كبيرة وبحنان بالغ وكانت تقول لنفسها : « انه غلام يتيم ، وأنا أيضا كنت يتيمة » · وكانت تشعر في قلبها أن أناندا يميل اليها ــ كانا صديقين في الخفاء · وكان يجب ألا يعلم موتيلال بذلك ··· أبدا ·

وأخيرا امتدت صفقات موتيلال المالية ليس فقط في حيدر بور ولكن الى الولايات القريبة · وكان له أصدقاء كثيرون بين الكتبة والسكرتيرين وكان رؤساؤهم دائما يطلبون مالا ومزيدا من المال · وكان مأمور ضرائب سيندر بور قد اقترض عشرة آلاف روبية ليشتري عربته الجديدة وليدفع بعض الديون القديمة ، وكان نسيب الملك قد بلغ سن الرشد وورث عقاراته وكان معها كثير من المتاعب ، وكان قد اقترض عشرين ألف روبية ليدفع لمحاميه في بومباى

وعندما يربح القضية ـ وكان واثقا من ذلك ـ فان موتيلال كان سيحصل على نقوده زائدة فائدة قدرها عشرون فى المائة .

ولم يكن هذا معروفا لأشخاص كثيرين ولكنه كان حقيقة . وكانت هناك وثائق تثبت ذلك . وأن رئيس الوزراء العظيم ـ بعد أن خسر مبلغا ضخما من المال فى مصنع للجوت فى كلكوتا ـ قد اقترض خمسين .. نعم .. خمسة وصفر .. خمسين ألف روبية بفائدة قدرها سبعة عشرة فى المائة . وفى بضعة أشهر ستعود تلك الأموال بفوائدها . ولم تكن هناك الا عملية واحدة مريرة سيئة الحظ فان أحد الكتبة ـ وكان يعرف لسنوات عدة ـ قد احتال عليه . فان ذلك الوغد كان قد أخـذه لرجل كان يطلب فقط ألفى روبيـة ـ نعم ألفى روبية . وكما قيل لموتيلال فان ذلك الرجل كان اقطاعيا يملك عدة قرى فى مقاطعة تيكابور ، وكان يعيش فى منزل ضخم للغاية ولديه العديد من الخـدم والحشم والعربات حتى أن موتيلال كان على أكمل استعداد لأن يقرضه المبلغ المطلوب الذى كان كذلك لمدة قصيرة .. ستة أشهر على أكثر تقدير بفائدة قدرها اثنان وعشرون فى المائة . وتم تسجيل الأوراق اللازمة فى حينه وشكر « جانكى رام » ـ فقد كان ذلك اسم الرجل ـ شكر موتيلال بحرارة لانقاذه من دائن قديم . وكان المحصول القادم سيجعله ثريا ، ولكن الدائنين فى غاية القسوة فانهم يتكلمون مع كل شخص عن أمورك الشخصية . وبعد بضعة أسابيع أخبر أحد الأشخاص موتيلال عن طريق الصدفة ! بالفضيحة الفظيعة لشخص كان يدعى أنه عمدة « كوتى أبالى » وفجأة اختفى من المدينة تاركا عرباته بدون أن يدفع ثمنها وكذلك خدمه وايجار منزله . ولم يكد موتيلال يسمع بذلك حتى خر على الأرض وهو يصرخ كالأطفال ويجذب شعر رأسه فى أسى بالغ . وهرعت بتى اليه وأسرع أهل الحى ليروا ما يستطيعون أن يقدموه ولكن ... لم يكن بوسع أحد أن يفعل شيئا .

ومرت الأيام ... وأحيانا كان يصرخ فجأة « عمدة كوتى أبالى ... ألف روبية بفائدة قدرها اثنان وعشرون فى المائة ... أتعرفه يا أخى ؟ » أو كان يستيقظ فى منتصف الليل ويخرج للطريق ويصرخ بأعلى صوته ان المنزل يحترق وان الألفى روبية قد عادت ومعها ربح مائة فى المائة ، وغالبا ما كان يجلس فى ركن البقالة يبكى ويضحك وهو يتمتم لنفسه بأشياء بأصوات غريبة ومختلفة ولكنه كان يلتزم الدقة والأمانة للغـاية مع أرزه وملحه ، وكان يزن الأشياء بالقسطاس ، لا نقصان ولا زيادة كما لو كان رجلا طبيعيا . وكف الآن عن ضرب بتى وأحيانا كان يلاطفها فى أوقات غير مألوفة ـ وكان لا يزال يمقت راتى ـ ولكن حدث مرتين أو ثلاث مرات أن كان يحتضنها فجأة ويبكى ويصرخ « كم كنت مخطئا وكم كنت كافرا وكم كان وحشا عجوزا » .

ولكن كان شيئا عجيبا ومثيرا للضحك ـ كما قالت زوجة الكاتب القصيرة

لجيرانها ــ أنه على ما يبدو لم يتبادل كلمة واحدة مع ابنه وحتى اذا وقف تشوتا أمامه فانه كان يتحول عنه ببرود ويبتسم للببغاء أو ليعمل • وبعد أن « أضاع رأسه في البئر » كقول أهل الحى فقد سيطر عليه هوس غريب بجمع قصاصات الورق التى تتطاير فى الطريق ••• من مظاريف ممزقة •• وعلب سجائر ••• وقصاصات من الصحف ••• وحتى أوراق الموز الجافة وأوراق شجر البانيا التى تشبه الورق • كان يجمع هذه الأشياء بعناية ويعود بها للمنزل ويضعها فى ركن من الأركان ويدعو زوجته كى تشاهدها وتبدى اعجابها بمقتنياته الثمينة • وتوالى خروجه يوما بعد يوم ، وأحيانا كان يترك عملاءه منتظرين ليجرى خلف قطعة من الورق وتتقاذفها الرياح فى الطريق •

وغالبا ما كان يقول لنفسه ــ وهو جالس على مقعده : « عندى ورق ••• عندى الكثير ••• الكثير من الورق ••• أنا غنى لو بعته سأحصل على نقود •• ها ••• ها ••• نقود ••• أوراق مالية » •• أو كان يصرخ فى منتصف وجباته « ان عمدة كوتى أبالى قد عاد وأحضر له عشرين ألف روبية ••• فعلا عشرين ألف روبية !! » « ما رأيك فى ذلك يا بتى ؟ ••• هيه ••• أليس جميلا ؟ » •

وكانت بتى تشيح بوجهها عنه وتقول : « أهكذا أصبح زوجها ؟ » •

وبعد عصر أحد الأيام بينما كان يجمع أوراقه دهمته سيارة وقتل فى الحــال •

وحصلت بتى على تعويض قدره عشرة آلاف روبيــة • وصارت حرة • والآن ، وقد مات موتيلال فان مسئوليات تشوتا زادت عما قبل ، وكان عليه أن يراجع الحسابات ويتوجه للناس ليطالب بديونه ويوقع ويسجل صفقات جديدة ، وعلاوة على ذلك كانت هنــاك المؤونة المعتادة من مخزن الغــلال الرئيسى مرتين شهريا ، وغالبا ما كان يعود التاسعة أو العاشرة مساء متعبا لاهث الأنفاس وقد غطى التراب وجهه وعيونه مصفرة قد خبا بريقها ، وتقدم له راتى عشاءه الذى كان دائما جاهزا فى أحد الأركان • وطبعا قلما تبادلا الحديث • ولو كان لديهما ما يقال فانهما كانا يتفاهمان بالاشارة والايماءة ، أو بكلمات قليلة كان يهمهم بها وكأنه يحدث نفسه ، وكانت بتى تجلس الى جانبه وهو يأكل وتتحدث عن صفقاته التى تمت فى ذلك اليوم •

وبعد العشاء كان يستريح قليلا ثم يتوجه الى فنكو التى كانت تستقبله دائما بوابل من اللعنات والشتائم فانه لم يكن يعطيها الكفاية من النقود ، ورغم ذلك فانه لم يكن يتركها لترحل عنه • ان ذلك الممثل الهزلى مير صاجى كان لا يزال يلح عليها أن تعود اليه ، وكان تشوتا يعلم أن ذلك حقيقة • وكانت لها مشاحنات بسبب مير صاحبى هذا الذى رؤى فعلا مرة وهو يتحــدث اليها

قريبا من نافذة الحانوت • وفى ثورة غضبه ضربها تشوتا فهربت الى الآخر طليقة كالكلب • رسب تشوتا ولعن وبصق وهو فى ثورة جامحة • ولكن لم يكن هناك شيء ليعمل فقد رحلت وكان ما كان •

وأغلق الحانوت وتوجه الى منزله ليأكل وعندما خاطبته بتى ثار فى وجهها ثورة عنيفة وطلب منها الا تتدخل فيما لا يعنيها • وأحضرت راتى الطعام ••• ولم يكن الحساء ساخنا ••• لم يكن ••• « يا ابنة الساحرة ••• أيتها الداعرة القذرة » وركلها بعنف فى معدتها حتى أنها سقطت على الأرض تئن وتتلوى • وكانت هذه هى المرة الثانية التى يركلها فيها هكذا • وكانت المرة الأولى منذ بضعة أشهر عندما كانت حاملا ومات الطفل لذلك • وعلى كل حال لم تكن المسألة خطيرة هذه المرة • فلا عملية جراحية ولا شرطة تخشى •

وسرعان ما تماثلت راتى للشفاء ، وسار كل شيء كالمعتاد غير أنه عندما عاد الى حانوت السجائر كان لا زال مغلقا • ان تلك المرأة اللعينة لم تهرب بنفسها فقط ولكنها اخذت معها ابنه • يا لها من محظية نكدة وشعر بالاذلال والتمزق وبدت عيون راتى المحبة المعذبة مريحة للغاية • لماذا كان يفكر فيها ؟ انه لم يكن يدرى ، وعاد مسرعا ونام مع راتى ولم تنعم بمثل هذه السعادة من قبل ولكنها كانت تعلم أنه سيكون بارد المشاعر ثانية ••• فى صباح اليوم التالى • مسكينة راتى فقد كانت حياتها قاتمة ••• ولدت لأبوين ثريين فلم تكن تدرى شيئا عن العمل اليدوى وكانت أجمل أخواتها وأحبهن فى العائلة •

والآن وقد مات والداها ولم يصلها من أخيها حتى بطاقة بريد • وها هى هنا ••• جارية كبتى •• زوجة عادية لرجل له عشيقة ••• ان وجودها كان أسوأ من أى شيء سمعت عنه أو سمعته فى مسقط رأسها • ماذا كانت فائدة كل تلك النقود التى كان يمتلكها زوجها ؟ ولماذا ؟ ••• وكانت تضطر لأن ترقع رداءها مرة كل أسبوع تقريبا ••• وكانت ترتدى أساور فضية بدلا من الذهبية التى كانت ترتديها فى طفولتها ولم يكن هناك ما تأمل فيه •• أو نطلبه • وكانت حتى قد علقت ثمرة جوز هند فى معبد ماروتى بنذور وصلوات أن يصير زوجها أكثر عطفا عليها • ولكن شيئا لم يحدث للآن ••• لا شيء وراودتها فكرة الانتحار مرة أو مرتين ولكن الفكرة أزعجتها فان حياتها وحيدة هكذا كانت أكثر راحة ••• وعضت شفتيها وصممت على أن تعيش وحيدة • فيوما ما سيعود زوجها ويحضر اليها ••• والا ••• حسنا فليعش المرء فقط •• مثل بنى • وكان وباء الطاعون ـ وكانوا يسمونه الالهه ـ يقوم بزيارة سنوية لحيدر بور فى السنوات الأخيرة وكان ذلك فى شهرى أكتوبر ونوفمبر وكانت مواكب الجثث تتوالى فى الطرقات حتى تأتى شمس مارس الدافئة وتحارب تلك الالهة وتنحيها عن العرش مؤقتا •

وخلال جلوس الالهة على العرش فان نصف المدينة يكون خاويا ويمتلىء الريف المجـــاور بأكواخ البامبو الصغيرة حين يلجأ النـاس خوفا أن يكون الاختيار قد وقع عليهم • وكان رجـال الطب وكبار الأغنياء بفيلاتهم النظيفة الواسعة والعمـال ••• والمقعدون والفقراء ، المحتاجون هم فقط الذين يبقون فى منازلهم المسكونة بالأرواح •

ومنـــذ بزوغ الشمس فى الصـباح حتى غروبها بسرعة فى الغسق فان كل المدينة تبقى مشغولة فقد كانوا يقولون ان الالهه تستطيع أن تعمل فقط فى الليل • وتبقى المخيمات خاوية تقريبا الا من الأمهات والمسنين ثم ما يكاد الليل يرخى سدوله المهلهلة على المدينة حتى يعود الطريق صحراء مرة أخرى •• وحتى الكلاب أيضا قل عددها •

وبين الفينة والفينة تمرق سيارة مسرعة وهى فى خوف مقدس من أن تسترق الالهة نظرة الى داخلها ولو للحظة خاطفة • أو يظهر حشد من الناس يشيعون جثمانا وهم يصرخون ويولولون • وكانت النجوم المعلقة فى السماوات هى فقط التى ظلت مليئة بالطهارة والقوة أنها هى وحدها التى بدا أنها تعلم أن الحياة أبدية •

وكان هنـاك مكان آخر لا تتغير فيه الحيـاة • كان ذلك هو حانوت الغلال الصغير • وهناك سار كل شيء كالمعتاد • ولما كان كثير من تجـار المدينة قد رحلوا الى العالم الآخر فقد ارتفعت واستفادت بتى بالطبع من ذلك ، وباع أحدهم ربع رطل من اللبن بأنات ثمـــان بدلا من ست • وحتى الموز ارتفع ثمنه •

وفى أحد الشهور زاد ربحهم مرة ونصف عما كانوا يربحون فى المواسم الأخرى • وجلست بتى فى مقعدها على منصة الحانوت كما لو كانت ستهش الالهة نفسها بعيدا بمهشة الذباب الصغيرة •

ولكن ذلك لم يكن مقدرا له أن يستمر دائمـا فقد تركتهم الالهة سالمين لمدة سنتين ولكنها قررت ألا تتركهم بعد ذلك • فذات مساء شعرت راتى بحمى شـديدة وبالطبع لم يكن هناك شـك أنه الطاعون • وفى صباح اليوم التالى حضر مندوب البلدية وطهر المنزل بالقطران وأحرق الكبريت فى فتحات جحور الفئران • وفى الحـادية عشرة حضر مفتش البـلدية وطلب من بتى أن ترسل زوجة ابنها الى المستشفى التى تعزل فيه المرضى •• لا •• انها لن تذهب • ولما وجه السؤال الى راتى بدأت النحيب فانها تفضل أن تموت فى ذلك المنزل عن المستشفى فان فكرة المستشفى ملأتهـا رعبا • كل ما يفعلونه هناك •••

ولا أحـــد يعلم ؟ فانهم يقطعونك اربا يخرقون لحمك ويفعلون مليون شيء غير مقدس آخر ٠ الموت أفضل ٠ ولكن راتى بتأثير قوة خفية انبثقت منها أحست بأن الموت لا شيء بالنسبة اليها لا لأنه لم يكن يهم ولكن لأنه لن يلمسها ٠ فلن يتمكن ٠ كانت ارادتها تبدو لها أقوى من الموت ٠ وكانت تعلم أنها لن تموت ٠ ولكن فى اليوم التالى ارتفعت الحمى وزاد حجم « الخراج » وكانت تغيب عن وعيها نصف الوقت ٠ ولكنها حين تستيقظ كانت تبدو واثقة من حياتها الى حد أن الطبيب الزائر أوفد من قبل لجنة الطاعون المحلية أخذته دهشة كبرى من عدم الخوف والثقة التى أبدتها فلقد أكدت له أنها لن نموت ولن تأخذها الآلهـــة ٠

وكان اليوم الثالث عندما حضر أناندا الى المدينة ليحصل على بعض الملابس من المنزل المهجور ، وبالطبع توجه لرؤية بتى وليحصل على مؤونته الصغيرة من الغلال ٠ وكانت راتى ترقد غائبة عن وعيها فى ركن البقالة وقد امتلأت عيونها بدموع راكدة وكان جسدها متيبسا لا غطاء عليه وقد وضعت يدا على ثدييها اللذين يرتفعان وينخفضان واليـد الأخرى على الأرض ، وكان فمها مفتـوحا عن آخره وحولها حشد من الذباب الطنان ، وقد دخل البعض منه الى فمها وحام البعض حوله وحط البعض الآخر على منخريها المرتجفين وبين كل هذا كانت تئن فى صوت لاهث أجش ٠« أمى ٠٠٠ أمى ٠٠٠ آه ٠٠٠ » ٠

ولا حاجة للقول أن راتى توفيت فجر اليوم الرابع وأحرق جثمانها فى عصر نفس اليوم ٠ لقد ذهبت ٠ وبدا أن عزيمتهـا تفتتت أمـام النيران التى التهمتها ٠ وانتصر الموت ٠

وبعـد سنين عـدة عنـدما عاد أناندا من الشمال مر على حانوته العزيز وبدا مألوفا له كالعادة وفقط أخبروه أن بتى توفيت من شهور بســـبب الشيخوخة وكانت فنكو هى التى تجلس على منصـة الحانوت ٠ واشـــترى مؤونته المعتادة من الغلال وقدم بعضا منها الى الببغاء التى عاشت رغم كل شيء وصاحت الببغاء « السلام عليكم ٠٠٠ السلام عليكم ٠٠٠ أيها الرفيـق الطيب ٠٠٠ السلام ٠٠٠ السلام ٠ »

وفى الطريق ٠٠٠ ارتفع الغبار ٠٠٠ وسقط ٠



نيمكا

نيمكا

قابلت البارحة نيمكا فى باريس • ونيمكا أو « نيموتشكا » روسية بيضاء من أصل قوقازى ولكنها تفضل أن تقول أنها جركسية فهذا أحرى أن يضفى عليها شهرة غامضة •

كانت لنيمكا عينان خضراوان لا تستقران تشبه عيون المغول ، ولسان لين يتحرك فى فمها ويقطر منه شهد مصفى • عندما عرفتها لأول مرة منذ عشرين عاما كانت تقوم بالخدمة فى أحد مطاعم الحى اللاتينى الذى كان يقدم لها الطعام والعمل والمئات القليلة من الفرنكات التى كانت لازمة لاعاشة والدتها من أسبوع لأسبوع •

وبالطبع كانت والدة نيمكا قد ترعرعت فى سمولنى • ويبدو أن بلاط سمولنى لعب دورا هاما فى تاريخ حياة أسرتها فى الثورة أو الحرب الأهلية • لأنه فى بلاط سمولنى كانت تراود الآنسات الصغيرات الأحلام وكانت أحلامهن كلها رائعة — أن دوقا عظيما — بالطبع — ذهب الى حفل راقص — وكانت الشركسية الجميلة — بالطبع — أفتتن من اى شيء رآه • وكان بلاط سمولنى قد علمهن ذلك النوع النادر من الخفر الذى يؤثر حتى فى خيول زحافات الجليد ويجعلها تصهل • وبالطبع لم تكن الامبراطورة لتعلم بشيء من هذا ، ولكن قسيسا ذا مركز رفيع تدخل • ولما كان البلاط مغرما بالمجازفات فقد هرب الاثنان الى سويسرا ، وبالطبع غضب الامبراطور واحمر وجهه وابيض من الغضب كما كان متوقعا ، ولكن ما كان قد كان — وفضلا عن ذلك كان للشركسية الجميلة والد يعمل جنرالا فى الجيش ثم رقى ونقل الى البلاط ، وبالطبع القى اللوم والخطأ على الكونت تولستوى الذى دمر كل أثر للمجتمع

القديم ، وكتب تولستوى خطابا الى الكونتيسة سنراجانزا بوديلوف ــ خطابا ما زال كنزا فى الغرفة الصغيرة ــ « الثالثة الى اليسار عند السلم اليمين » كما تقول حارسة الباب ، وتقرع الباب وتفتح الشركسية الجميلة الباب لك بابتسامة تشيع الدفء فى قلبك حتى فى ذلك الصيف البارد الرطب ــ صيف ١٩٥٣ ــ وعندما أقول ان قلب نيمكا كان يشيع الدفء فيك فاننى أعنى ما أقول لاننى كنت أجلس الساعة تلو الساعة فى غرفتها الصغيرة بشارع موسيه سان جاك حيث لا تدخل الشمس أبدا ، حتى ان قطة حارسة الباب كانت تضطر لان تقبع عند حافة الشباك لترى اذا كانت الشمس تشرق فى أى مكان من السماء ٠

وكانت نيمكا تقدم لوالدتها حساء البورش (١) بطريقة جميلة ٠ كانتا تقيمان فى الطابق الارضى الذى يطل على ساحة الدار ، وكان الطلبة يدخلون ويخرجون من الباب الرئيسى وهم يرمقون تلك الأميرة بنظرات غامضة وهى تطعم قطة حارسة الباب ٠

وكان بعضهم قد قرأ قصة جوركى « ستة وعشرون رجلا وفتاة واحدة » وجال بخاطرهم ان تلك الأميرة هى معبودهم المقدس الذى لا تنتهك حرمته . ولم تكن نيمكا بالطبع قد قرأت جوركى ، فكيف يتسنى لها ذلك ؟! ولكنها كانت تعلم الصواب من الخطأ ودون أن توجهها والدتها أو تقول لها أى شىء ٠

وكان خطاب تولستوى موضوعا فى اطار مناسب ومعلقا على الحائط والى اسفله بقليل ايقونة كييف فى أحد الأركان ، تعطيان النصيحة لكل من يحتاج اليها ٠

وكان تولستوى قد كتب بخطه المتموج ــ وكانت هناك كلمات فرنسية كثيرة فى خطاباته توحى بمن كان يخاطبهم فى مراسلاته ٠

« لا يوجد هناك أدنى شك ٠٠٠ لقد قال أوجست كونت مرارا ٠٠٠ ومن ناحية أخرى فمن الأجدر ب ٠٠٠ اننى ٠٠٠ » ٠

وكتب تولستوى بخطه الأنيق المزخرف ان الشر يجب أن يقابل بالخير ٠ والطيب هو ما يمتاز بالوضوح والجلاء ، والخبيث هو ما يتسم بالنجاح ٠ حتى الهرة تعرف ما هو الطيب ٠

ولم يكن أحد يستدعى الهرة عندما تنتهى الأم من حسائها وينقل الباقى

---

(١) البورشت ــ حساء معروف فى أوربا الشرقية يصنع عادة من البنجر والكرنب ٠

الى ساحة الدار فقد كانت الهرة تنتظر هناك وكان الشيء الصحيح سيحضر من المكان الصحيح فى أنسب الأوقات ٠

ومن يعرف عن نفسه انه طيب ، فانه يعرف أيضا بالحيوانات التى يقتنيها ٠ لم تكن الهرة تموء قط ٠ ان أحــــدا لم يكن فى حاجة لأن يصيح كحارســة الباب « مينو ٠٠٠ مينو » فان مينو ذلك الحيوان الصـــغير الأسود المخطط بالبياض ٠ كانت دائما حاضرة بفرائها السميك وبروحها المرتفعة المقرة بالعرفان بالجميل ٠

وحتى الأميرة العجوز كانت تترك بعضا من طعامها للهرة وهـــكذا فان نيموتشكا الصغيرة كانت تترك جانبا من طعامها لوالدتها ، وهذه هى الطيبة ٠٠٠ ان كانت الطيبة تحتاج الى تعريف ٠

وكانت نيموتشكا صالحة ٠ صالحة جدا وذات جمـــــال بسيط حقيقى لا يمكنك أن تمحوه حتى لو قطعت وجههـا صلبانا ، وكان فى جمالها يقين وتوازن نادر و « شقاوة » أنثوية بريئة وكان يبرز لك نوعية من التأكيد تقطع بأنك صالح طيب ، وحتى لو كنت خبيثا فانك ستضطر أن تكون صالحا ، لأن هـذا الجمال غير قابل للأخذ ٠ كان جمالا وسيبقى أبدا ولا يمكنك أن تسلبها اياه مثلما أنه لا يمكنك أن تلطخ نفسك ــ وكيف تستطيع ذلك فانك لو تأملت فى الجمال سينتهى بك الحال الى التأمل ٠ ويمكنك حتى أن تحتسى قدحا من الشاى ٠٠ وبالطبع ــ كانت نيموتشكا مغرمة بالشاى وأحببت أنا الشاى لأنها كانت تحبه ٠

وكنت أذهب الى نيموتشكا ــ فقد كنت طالبا أيضـــا ــ وفى السوربون وفى صباح أيام الآحاد عندما كانت تعود من الكنيسة كانت تحب أن يزورهـا أصدقاؤها ٠

وفى ذلك اليــوم كان اعــداد الغداء يتأخر وهكذا فكان ساعة اضافية ــ وكانت نيمكا مرحة ــ وعندما عادت قرأت لها بعض نصوص من « رامايانا » و « ماهابهارتا » وقصــة نالا وداما يانتى ، وكان نفى الزوجين الملكيين دائما يحرك مشاعرها ٠ وكانت تربط بين ساحة ســـمولنى وقصر دماايانتى ، وكان يجب عليها فقط أن تخترع البجعة ٠ وكنت أنا البجعة حينئذ وكنت البجعة الآن وكانت نيمكا تعرف القول الهندى المأثور أن البجعة يمكنها الفصـــل بين اللبن والماء ــ بين الصالح والطالح ٠ ولما كنت أعرف عنها الصلاح فقد سلمت بى أننى البجعة ٠

وجاءت البجعة ورحلت واصبحت الهند هى الأرض التى يستقيم فيهـا كل معوج فى أى مكان آخر فى العالم ٠

ففى الهند يعيش بلاط سمولنى ــ وليس هناك مناص من أن يعيش ــ ٠ أنظر الى عدد المهراجات ، مهراجا كابورتالا وصاحب السمو الأمير أغا خـان وكلهم هنود ، وقد رأيت صورهم فى الصحف ، انهم يؤكدون وجودك الذى يقسم بالصلاح والاستقامة ــ كان لك حق أن تعيش فى عدل لأنهم موجودون ووجوههم الوقورة المألوفة تضىء صفحات الجرائد ٠

وكانت نيمكا وقد اصطحبتها مرة الى مسرح الشانزليزيه لترى رقصـة « أوداى شانكار » قد قابلت بالفعل « يوفبراجا أوف ميسور » وقمت بتقديمها اليه ، وثنت ركبتيها فى انحناءة رشيقة ، وعلى وجهها بسمة مشرقة أكدت لها أنها كانت على صواب فى ثقتها واطمئنانها ٠

وكانت الوالدة معتـرفة بجميلى لطيبتى وعطفى ٠ وفى خـلال بضـعة شهور ارتفعت صورة اخرى على حائطهم ــ صورة المهاتما غاندى لأن تولستوى كان صديقا للمهاتما غاندى (قرأت لها النص الكامل لخطاب تولستوى للزعيم غاندى ٠ الخطاب المنشور فى كتاب « حياة غاندى » بقلم رومان دولار للناشر ستوك) وهكذا كان تولستوى على حق والهند على حق ، ولما كانت لا تستطيع أن تضع صورة لى على الحائط فقد وضعت صورة المهاتما غاندى وأضفت رونقا كبيرا على وجه تولستوى فقد ظهر أحدهما كالتابع والآخر كاليد ٠ ولما كنت أحد أبناء الهند فقد كنت ــ كما يمكن ان نقول ــ حفيدا من نوع ما وكانت هى أيضا فى نفس مركزى ، وقد جعل هذا كل شىء ممكنا ، الحـديث ٠٠ النظرات الرقيقة وعشاء بين الحين والحين فقد كانت لى حينئـذ أمسية خالية كل أسبوعين مما جعل العلاقة مسموح بها ٠ وكنت أستطيع أيضا أن أصطحبها الى المطـاعم الصينية وكانت تحب أن تكون الأميرة ٠ وكانت ترتدى فراء والدتها الفاخر (المينك) بالطبع وقلادة لؤلؤية احتفظا بهـا رغم كل العوائق فقـد كانت هدية زفافها ــ وكانت نيمكا كما أظن مغرمة بى ولكن تلك القلادة بشكل ما وقفت بيننا ٠ فلم تستطع ان تتصورنى أنا والقلادة معا ــ فقد كانت القلادة مصاغة من الألم ــ فقد كانت هناك تذكرة لقوى الانسان الداخلية ضد المتاعب الخارجية وكانت تعنى الكفاح والعاطفة والعوز ــ فان كسر « قوس راما » كان أسهل من ثنى مشبك تلك القلادة الروسية ، فان اليد التى تستطيع ثنيهـا كانت ستحتاج الى قبضـة أقوى والى نبـل أكثر ألما والى سعادة أكثر جديه ورصانة ٠

الهندى بسيط للغاية فى أعماقه فلو لم يكن هناك حارس للباب ولا هره

فلا صلاح هناك ولا طيبة . النجاح اثم . وغاندى هو القمر ، والمهراجا هو الدليل على الصدق . والصدق عير عار ، والحب لا يباح به . وهكذا وقعت نيمكا فى غرام ميشيل .

والآن فان ميشيل كان صديقى وكان يبلغ التاسعة عشر وله قناع جميل من الوقار وكان قد أنهى دراساته فى « الايكول نورمال » . وكان يقطن فى شارع اولم ، وكنت قد تعرفت به لأنه اختار لغة السانكريت لامتحان التخرج وطالما قابلته فى معهد الحضارات الهندية فى جامعة السوربون . كان شاحب الوجه ولأنفه رعشة عصبية ويداه دائما تحاولان أن تثبت منظاريه وكأنه كلما حاول أن يرى بوضوح فانه يعجز عن ذلك .

وكان قد قال لى « عندما يقول أساتذتى أخضر فاننى لا أعرف ما هو الأخضر وعندما يقولون أحمر فاننى لا أعرف ما هو الأحمر . أعرف أنها أسماء ألوان ، وكل حياتى كنت أريد أن أرى .. أراه .... الشيء ، الشيء كحقيقة ولكن ماذا أستطيع أن أفعل يا صديقى لا يمكننى أن أتطلع اليه . أنا فاشل .. أنه مصاب باللعنة . لقد توفى والدى فى الحرب وترك أمى أرملة فى الواحدة والعشرين وأنا أمل الأسرة . أى أمل هذا الذى لا يستطيع التفرقة بين الأحمر والأخضر — اللون .. نعم انه اسم — والاسم هو كل شيء . فان أبيلارد ذلك الحس القديم كان على حق فنحن جميعا « أسمانيون » (١) . فان الشيء موجود لأن له اسما . امسح الاسم يصبح الشيء فضاء . امسح الفضاء يصبح الشيء هو الحقيقة أو الواقع ، ويجب أن يصنع الشعر من الحقيقة . ان الصوتيات ابتداعات ارادية — نحن فقط نخترع اللغة كما نخترع التنفس .

وكان يقول التنفس وهو يفتح سترته كما لو كان يريد هواء أكثر ثم توقف وكانت نيمكا التى تقوم على خدمتنا تتوقف والطبق فى يدها حتى ينتهى حديثه ، وكانت مغرمة بصوته الوقور وغرامه بالكتابة على غطاء المائدة . وكان يكتب أصواتا . كان يخترع أصواتا .

وذات يوم عندما سافرت وعدت من اجازة عيد الفصح وجدت نيمكا وميشيل وقد تشابكت ذراعاهما وابتسما لى ابتسامة حلوة . كان ميشيل شاعرا . والشاعر مقدس . لم يكن تولستوى شاعرا بل كاتبا — ولكنه مع ذلك كان شاعرا بحق . كان ميشيل يكتب أشياء جميلة ويقول أشياء جميلة وكم كان يضحك عندما كانت نيمكا تضحك ، وكنت قديسهما وحاميهما .

---

(١) مذهب فلسفى يقول ان المفاهيم المجردة أو الملكيات ليس لها وجود حقيقى ، انما هى أسماء لاغير .

ولما كان ميشيل يعيش في شارع أولم ، ولما كانت لا تستطيع أن تصحبه لشارع سان جاك فقد كانا يتقابلان في غرفتي في شارع دى سومراد ٠

وكان ميشيل يقرأ لها أشعاره ، ولم تتزين له اطلاقا بالقلادة اللؤلؤية ٠ أصبحت جادة ٠ وكنت أعلم أنها لم تسمح له اطلاقا أن يلمسها وهكذا فانها احترمته ٠ وحدث مرة واحدة فقط ــ كقول ميشيل ــ أن سمحت له بتقبيلها وكان ذلك في كنيسة ٠ الكنيسة الرومانية خلف شارع سوميرارد ، واعتبرت ذلك عملا غير لائق فقد كان لذلك صلة بالجسد ، وكانت مضطرة لأن تخفى ذلك عن والدتها ٠

وقررت حينئذ أن تتزوج ٠٠ تتزوج أي شخص ٠ لم تكن تستطيع أن تتزوجني ٠ كنت بعيدا جدا ٠٠٠ قصيا جدا ومختلفا ٠ ولم تكن تستطيع أن تتزوج ميشيل فقد قبلها ، وكان ميشيل يائسا للغاية ٠ وتزوجت نيمكا بعد ذلك بشهر تقريبا ، الكونت فيرجيليان كوزمالوف الذى كان يدير المطعم النباتى القريب من « البانثيون » وسرعان ما حملت منه ، وعلى الرغم من انه كان هناك دفء كثير في قلبها فان وجهها كان أبدا حزينا وكان الحزن كان يجلس على جبينها لا لأن ذلك الكونت النبيل كان يكبرها بعشرين عاما وكان أرملا فحسب ، بل لأنه كان مغرما أيضا بالمراهنة على الخيل ٠ وخسر كل ما يملك على الخيل ثم بدأ يقترض من عملائه ٠ وفي يوم من الأيام اضطر لبيع مطعمه وترك نيموتشكا خلال أيام الأزمة التشيكوسلوفاكية وهرب الى مونت كارلو ليربح مالا ٠ ولم يره بوريس ابنه الصغير مطلقا بعد ذلك ٠

ولما احتل هتلر فرنسا تساءلت عما قد يكون قد حدث لنيمكا ووالدتها ٠ ولما رأى بوليس هتلر صورة تولستوى وغاندى فانهم لم يضايقوهما اطلاقا كما كتبت الى نيمكا بذلك ٠ وخلال الحرب عملت كعارضة أزياء من أجل ابنها بوريس. وكانت تعلم أنه لن يحدث لها مكروه ٠ وكانت تحتقر النجاح أكثر من أى شيء آخر وكانت ترغب في أن تعيش كما علمتها والدتها أن تعيش ٠ وكانت والدتها قد توفيت أثناء الاحتلال ٠ وكانت تؤمن بأن الحق سيسود العالم في يوم من الأيام ٠ وكانت لا تزال تأمل أن المهاتما غاندى يستطيع انقاذ العالم ٠ وأحبت هتلر لانه أحب الهند ٠ واغتيل غاندى بالرصاص وعرفت نيمكا أن ذلك كان ثمن الاستقامة والصلاح ٠

وفي السابعة عشرة درس بوريس في « ليسيه لوى ليجراند » وكان بوريس يؤمن بأن الجميع طيبون وصالحون ٠ وهكذا فانه عندما دعا الروس كل الروس في جميع أنحاء العالم أن يؤدوا خدمتهم العسكرية كان فخورا للغاية (وعلى أية حال فانه لم يكن يرغب في أداء الخدمة العسكرية في فرنسا)

وعليه فانه ذهب آملا أن يعود يوما ويصطحب أمه · وبالطبع لم يعد بوريس أبـدا ·

تعيش نيمكا الآن فى شارع « ايكول » قريبا من شارع سوميرارد وتحيك الصدارى الصوفية للمحلات الكبيرة · وباعت القلادة اللؤلؤية واستغلت ثمنها فى حانوت تياب صغير فى شارع بوينو (لأن الطعام والغذاء لازمان للحياة ولا يمكن الاستغناء عنهما) وأرباح الحانوت مجزية ·

وما زالت الأيقونة وخطاب تولستوى يزينان الحائط ، أما صورة غاندى فقد ارتفعت فوق الفراش · لأن المهاتما غاندى يعلم آلام البشر المبرحة · فمع كل مسحة لأرضية الغرفة ومع كل صرخة من طفل فى الشارع ، هناك صوت يتجاوب · انه صوت المهاتما غاندى · وكما قالت لى نيمكا أمس ان المهاتما غاندى ليس رجلا وليس قديسا · ولكنه أمة ·

يجب ان تموج الحقول الخضراء فى الشمس الساطعة ، ويجب ان ينحنى الرجال ليجمعوا الحبوب ويجب ان تطير البجعة هناك · والصلاح من الأشياء الطيبة لأنه ليس نجاحا · الفضيلة ميزة المرأة · والرجل هو المخلوق الذى لا يمكن اكتشافه · ولم تكن نيمكا حزينة فقد عقد قلبها صداقة حميمة مع الحزن كادت ان تكون قريبة من الفرح · وكانت دافئة القلب بالطبع ، وكان حديثها جميلا · وكان للكنتها الفرنسية تلك اللمسة الفضية للسلافيين التى تجعل اللغة غناء · ولم تطلب نيمكا من الحياة شيئا ولا طلبت منى شيئا · وعندما قلت وداعا لم تقل متى سأراك · كانت تعلم أن الحياة التى انتهت أبديه فحين تقتل بالرصاص ، تصبح من الخالدين ·



ب · ب · بيهاف

ولد ب · ب · بيهاف فى دهوليا عـــام ١٩١٠ فى أســرة من الأطباء والأساتذة · وحصل على شهادة بكالوريوس فى الآداب وبكالوريوس فى القانون من جامعة ناجبور ·

وبدأ الكتابة عندما كان فى المدرسة العليا « الثانوية » وكقوله « كان الدافع هو التعبير عن النفس » وقرأ الأدب الهندى وتأثر براماينا ومهابهارات وأعمال كاليداس ·

ويعجب بشاكسبير ـ ديستوفسكى ـ تشيكوف ـ جى دى موباسان ـ هوجو وتوماس هاردى ·

وبيهاف من أوائل كتاب القصة القصيرة باللغة الماراثية وخلال العشرين عاما الأخيرة كتب حوالى اثنى عشر رواية ومئات من القصص القصيرة وكثير من التمثيليات ·

ويعتبر النقاد بيهاف أحد رواد اتجاه القصة القصيرة الحديثة فى اللغة الماراثية وهى كاللغة البنغالية حية ونشطة ومن رأيه أن أفق الكاتب الهنـدى ما زال ضيقا لحد ما ويجب عليه توسيعه ويجمع بيهاف بين النشاط الأدبى وممارسة المحاماة ·



اللغز

اللغز

كان دينو منزعجا بدرجة بالغة ذلك اليوم . لم يكن كطبيعته أبدا . فان شيئا ما بداخله هب فى ثورة صغيرة ضده .

وكانت رائحة العطور تملأ المكان حوله كأنها سحابة ثقيلة . فقد كان هذا هو عمله الأصلى فى الأيام القليلة الأخيرة أن ينثر ماء الورد والعطور على الضيوف والزوار الذين حضروا لحفل الزواج .

وتساءل بعضهم :

« حسنا أيها الشاب . لقد فعلها ابن عمك . وماذا عنك ؟ »

وأضاف آخر ملاحظا :

« إذا تيسر له اتمام ذلك وهو فى الثالثة والعشرين ، فلماذا لا تستطيع وأنت فى الواحدة والعشرين ؟ هذه دولة استوائية ، هذه الهند » .

وقال ثالث :

« حسنا أيها الأمير . لا يكفى أن يستخدم منزلك الجميل هذا سرادقا لزواج الأقارب . انه المكان الذى سيتم فيه حفل زواجك حين يحين الأوان .. أليس كذلك . وما هذا الذى تقول عن الحصول على الاجازة الجامعية هذا العام ... لا ... لا ... امتحان !

... ثم ماذا ؟ ... حتى أن عظماء الرجال فى الماضى كانوا متزوجين عندما كانوا أطفالا . واجتازوا اختباراتهم بنجاح ... أليس كذلك ؟ »

• ال ••• زواج « وكان الجميع يتحدثون اليه على نفس المنوال رهم يصوبون اليه نظراتهم المتسائلة •

وكان الموقف كما لو كان فاسانت العريس الجديد قد انتهى من حزم حقائبه ومتاعه ، وكان الجميع يترقبون بقلق دور دينو ليواجه واجباته •

كان دينو قد اجتذب أنظار آباء وأمهات بعض الفتيات الصغيرات الجديرات بالزواج من أمثاله حينما كان يتنقل برشاقة كأشبين للعريس ، وفي الحقيقة فان العريس نفسه لم يكن له اعتبار على الاطلاق ، وكان الزائرون قد انتهوا من القاء نظرة فاحصة على المنزل الفاخر والسيارة الجميلة اللتين يمتلكهما والد الشاب الصغير • ولم يكن واقع دينو كطالب جامعى صغير يتقدم للاختبار النهائي أهمية في نظرهم وضمت الأيدى المجعدة أمام والد دينو • وكان العظماء والكبراء يتحـدثون بنبرات لينـة وجميلة ، وألقيت أسئلة مؤدبة عن الوقت الذى يمكن فيه ارسال صورة الفتاة الصغيرة ، وعن متى يمكن اتاحة فسحة من الوقت الثمين وعن متى يمكن احضار الفتاة لاجراء مقابلة • وكان يبدو أن الجميع يتحدثون عن الزواج • ليس عن فاسانت العريس الذى كان ماضيا فى اجراءات الزواج ـ ولتذكر ذلك ـ ولكن عن دينو الذى لم يكن مستعدا للتفكير فيه قبل مضى سنتين أو يزيد •

وكان دينو أيضا يشعر بنوع من الانجذاب للجنس الآخر ، تماما كما يشعر أى شاب عادى ، ولكنه لم يفكر فى الزواج جديا حتى هذه اللحظة • وقد تغيرت الأمور على أية حال فى الأيام الثلاثة الأخيرة • فقد كان يتجول فى جـو مشحون بالزواج ، وأشارت أصابع كثيرة فى اتجـاه واحـد واتجـاه واحـد فقط حتى أن وعيه أخذ يزيد بالتدريج بما يدور حوله ، وجفل بشدة كأنما يواجه حدثا غامضا ، فقد انحصر تفكيره فى اتجاه واحـد وبدأ يرى هناك شيئا لم يره من قبل •

وعزف بعضهم بعضا من الموسيقى الكلاسيكية على الناى وكان فى عزفه جمال ساحر • ولحسن الحظ أنه لم يقع ضحية اغراء عزف أغانى فيلم رخيص واختار مقطوعة ممتازة حقا • واستطاع دينو أن يرى صورة العازف أمام عينيه وراه يخلق دوامة من الموسيقى والعواطف وكان دينو قد امتص فى تلك الدوامة الموسيقية •

كم كانت بديعة تلك الأيام الثلاثة الماضية ، وكانت أنغام الناى السحرية قد نسجت معا ذلك العالم الدقيق الذى دام خلال الأيام الثلاثة الماضية • وكان عبير البخور ، وارتفاع لهب النار المقدســـة ، وأعمدة أشجار الموز ، وأفرع شجر المانجو ، وأكوام الزهور ، والأثواب الجميلة ، والزينات الجذابة ، والوجوه المرحة والطنافس الغالية ، ثم غالب الأناشيد الصالحة للغناء ـ مقدسة ،

مكثفة في الكلمات والمعاني الجميلة ـ كانت هذه الأشياء جزءا من الصورة وكان هناك أيضا وجوه لأناس قادمين من جهة ما ، ومتوجهين لمكان ما · وجوه تقترب وتختفي ، وجوه ترتفع وأخرى تطأطيء ـ ولكنها جميعا كانت مبتسمة سعيدة·

كان منزله قد تحول لشيء آخر في هذه الأيام الأخيرة · لم يعد بناء من الحجر والملاط ، بل تحول الى معبد للزواج ، وانبعثت آمال جديدة ، وتفتحت آفاق جديدة ، وترعرعت سعادة غير عادية · كان كل ما حوله ساحرا مغرقا في سحره ، فاسانت توردهان وليلا بارانجاب !! من أين أتيا ؟ لقد أتيا من أماكن بعيدة · لم ير أحدهما الآخر قط من قبل · منذ عدة شهور مضت لم يكن أحدهما يعلم بوجود الآخر · والآن اجتمع الاثنان للأبد في وحدة تدوم مدى الحياة · وقد عزما الآن على اقتســـام حياتهما بأفراحها وأتراحها ، وآمالها ونكساتها · كان أمامهما مستقبل واحد الآن · واندمجت في حياة واحـــدة حياتان لشخصين كانا لأيام معدودة لا يعرفان شيئا عن بعضهما البعض · وستكون هذه المرأة الغريبة قريبة وعزيزة لديه قرب وعزة والديه · ولعلها بمعنى من المعاني ستكون أقرب اليه من والديه · فقد يفترق عنه والداه ولكن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت حتى الأمس غريبة عنه ، لن تفعل ذلك · وبدون سند من عقل أو منطق ، أصبحت شريكة له فيما بقي من عمره · فبعد أن خطوا معا سبع خطوات في حفل الزواج ، أصبحا متحدين معا لحيوات سبع · كم يبدو ذلك رائعا ومحيرا ؟! ·

وعلا ضحك الرجال والسيدات في الخارج ، وكان دينو يستطيع أن يتصور ماذا يجرى هناك · كانت طقوس الاستحمام الدينية تجرى وطبعا لم تكن هناك فرصة أحسن للمرح والمزاح ، وكان فاسانت شابا وسيما وكانت ليلا آية من الجمال ، ولكن السحر الذى يحيط بالاثنين بمناسبة الزواج كان له شيء خاص به ، فمنذ اللحظة التي دخلا فيها السرادق الخاص فان شعلة من داخلهما أضاءت جسديهما ووجهيهما وكل وجودهما في الواقع · ففي الوقت الذى احتسيا فيه حساء الأرز المحلي من نفس الاناء ، ولما همس باسمها في أذنهـــا وكتبه على حبات الأرز بخاتمه . ولما تبادلا عقـــود الزهور ، ولما أدت صلاتها ، وعندما خطوا الخطوات السبع معا ، وكذلك في وقت طقوس الاستحمام الدينية ـ فقد أشرق وجهه وتوردت وجنتاها هي أيضا · لم تكن صفة الجمال لتكفي لوصف هذه اللحظة ـ كان شيئا أثيريا ··· من السماوات العلى ·

وعزف الناى مقطوعة رائعة بالخارج ، وأحيانا كانت الموسيقى تختفي تحت قهقهات عالية وكان المرء يستطيع أن يسمع صوت رشاش الماء · ثم طلب من الزوجة الجديدة رسميا أن تنطق باسم زوجها ، وعندما فعلت ذلك علا الضجيج والصخب كالانفجار فقد أطلق الغاز المضحك مرة أخرى وملأ الجو

صوت الرجال الخشن وأصوات النساء الناعمة ورنين الاساور والاوعية . كان دينو يحاول أن يسرق لحظات من الراحه بعد تعب وعناء الاحتفال بالضيوف ، وبينما كان مستلقيا على فراشه في غرفته ومضت أمام عينيه مناظر مختلفة من حفل الزفاف في نصف يقظته هذه ونصف منامه تدافعت أصوات عديدة تسأله « حسنا أيها الشاب — متى سيكون زواجك ؟ » وترنح دينو واقفا على قدميه ناظرا ناحية باب الغرفة لنوان قليله متسائلا « ماذا يجرى هناك ... ايه ؟ » .

وكانت هيرا واقفة هناك على عتبة الباب .

هيرا — ابنة صديق والده الذى حضر حفل الزفاف — هيرا فتاة صغيرة غير متزوجة . ويبدو أنها حضرت لغرفته في اليومين الأخيرين عن قصد وكررت زياراتها كثيرا عندما كان متواجدا في غرفته . لقد نبذت المشاركة في اللهو الذى كان دائرا في الخارج ودخلت الغرفة . وسألته قائلة « هل لك أن تنهض للحظة من فضلك ؟ » .

« حسنا . ماذا يأتى بك هنا ؟ »

« .. أوه .. أنا آسفة .. ان سارييى هناك على حرف الفراش ، هل تمانع أن آخذه فقط ؟ »

وهب دينو واقفا بسرعة وكان ساريها الغالى المطرز بخيوط ذهبية موضوعا على فراشه فعلا .

كانت الوجبات الدسمة وضغط العمل المتواصل قد جعلا دينو مرهقا للغاية . وحالما بدأت طقوس الحمام المقدس بالخارج فانه فر الى غرفته . وكان هذا ما يجرى طوال الثلاثة الأيام الماضية . لقد عاد الى غرفته مساء أمس مرهقا للغاية ومستعدا أن ينام في الحال فوجد أن تلك الفتاة مع فتاة أخرى قد نامتا في فراشه قبل وصوله . واضطر أن يقضى ليلته بالخارج على مقعد خشبى ، ولحسن حظه لم يكن الجو باردا والا كان قد أصيب ببرد حتما والفضل لهاتين الدخيلتين في غرفته .

والتقط السارى وناوله اياها قائلا :

.. أرجو أن تعذرينى ، فلم الحظه كما تعلمين » .

.. أوه .. — لا عليك — انها غلطتى فى الحقيقة »

وكانت نبراتها معتذرة .

وقال « حسنا — لا تشغلى بالك — فى مكان مزدحم مثل هذا » .

وحينئذ انسحبت الآنسة الرقيقة وما زالت عيناها معلقتين بالشاب ونظر دينو اليها وهي تنسحب من الغرفة · نظر الى فراشه · والى غرفته التى بدا أنها تغيرت تماما · لم يبد أنهـا غرفة طالب جامعى بل أقرب الى غرفة ملابس للنساء · ولم يكن فقط ذلك السارى الذى كان على فراشه ، فقد كان هنـاك سارى آخر ملقى على ظهر مقعده ، وكان هناك آخر قديم خلعته احدى الفتيات وكان ملقى على الأرض · وكانت هناك بعض الملابس الداخلية للسيدات وعلب المساحيق ، وأمشاط ودبابيس للشعر وزهور وأشياء متنوعة أخرى ·

طقم كامل لأى فتاة عصـــرية · كانت غرفته قد تحولت لمتجر للأزياء الشرقية · بدون استئذان أو موافقة كانت الفتيات والسيدات قد استولين على غرفته · وفى المكتبـة هناك وقف شاكسبير ورسكين وقد بدا وجهاهما صغيرين ·

لم يكن دينو من قبل قد احتك بالنساء عن قرب مثل الآن · وما هذا ؟ شعر امرأة على طاولته !! ونظـر بضيق الى المنضـدة والتقط تلك البقايا من الشعر · كان ملمسها ناعما جدا وعلى الفور فهم دينو · كان هذا شـــعر « فيال جوشى » الفتاة ذات الشعر الذهبى · كانت واحدة من قريبات العروس ، ورغم أنها كانت طالبة جامعية الا أنها لم تكن بجسارة الأخرى ··· هيرا ··· ولم تظهر فى حضوره عن عمد اطلاقا · كانت جميلة ومتواضعة وشعرها طويل ناعم وذهبى · وكان والدها أيضا قد تحادث مع والد دينو ويداه متشابكتان · أدب متجسد ·

أصبح دينو شعلة من الاهتياج ، ومرة ثانية ترددت أصداء الضحكات العالية من الخارج · ودارت عيناه مرة ثانية الى فوضى أدوات الزينة وعلب المساحيق وطلاء الأظفار وأحمر الشفاه والأمشاط ، والسارى الجديد المطوى على ظهر مقعده والآخر المستعمل الملقى على الأرض ، وأخيرا استقرت عيناه على السارى القديم الأصفر اللون ذى الجوانب الحمراء · فى نفس الوقت كان الناى بالخارج يشدو بانشودة رقيقة ·

كان سرادق الزفاف قد أصبح خاليـا ومهجورا الآن وأزيلت المقـاعد والأبسطة وتناثرت على الأرض أوراق شجر الموز الجافة واوراق النبات المتسلق وأوراق الزهور وعلب السجائر الفارغة · وكان غلمان المنزل الذين لم يرحلوا بعد يلعبون بأوراق شجر الموز التى صنعوا منها أبواقا صغيرة · وبعد قليل سيزال السرادق كله ·

كانت الستائر قد أزيلت ، وجمعت الحبال ورفعت مصابيح الزينـة واختفى بسرعة الجمع الكبير من القـوم الذين تجمعوا للمناسبة · واستعاد

المنزل الذى كان يموج بالضجة وقاره الأصلي وهدوءه . ولكن على أى حال كان هذا غير محتمل بالنسبة لدينو . وخيل اليه أن الهرج والصخب هما الجو الطبيعى للمكان . وكانت هيرا وأمها والزوجان جوشى وابنتهما فيمال قد سافروا ذلك المساء بالقطار . وتحادثت والدة هيرا لفترة طويلة مع والدة دينو حديثا خاصا . والى أن سار القطار كانت هيرا تحدج دينو بنظرة فاحصة ، وتحدث والد فينال مع والدة دينو وكانت يداه حينئذ معقودتين . وقبل أن يسير القطار ألقت فيال تحية وداع اليه ، وكم احمرت وجنتاها حينئذ ؟ وبدا عليها أنها خمنت ما كان والدها يحادث به والد دينو .

وكانت أم فيال قد قالت لدينو وهو يودعها :

« حسنا الى اللقاء اذن ، ومتى ستدعونا لزيارتكم مرة ثانية ؟ » .

وأجابها « أى وقت مرحبا بكم .. دائما »

وقال والد فيمال معقبا بلهجة ذات مغزى وهو ينظر خلال منظاره « حسنا .. حاول واعطنا فرصة أيها الشاب » .

وأجاب الشاب .

« الفرصة موجودة تحت طلبك »

وقال راوبهادور .

. اذن ــ لا تتردد فيما بعد حينما يحين الوقت ــ فوالدك يقول ان كل شىء رهن قرارك » واعقبها بضحكة عالية .

وهمست هيرا وهى تنظر الى فيمال

« حسنا .. تأكد أن تدعونا لحفل زواجك ــ هلا فعلت ؟ » .

وأجاب دينو :

« وستكون الدعوة من الجانبين ــ أعتقد ذلك »

وهمهمت هيرا بخجل « أوه ... هه ... »

ولكنها كانت فى الحقيقة تريد أن تضيف ان أمكن

.. ألا يمكن أن يكون حفل زواجنا واحدا ؟ » .

ولكن لم يكن هناك وقت للاسترسال فى هذا الحديث .

أضيئت الاشارة الخضراء وأطلق الحارس صفارته عاليا بصبر نافذ .

وتجاوب معه سائق القاطرة بصفير طويل ، وتحرك القطار • وعاد دينو لمنزله بعد أن استمع الى هذه الاشارات الصريحة والمقنعة عن زواجه •

وكان سرادق الزفاف خاليا تماما الآن • وبدا المنزل مهجورا • ولم تعد غرفته مشغولة بالنساء ولم يترك بها أى شيء يختص بهن • والقى دينو بسترته وقبعته على الفراش واسترخى على مقعد مريح • ومن مكانه رأى قاعدة منصة الزفاف وصورة لورد جانيشيا مرسومة عليها وصفوف أشجار الموز التى أنشئت خصيصا للمناسبة السعيدة • كان قد رأى كل هذه الأشياء من قبل ، ولكنها كانت تبدو الآن فى صورة ساحرة • وكان هذا بلا شك تحولا كبيرا • منذ أسبوع واحد فقط كان وحيدا • كان يروح ويغدو وحيدا ، ويأكل ويعيش بمفرده دائما • والآن فان سيدة صغيرة ظهرت فى مكان ما وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته • يستطيع الفرد دائما أن يفهم حب الوالدين والاخوة والأخوات • انهم على أى حال أقرباؤه فى الدم وللفرد الحق فى ميزة أن يعيش معهم تحت نفس سقف العائلة •

ولكن ما سر الحكاية الأخرى ؟ • من أين يتفجر هذا الينبوع من الحب الأبدى ؟ أى سحر هذا ؟ لم يكن فاسانت يعرف ليلا قط من قبل • وكان زواجه بها بسيطا وتقليديا لأقصى الحدود • لم تكن هناك أية فكرة أن يتعرف أحدهما على الآخر ، أو يصادقه قبل الزواج • وبالرغم من ذلك فان فاسانت تكدر بدرجة كبيرة عندما وطأ أحدهم قدم ليلا أثناء مراسم الزفاف • وانفرجت أساريره فقط عندما بدأت تبتسم • كيف يبدو هذا الشعور ؟ من أين ينبع ذلك الحب الصافى • حب يشابه مطرا يسقط من سماء صافية زرقاء •

ال زواج !! كم يبدو رائعا لغز الزواج ؟ ففى مكان ما يولد صبى وتولد فتاة فى مكان آخر ولا يعلم أى منهما بوجود الآخر على الاطلاق ، ولكن على الرغم من ذلك فانهما خلقا لبعضهما • فمن بين الفتيات اللاتى لا يحصين فان هذه هى التى يحصل عليها ، وهى كذلك تحصل عليه من بين الشباب الذى لا يحصى • نفس الوسيلة التى عثرت بهاليلا على فاسانت وعثر بها فاسانت على ليلا • كانا قادرين على تفسير اللغز وأن يعثرا على الكنز لنفسيهما • ولكن ماذا عن هيرا هذه ؟ • من يكون الرجل المقدر لها بحق السماء ؟ وفيمال أيضا ؟ لمن ستكون ؟ ولو أردت حقا لاستطعت أن أتخذها زوجة ، ولكنى لا أريد أن أتزوج ـ ليس الآن • ولماذا العجلة الشديدة على أى حال • لا • • لا ياسيدى لن أتزوج فيمال ، وهيرا ليست فتاتى •

ونهض دينو من المقعد المريح وجلس على الفراش ولكنه لم يتحمل الجلوس على الفراش • كانت عواطفه قد تفتحت فى الأيام القليلة الأخيرة وخمح خياله •

عقود زهر ــ ورود ــ ساري ــ أطقم زينه للمساء . لم يكن منها أى شيء في غرفته الآن · لم تكن هيرا هناك ولا فيمال أيضا · كانت غرفته خالية تماما ــ مهجورة · كان بمفرده هناك · في وحدة كاملة يحس فيها بالبرودة · وتذكر شعر فيمال الطويل · ونظرات هيرا المتمهلة غير الثابتة ، ويذكر الساري الأصفر بالأركان الحمراء الذى كان على أرضية غرفته · وتردد في أذنيه ذلك السؤال الوحيد الذى رددته تلميحا أو تصريحا عقود الزهور وباقات الورود والروائح والناى وأشياء أخرى كثيرة ، بوسائل عديدة ، وحتى السؤال المباشر الصريح · السؤال الذى لم يفكر فيه بجدية من قبل اطلاقا حتى الآن · السؤال الذى لم يفهمه في الحقيقة حتى الآن · وكقوس قزح ينبثق واضحا من الضباب واجهه السؤال · وفتنه غموضه المبهر الألوان وأصبح قلقا ·

ودار برأسه ·· من ستكون ؟ تلك التى ستعبد رب الزواج له · تلك التى سيكتب اسمها بخاتمه · تلك التى سيقلدها عقد الزهور ويربط بينهما الزواج · حسنا · لابد أن تكون أحدى الفتيات · واحدة سيقضى معها كل حياته · انها ستصل من مكان ما يوما ما وتقف أمامه ترى من ستكون ؟ ان لم تصبح هيرا زوجته فمن ياترى ستكون ؟ لابد أنها هناك فى مكان ما . ولكن أين ذلك المكان ؟ ما شكلها ···ما اسمها ؟ يوما ما سيعلم كل ذلك · فحينئذ ستدخل حياته وستكون واحدة بكل ما تحضره معها ــ وحينئذ سيكون قادرا على أن يتكلم معها ، ولن تبقى مجرد حلم ، ولكنها ستكون حقيقة ، ولكن كيف يتــأتى الا يعرف شيئا البتــة عن هذه المــرأة ؟ من ستكون له ، من ستشــاركه مدى الحيـــاة ؟ مع من سيقضى الأيام والليــالى الجميلة ؟ أيام المستقبل ·· حلوها ومرها ·

هل ستكون هيرا بعد كل هذا ــ أو ربما فيمال ؟ تلك التى ســيتغير اسمها باسمه · تلك التى ستصل على أى الأحوال ــ واحدة من مليون ــ من تكون ؟ لماذا يكون هذا السر الذى يتعلق به سرا بالنسبة اليه أيضا · ربما تكون فى الحقيقة متجهة نحوه الآن فى هذه اللحظة بالذات · أليس له حق فى أن يعرف من هى بعد ؟

كان هذا هو السؤال ؟ سؤال كان سيعرف جوابه يوما ما ولكن ليس الآن · وشعر دينو بقلق واثارة بالغين · وشعر كأنه يريد أن يصيح بأعلى صوته للفتاة التى تحيا فى جهة ما · وكان يريدها أن تأتى اليه من أى مكان هى فيه ·

·· انك ستصلين الى هنا على أى حال ·· وسأتمكن حينئذ من امتاع قلبى برؤيتك ، وفى وقت ما سأشعر بلمساتك الرقيقة على جسدى · اننى أشعر بشوق شديد اليك · أريد أن أعرف من أنت وأين أنت ، وما شكلك ؟

كم هو أمر غامض ورائع · انت شريكة فيما بقى لى من حياتى ولكن الى الآن غير معروفة وغير مرئية · كم أشتهى أن أمزق ستار المجهول وأعثر على ما يخفيه وراءه ·· ألا تأتين ؟ للحظة على الأقل ؟

وكان هذا لغزا كالفجر والغروب وشمس الصباح والنجوم ولكنه لم يشعر من قبل بأى لهفة على سبر غور المجهول · لقد كان يقنع نفسه بقبول وجوده حتى الآن ، ولكنه الآن اشتاق الى حل اللغز · وبدأت أفكاره تدور بسرعة حول الفتاة التى ستخطو الى داخل حياته فى وقت ما ، بالرغم من أن شخصها كان ما زال غامضا وغير معروف · وشعر باختناق داخل جدران غرفته الأربعة ، ترقبه باستمرار أشباح الورق لشاكسبير وراسكين · كان الظلام يزحف فى بطء وصار اللغز المثير جذابا بقدر ما كان عميقا ·

وفى لمح البصر كان دينو خارج غرفته وبسرعة سار الى حيث كانت دراجته تستند الى حائط الجاراج · وأوقد المصباح وفى اللحظة التالية كانت دراجته تنهب الطريق وسرعان ما تخطى جسر النهر وساحة ريجنت ودار ضيافة جمعية الشبان المسيحيين وكانت أشجار حديقة المدينة الكبيرة السابحة فى ضوء القمر تقف صامتة كأنها جمهور يصغى بانتباه الى ما يقال فى اجتماع عام ·

ومرقت مبانى كلية الحقوق ونادى « أ · ٢ » خلفه بينما كانت دراجته تنهب الأرض · وكانت الحقول قرب النادى تنضح بالبرودة بسبب المياه التى تنز فيها من بحيرة مجاورة ·

وبالرغم من دفء فبراير المريح فى المدينة فان برد الشتاء كان ما زال متمهلا هنا على مشارف المدينة ·

وارتجفت التلال والحقول والبحيرة فى البرد القارس وبدا كأن ضوء القمر أيضا قد تجمد منه ·

ولكن دينو لم يكن طبيعيا ــ فان موجة من الحماس كانت تندفع بشدة خلال شرايينه ــ واندفع تيار عاصف من الدماء الى رأسه ــ وكانت دراجته لاتزال تندفع للأمام وخيالها ينهب الطريق وهى تجرى ·

وبدا كأن دينو لن يتخلى عن المطاردة الى أن يفسر كلية اللغز الذى سلبه عقله هكذا ·



كريشان تشاندار

كريشان تشاندار من أحسن كتاب القصة القصيرة والرواية باللغة الأردية · ولد عام ١٩١٣ في لاهور ·

كان والده طبيبا في كشمير حيث قضى كريشان تشاندار طفولته وشبابه ، تلقى تعليمه في جامعة بنجاب حيث حصل على ماجستير في الآداب، وبكالوريوس في القانون ·

بدأت حياة كريشان تشاندار الأدبية في عهد ما بعد « برم تشاند » وسرعان ما انضم الى الحركة التقدمية · وسرعان ما أصبح أحد مفكريها القياديين · تأثر بماركس وفرويد ، طاغور ، وبرم تشاند ، وهو من المعجبين بأعمال تشيكوف وبلزاك ، وجوركي وهيمنجواى ·

كتب حوالى اثنتى عشر رواية ، وحوالى ثلاثمائة قصة قصيرة وعدة مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، وترجمت كتبه الى الانجليزية والألمانية والروسية والصينية واليابانية ، والعربية والفارسية والهولندية والايطالية والتشيكية ·

ويعيش كريشان فى بومباى · وعندما لا يكون مشغولا بكتابة الكتب فانه يخرج أفلاما · وهو يكتب بكلتا اللغتين الهندية والأردية ·

وفى رأى كريشان تشاندار أن أهم ما حققه الأدب الهندى هو محاولته أن يكون عصريا ، وأن ينظر الى محاولة الهند فى اللحاق بالعصر الحاضر نظرة عطف وتفهم ·



الجندى

الجنـــدى

كان زمان خان وشاهباز خان ينتميان الى نفس الكتيبة العسكرية ٠ كانا صديقين وزميلى سلاح يفهم أحدهما الآخر جيدا ٠ ولم تكن صداقتهما وليدة زيارات مشتركة للمقاهى والحانات وصالات الرقص ، بل كانت شيئا أصلب أساسا وأطول بقاء ـ كانت صداقة نمت تدريجيا تحت الأجنحة المهددة بالدمار لطائرات الحرب ـ وتحت وابل من قصف المدافع الذى يورث الصمم ، وفى ظلال الموت الزاحف ، ولم يكن هناك شىء رقيق أو مهذب فى صداقتهما ، فقد كانت صداقة خشنة غير مصقولة ، ولا أثر للتهذيب فيها ، كانت أشبه بسلوك الحيوان فى اللعب حين يريد اظهار حيويته وقوته ، وكانت عميقة ثابتة كأشجار الجبال التى تستمد غذاءها من التربة الصخرية فى الهضبة المسطحة ٠ وفى مثل هذه الصداقة لا يوجد مكان للعواطف أو مجال للمنازعة أو الخصام المتبادل وتكون خالية تماما من شطحات الخيال أو شاعرية الحياة ٠ ولكنك تجد فيها رغم ذلك عنصرا مدهشا من الثقة المتبادلة ٠ انها رباط لا لسان له ، ولكنه بالرغم من ذلك يفهم لغة القلب ٠ وكانت التحية بين زمان خان وشاهباز خان سبا أو تعبيرا بذيئا وكثيرا ما اشتبكا معا فى شجار ٠ وكان الأمر يصل الى أن يقدم كل منهما تقريرا ضد الآخر لقائدهما المباشر ٠ ولكن عندما يصل الأمر الى مواجهة الخطر فانهما يتصرفان كشخص واحد ولم تكن هناك تضحية لا يتحملانها ٠ وكان ضابط الوحدة والرتب الأخرى يعرفون ذلك، وكثيرا ما حاولوا ـ من باب المزاح ـ الايقاع بينهما ولكنهم فشلوا ٠

كانت الحرب قد انتهت ٠ وبعد خمس سنين من الخدمة العاملة كانا عائدين لوطنهما ، وكان شاهباز خان ينتمى الى «تشاكلالا» وزمان خان من

«جهوليم» • وجلسا فى القطار يواجه أحدهما الآخر وينظران خلال النافذة لأشجار السنط وشجيرات « الجوند والشـــراه » • وتنقلت عيونهما الجائعة المتلهفة بين سفوح الجبال الصخرية المرتفعة وبين التربة البنية الحمراء التى لم ينم عليها شىء الا نبات « الدخن » ، ورجال لهم عضلات فولاذية • ومرق القطار خلال سلسلة طويلة من الصخور المرتفعة ونزل الى واد منحدر ، وعلى البعد ولأعلى منهما قليـلا كانت هناك فتاة تحمل جرة على رأسـها وهى تمر عبر درب ملتو ، وبدا أن جسدها يتمايل على ايقاع طبلة غير مرئية •

وهمهم شاهباز زاما شفتيه « تعالى يا حبيبتى - يا جنديى الذى يشبه وجه القمر » وفجأة أوقف همهمته وعض على شفتيه الرقيقتين قائلا « انهـا هناك - عبر ذلك الجبل - قرية عبد الله » • وأسـفل سـلسلة التلال - كان يربض واد صغير - يمر خلاله جدول ماء صـغير • وعبر الجدول كانت هناك قرية - قرية امتدت فوقها السماء - قرية عبـد الله • عبـد الله الذى لن يعود أبدا • لقد مات وهو يحارب فى قرية ايطالية ودفن جسده فى قرية غريبة •

وقال زمان خان «ونيسار»

« ونيسار داد خان » •

« وبهاتا » ••

ومر أمام أعينهما صف طويل من الوجوه - وجوه حمراء ، ووجوه بيضاء ، وجوه ضاحكة ووجوه عابسة ، وجوه لا تعرف الخوف - متوحشة - قاسية - بريئة - كانت وجوها بشرية - وجوه اخوانهم • وجوه نبتت من نفس التربة وعاشت فى نفس البيئة ، وكانت الآن تنظر الى موطنها خلال عيون شاهباز وزمان • ذهبت كلها ذهبت - نيسار - كمارامداد - بهاتا - عبد الله • وقال شاهباز « لم الحروب ؟ » وأجابه زمان وهو ينظر الى الأوسمة المعلقة على صدره « اسأل العريف » •

« لماذا يموت الجنود ؟ »

كان زمان خان صامتا •

وقال شاهباز « لنفرض أن جميع الجنود فى العالم رفضوا أن يحاربوا » « وحينئذ ••• » وحينئذ سينتصر العدو » أجاب زمان

« عدو ••• !! اين سيكون العدو ؟ »

وكرر زمان « الأولى أن تسأل العريف »

ولزم شاهباز الصمت . واندفع القطار مدويا خلال المضيق الصخرى .

وقال زمان خان بفخر

« ان بلدتى جهو لم تقترب »

وقال شاهباز بأسى خفيف « ولكن نشاتلالا مازالت بعيدة » ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة كأشعة الشمس الاولى « قد تحضر زوجتى للقائى على المحطة » .

وقال زمان فى غيرة خشنة « هه » ولم يكن قد تزوج بعد .

« وولدى ... عندما التحقت بالجيش لم يكن قد بلغ عمره سنة واحدة، ولابد أنه قد طالت قامته الآن »

وقال زمان « نعم . كطول ماسورة بندقيتك »

وقال شاهباز كمن يتحدث فى حلم « أترى - هل سيتعرف على ؟ »

وأجابه زمان « لن يتعرف عليك لو كان ابن حرام »

وضربه شاهباز على صدره وانفجر زمان مقهقها .

وزمجر شاهباز قائلا « يا ابن الخنزير .. أمك ... أختك ... »

وكانا لايزالان يتبادلان السباب عندما وصلا الى جهولم . ونزل زمان خان - ويلقبه أصدقاؤه جاما - من القطار وهو يرتكز على عكازه . وأنزل الحمال حقائبه ووضعها على جنب . وأحصى زمان متعلقاته وكانت لفة فراش نوم ثقيل مطوى ، وصندوق ملابس كبير . وكان هذا هو كل شيء بعد ستة أعوام من الحرب . كان هذا كل ما يملك وقد عاد ناقصا ساقا فقدها فى مكان ما فى حومة الوغى .

وكان شاربه الأسود قد خشن وتحول لون وجهه الى لون النحاس ، وامتلأت عيناه الزرقاوان بالحقد . وحك ذقنه واستدار ووقف معتدلا بانتباه أمام نافذة العربة قائلا :

« فى رعاية الله يا باجى »

« فى رعاية الله يا جامى »

« اكتب الى »

« نعم سأفعل »

وسادت لحظة صمت ثقيلة .

« هل ستستطيع أن تدبر أمورك ؟ أو أرافقك الى قريتك ؟ » قالها شاهباز وهو يلقى نظرة سريعة الى عكازى زمان .

وخيل لزمان أن عطف شاهباز كان مشوبا بالسخرية . وتصلب جسده. وقال بغلظة وعنف وهو يهز يد شاهباز للمرة الأخيرة :

« لا — سأتدبر — سأكون فى منزلى فى لمح البصر »

وابتدأ القطار فى التحرك .

« جاما يا ولدى »

« نعم يا باجى »

« على كل حال — لم تكن الحرب تبدو بهذا السوء ، لو انك عدت كاملا . اننى حزين لساقك المفقودة يا صديقى . »

واستمر زمان ناظرا — وهو مقطب الجبين — الى وجه شاهباز الضاحك حتى غادر القطار الرصيف .

ودق بعكازه على الأرض فى غضب .

وقال الحمال « أخى »

وصاح زمان خان وراء شاهباز وهو يستشيط غضبا « ياابن الحرام » وانفجر الحمال قائلا « هل دعوتنى يا ابن الحرام !؟ أنت ابن الحرام وأبوك ابن حرام ان الجنود أمثالك هنا يباع الاثنان منهم ببای واحدة . لايدفعنك الغرور والا دفعت بعكازك فى حلقك . أنا أنتمى لقبيلة بولديال .. بولديال أتعرف ذلك ؟ » .

وقال زمان وهو يبتسم ابتسامه عريضة « وأنا كذلك بولديال يا ابن العصا . هيا احمل متاعى يا ابن الطبلة — أنا أخوك — من أين أنت ؟ » « كوه مورری » .

وربت زمان خان على كتف الحمال وقال بنبرات تنم عن الحب والصداقة ، ويداعب الحمال فيعود بنسبة أجداده الأول الى الخنازير « ان قبيلتنا فريدة . والله ان جميع الجنود من قبيلة بولديال فى وحدتى كانوا أولاد حرام — أولاد حرام شجعان — كلهم . لقد حاربوا كالأسود ، وقد انعم على كل منهم بوسام لشجاعته . ووضع الحمال الحقيبة على رأسه ولفة الفراش تحت أبطه وقال :

« هيا اعطنى العكاز أيضا . »

« وكيف سأسير اذن ؟ بساقيك ؟ يا ابن الخنزير • وضحك الحمال وخرج من المحطة وأراد زمان خان أن يدفع له أجره ولكن الحمال قال :

« لا ليس هناك — ليس من فرد من بولديال ، فكل فرد فيهم اخى • وانت عائد من الحرب •• ونظر الى العكاز ولكنه توقف فجأة عندما رأى التغيير الذى كان على وجه زمان وقال :

« اذهب بالسلامة • وليطل عمرك لتتمتع بمعاشك » •

وزمت شفتا زمان فى ابتسامة خفيفة — ابتسامة غريبة حلوة غير محسوسة كان بها من الدمع أكثر مما بها من فرح ، ومن الشفقة أكثر من الدموع ومن العجز أكثر من الشفقة ، وكانت ابتسامته تقول :

« هذه أرضى أنا • قريتى التى تجاوبت فى أصدائها أيام طفولتى والتى ما زالت سماؤها الجميلة مرصعة بنجوم أحلامى والتى فى ترابها ما زالت باقية رقصة الأقدام الرقيقة لمحبوبتى • وهبط درج المحطة ببطء والقى بنفسه فى العربة بمعاونة عكازه •

وسأله سائق العربة : « الى المدينة أيها الجندى ؟ »

« لا » •

« الى جاتاليان أيها الجندى ؟ »

« لا • اننى متوجه الى القرية الصغيرة — فى هذه الناحية من جهولم ، واذا أسرعت فستكون هناك قبل حلول الظلام » •

ولوى السائق ذيل فرسه قائلا : « هيا يا جميلتى • »

ورنت الأجراس التى حول عنقها ، واهتزت الريشة الحمراء على رأسها فى النسيم • كان زمان خان قابضا على عكازه بيد ، وواضعا قدما على حقيبته فى طريقه لقريته • وعندما لاحت له القرية طلب زمان خان من السائق أن يبطىء قليلا • وكانت أمامه حائط حدود القرية • وخلفه شاطىء نهر جهولم • وعبر النهر سار خط الحدود لولاية كشمير وعليه نقطة جمرك جاتليان • وسمع الخرير الخفيض للنهر المنساب والرائحة النابعة من الحشائش الرطبة النامية على شاطئيه ، وكانت المحصولات قد جمعت وفجأة ذكرته أعوادها الباقية فى الأرض بتلك المقابر التى نصب عليها الآلاف من تلك الصلبان الصغيرة البيضاء • كانت الحرب كذلك قد جمعت حصادها البشع والذى كان — كحادث عرضى — يضم جزءا لا يستهان به من ساقه الغالية • وكان المساء قد حل ، وكانت آخر جماعة من فتيات القرية بجرارهن المملوءة من البئر يهرعن عائدات نحو

القرية • كانت هناك فترة من الزمان ، يقف زمان فيها خلف شجرة مترقبا بلهفة حضور « زينا » •

كان ينتظرها وقتا طويلا يمتد فيه بعد الظهر الى الغسق وكان الوادى حينئذ تغطيه غيمة رمادية رقيقة وتهبط السكينة على القرية كأنما كان الحب قد غلف كل شيء باسترخائه الحلو • ولكنه كان يبقى عينيه مشبتتين على الدرب الذي يتلوى خلال الحقول ، الى أ ن يراها هارعة نحوه بخطوات رقيقة جميلة • وكان نبضه يزيد سرعة مع كل خطوة تخطوها • واحيانا عندما لا تستطيع زينا الحضور فان الصمت يصبح ثقيل الوطأة عليه ، ويعود لقريته بقلب مثقل ويلتقط مزماره الهوائى البنغالى ، ويجلس على شاطىء جهوليم حين تنساب ألحانه الشجية تمتزج مع خرير الماء المتدفق ، وتنادى كل نغمة فيها باسم زينا — زينا التى تحاكى بشرتها الذهب لونا ، وصوتها العذب الناى نغما ، وجسدها الرشيق غصن البان • وتزاحمت مجموعة من الأفكار عن زينا مندفعة الى عقل زمان — بعضها واقعي يمت لهذه الأرض . وبعضها الآخر مغلف بهالة سماوية •

وكان الليل قد اشتدت ظلمته • وكانا قد تركا سور القرية وراءهما ، وعلى مشارف القرية رأيا حلبة المصارعة حيث كان يتصارع صبية القرية • ومثل صبية القرية الآخرين كان يأتى هنا للتمرين ، وعندما كان يتعب من التمارين فانه كان يذهب ليغفو على الأرض اللينة تحت شجرة التين الهندى ، ثم يستحم فى نهر جهولم •

كان زمان شابا قرويا مفعما بالحيوية ، كان من أبطال المصارعة وسباحا ماهرا • وعندما وقع بصره على حلبة المصارعة فان يده تحركت بلا شعور الى فخذه ضاربا عليها بشدة كما يفعل المصارعون ، وانزلقت الى بقية ساقه المفقودة ، فسحب يده متألما ووقف منتصبا متحديا • أوقف السائق العربة وطلب منه أن يرشده الى المكان الذى يقصده •• خذنى أولا الى مقام الشهيد ، ومن هناك اتجه يمينا حوالى مائة ياردة » •

كان قبل أن يلتحق بالجيش قد حضر للمقام مع زينا ، وتوسلا اليه أن يشفع لهما فى اجابة رغبتهما فى أن يظلا مخلصين لحبهما • وقدما نذرا مقداره خمسة أنات من كل منهما عند الضريح • ربطا المبلغ فى قطعة قماش صغيرة وعلقاها على فرع شجرة البرقوق الكبيرة • ونزل زمان خان من العربة أمام مقام الشهيد ، وأحنى رأسه بخشوع فى صلاة ، ولما انتهت صلاته مسح بيديه على وجهه وتلفت حوله • وكان هناك قنديل فخارى فى فجوة بالحائط يلقى ضوءا خافتا على فتاة راكعة تصلى ، وكان وجهها الجميل نصف مغطى بوشاح أسود من قماش المرايل •

وحفل زمان • وسار على عكازه نحوها وهتف « زينا » •

ونهضت الفتاة فى ارتباك ونظرت الى زمان فى دهشه •

وقال زمان مدركا خطأه : « عفوا يا اختاه ، لقد ظننتك زينا »

واستعان زمان بعكازه واستقل عربته مرة أخرى • وركعت الفتاة ثانية لتكمل صلاتها •

ووقفت العربة أخيرا بعدما قطعت مائة ياردة أخرى • كان زمان الآن قد وصل الى بيته • وكان هناك دخان ينبعث من المنزل ورائحة لحم يطبخ • وسمع ضحكات الأطفال المجلجلة تتوافق مع أصوات الرجال الثقيلة التى طغت على الضوضاء ، وبين الحين والحين كان يسمع هديل ضحكة نسائية ناعمة • وفوق الكل ارتفع صوت الحاكى مذيعا أغنية «ماهيا» • وبدا أنهم فى غاية السعادة والراحة • ولو أنه لم يخطرهم بعودته الا أنه تمنى لو كانوا مصطفين معا أمام المنزل فى ترحاب صامت • لقد التحق بالجيش لأجلهم ولقد ضحى بساق لأجلهم كذلك • لقد أحرق شمعة شبابه أمام ستار من نيران المدافع ووابل من الرصاص • وهنا — لا هين عن غيابه — كان المنزل يرن بالضحكات، وكان الحاكى يدور طوال الوقت وسارت الحياة كالمعتاد • وبدا من طريقة معيشتهم أنه لا حرب هناك وأن زمان خان لم يلتحق بالجيش اطلاقا ولم تتضعضع ساقه أبدا • وشعر كالغريب فى قريته •

وفتل زمان شاربه وطلب من سائق العربة أن ينادى على «ميراج دن » من المنزل « قل له أن زمان هنا » •

وفى لحظة كانت العربة محاطة بأفراد عائلته • وحملوا ربطة فرشه وحقيبته لداخل المنزل • وحتى هو فقد حملوه وأدخلوه للمنزل وانحنى باحترام أمام والده وقبلته والدته وهى تبكى ورحب به أخوه الأصغر الذى شب مثله يافعا ممشوق القد ، وضم اخواته الاناث الى صدره وربت على رؤوسهم ، ثم جلس على المقعد الخشبى وبدأ يتحدث ببهجة • ولكن لم تكن هناك بهجة فى قلبه وبدا له أن حديثه كان خاويا وجافا •

وطلب والده من ميراج فى صوت متهدج أن ينادى عمه هاشمات وأن يخطر أهل القرية أن ابنه عاد من الحرب مغطى بأكاليل الفخر • وبكت أمه لرؤيتها ساقه المفقودة وقالت :

« لماذا لم تخطرنا أنك فقدت ساقا ؟ »

وواساها قائلا « هذا لا يهم يا أماه — فلدى ساق أخرى — ساق حديدية وأستطيع أن أمشى بها • ونهض وخطا بضع خطوات ثم عاد الى مكانه •

وقال أخوه الأكبر وهو يحك رأسه « سأذبح ديكا » ٠

واختفى من الساحة ٠

ودقق أخوه الأصغر النظر الى الأوسمة سائلا بجرأة وهو معجب أشد الاعجاب « فى أى معركة كسبت هذه الأوسمة ؟ » « فى افريقيا ــ فى حصار كارين ــ كانت معركة حاسمة ٠ حتى الوحدات البيضاء كانت قد تراجعت ، وحينئذ صدرت الأوامر لفصيلتنا بالتقدم ، وكنا نحن ــ جنود الوحدة رقم ١٠ من بنجاب ــ الذين كسبوا معركة كارين ٠ كان القتال مريرا ٠ وكان مطلوبا منى ومن شاهباز خان أن نصعد حوالى ٢٠٠ ياردة لندمر دشمة مدفع رشاش بالقنابل اليدوية ٠ كنا فى أسفل ، وكانت الدشمة فوق رؤوسنا تماما وكان العدو قد مزق جنودنا أشلاء بنيران المدافع الرشاشة ، وزحفت للأمام بوصه بوصة خلف بعض الأعشاب وفى النهاية اندفعت بجنون ودمرت دشمة العدو ٠ وتردد أخوه وهو يقول « وهذه ٠٠٠ وهذه الساق فقدتها فى تلك المعركة ؟ »

وفتل زمان خان شاربه قائلا « لا ٠ هذه فقدتها على الجبهة الايطالية ، كان قائدنا قد أعطى أمر الهجوم بحراب البنادق ٠ كان هناك اشتباك بالسلاح الأبيض مع الألمان ٠٠ وهذه الساق ٠٠ » وضحك وهو يقول « كان يمكن أن أقتل ، ولكن الله كبير » ٠

وصمت زمان خان فجأة ٠ فقد بدأ وصول أهل القريه ٠ وقابلهم جميعا بترحاب كبير ، ثم رحب بعمه راحمات ٠ وبحزن سريع مفاجىء لرؤية ساقه العاجزة فان كل زائر حاول أن يخفى دموعه وراء ابتسامة وربت بحنان على رأس زمان ٠ ولكن زمان كان يتظاهر بالمرح طوال الوقت كأنما كان بتر ساقه أمرا عاديا يحدث كل يوم ٠ وبينما كان يقص بابتهاج لزواره تجاربه فى الحرب كان يحاول تحويل تفكيرهم فى ساقه بالانتقال لمواضيع أخرى ولكن مستمعيه لم يستطيعوا ابعاد نظرتهم عن ساقه ومما زاد الطين بلة أن والدته كانت تبدأ البكاء مع كل زائر جديد جاعلة ساق ابنها المفقودة موضوع قصتها المثيرة للشجن ٠ وجاء أهل القرية كلهم لرؤية زمان ــ رجالا ونساء وأطفالا ـ حتى هؤلاء الأطفال الذين رأوا النور بعد ما التحق بالجيش ٠ وكان واحد من هؤلاء الأطفال صبيا تحمله زينا فى أحضانها ، حين حضرت لترى زمان ٠

وعندما دخلت ساد الصمت الغرفة وأوقفت اخت زمان الحاكى فجأة ٠ وكتم الكل انفاسهم وتنهد زمان ٠

وبمجرد أن رأت أم زمان زينا قالت بسرعة :

« ان زينا الآن متزوجة من خير وهذا هو طفلها منه ٠٠ باركها يا ابنى ٠٠ خــــير ٠٠٠٠ » ٠

وأخذ زمان الصبى من زينا وبدأ يلاطفه وسأل زينا : « كيف حالك ؟ » .

وظلت زينا واقفة خافضة نظراتها . وحينئذ شرع الكل فى الحديث وبدأ الحاكى ثانية فى الغناء وشاركت زينا وطفلها فى حجرها سيدات المنزل وشغل زمان نفسه ثانية بالضيوف تاحفا اياهم بحديثه المازح .

ورحل الضيوف واحدا بعد الآخر . وجلس زمان للقاء مع أفراد آخرين من عائلته ، وملأ العشاء حيويه بنوادر أخرى عن زملائه فى الحرب .

وعندما انتهى العشاء أطفىء مصباح السقف الكبير وانسحب الجميع للنوم وفى ضوء المصباح الفخارى الخافت الذى تدلى مضاء بالغرفة رقد مستيقظا لفترة طويلة وهو يحصى الاعمدة الخشبية فى السقف . وفتحت أمه صندوقها بيدين مرتجفتين وأتت اليه بصورة قديمة . كانت هذه الصورة قد التقطت له قبل أن يجند بالجيش . كان نفس زمان منتصبا عريض الصدر ذا شارب رفيع ولكنه كان بساقين فى هذه الصورة ، وتنهدت امه .

وظل زمان محدقا فى الصـــــورة لفترة طويلة وخاصة الى تلك الساق التى كانت قد فارقته الآن . ثم أعاد الصورة لأمه قائلا :

« اذهبى ونامى يا أمى . اننى لا أعانى من شىء فأنا سعيد بما فيه الكفاية كما أنا » .

وابتعدت أمه باكية وعاد ثانية يحصى الدعائم . ولما لم يستطع النوم فقد نهض من فراشه والتقط المزمار من الرف . وأوضح لأمه انه ذاهب لشاطىء النهر والتقط عكازه .

وعندما عزف على مزماره عند شاطىء النهر امتلأ الجو بأصداء أيام خلت وبدأت أشكال قاتمة تملأ فراغ قلبه . وعادت اليه صورة من حياته الماضية ، ذكريات .. لقاؤه الأول مع زينا ــ قبلتهما الأولى ، ذهابهما معا الى سوق مدينة جهولم . وزاد صوت المزمار حدة ومضاء وأصبح نافذا كسن حربة البندقية ، وبعد أن وخز مركز الذكريات من قلبه توقف عن النغم . وهمست أعواد الغاب للنسيم ، وبين الحين والآخر كانت قطع من الطين تقع فى النهر محدثة صوتا خفيضا لسقوطها .

وجلس زمان هناك وقتا طويلا يقذف حفنات من الرمال فى النهر . ثم سمع صوت أقدام ، وظهر خيال على الأرض . فنهض ودار حول نفسه بعكازه ورأى زينا واقفة أمامه . وقالت زينا « لقد ارتكبت خطيئة ضدك » .

ونظر زمان اليها صامتا . ولكن شيئا فظيعا خيـــل اليه أنه انفجر فى عقله ، وكان له دوى كقصف المدافع .

وهمست زينا « أنا ما زلت لك » ٠

وظل زمان ملتزما الصمت ٠ كان يستطيع أن يشعر بكلماتها المرتجفة معلقة فوق أنات أعواد الغاب المتمايل ٠

وقالت زينا ثانية « لا يعلم أحد أننى هنا ٠ اخنقنى وألق بجسدى الى النهر ولكن أرجوك ٠٠٠ أرجوك أن تقول شيئا ٠ ان صمتك لا يحتمل ٠

ورفع زمان رأسه وكانت هناك ابتسامة باهتة على وجهه ٠ وأخذ يد زينا برقة فى يده قائلا فى صوت رقيق ٠

« يا أختاه ٠ دعينى أوصلك لمنزلك فلابد أن ابنك وزوجك ينتظرانك »٠

وعندما عاد زمان من منزل زينا كان المصباح الفخارى ما زال مشتعلا فى فجوة حائط مقام الشهيد ٠ وكانت فتاة من الجبال تجلس أمام القبر ويداها مرفوعتان فى صلاة ٠ ووسط الظلام المخيم القى المصباح ضوءه الضعيف على عينيها المغلقتين ٠ كان هناك ضياء عن الطيبة فى محياها ٠

وفى هدوء جلس زمان بجوارها ٠ ورفع يديه فى ايماءة لا صلاة ولكن كلمات الصلاة لم تخرج من شفتيه ٠ كانت روحه قد فقدت صوتها وكان قلبه قد فرغ من الكلمات ٠ فقط سالت بعض الدموع على وجنتيه وسقطت على الرمال ٠

كالوبانجى

كالوبانجى

جامع القمامة

لطالما وددت أن أكتب عن كالوبانجى ـ ولكن ماذا يستطيع الشخص أن يكتب عنه ؟ ـ لقد نظرت الى حياته من مختلف الزوايا ، وحاولت أن أقومها وأتفهمها ، ولكننى لم أعثر اطلاقا على أى شىء غير عادى يصلح أساسا عنه ، وحتى لرسم صورة فوتوغرافية ، اسكتشية ، لخطوط حياته العريضة لن تشد اليها اهتمام أحد . وبالرغم من ذلك ـ ولا أعلم لماذا ؟ ـ فاننى فى كل مرة كنت أبتدىء فيها قصة ، فاننى كنت أرى كالوبانجى واقفا هناك فى مخيلتى يبتسم لى ويسأل :

« يا سيدى ـ هل كتبت قصة عنى ؟ كم مضى عليك منذ بدأت الكتابة ؟ » .

« ثمانى سنوات » .

« وكم قصة كتبت ؟ »

« اثنتين وستين ... اثنتين وستين » .

« اذن .. ما هى العقبة ؟ ألا تستطيع أن تكتب واحدة عنى ياسيدى ؟» .

« انظر كم انتظرتك لتكتب عنى . لقد كنت خادما مخلصا لك طوال هذه السنين ـ كناسك العجوز كالوبانجى ـ لماذا لا تستطيع أن تكتب عنى ؟ »

ولا أجد ما أقوله جوابا على هذا السؤال . لقد كانت حياته رتيبة تبعث على الملل وليس فيها ما يستحق الكتابة عنه . وليس الأمر أننى لا أرغب فى

الكتابة عنه ، فلسنين طويلة أردت حقا أن أكتب عنه ولكننى لم أستطع أبدا مهما حاولت • وهكذا فان كالوبانجى لا يزال الى اليوم يقف هناك فى زاوية من عقلى ممسكا بمكنسته القديمة ، بركبتيه الكبيرتين العاريتين وأقدامه الغليظة المشققة التى جف جلدها ، وأوردته المتمددة نافرة من ساقيه العجفاوين وجلده الأسود المجعد الخشن والشعر المترب على صدره الغائر ، وشفتيه الدابلتين ، وفتحات أنفه الواسعة ، وصدفيه المجعدين ورأسه الأصلع ، يلمع فوق الفجوات السوداء لعينيه • لقد قصت على شخصيات كثيرة قصص حياتهم مؤكدين أهميتهم فارضين على صفاتهم الدرامية ثم اختفوا • نساء جميلات ، وخيال جامح جذاب ، ووجوه قبيحة ــ لكل هؤلاء رسمت صورا ، وكلهم تركوا انطباعات فى النفوس ، ثم مضوا ــ ولكن كالوبانجى ما زال فى مكانه القديم واقفا هناك بنفس الطريقة ممسكا بمكنسته القديمة • لقد رأى كل شخصية أتت الى خيالى وراقبهم باكين متضرعين ، محبين وكارهين ، نائمين وساهرين ، ضاحكين ، وعلى منصة الخطابة يلقون الخطب ــ لقد رآهم فى كل مظاهر الحياة ، وعلى كل المستويات وفى كل مرحلة من مراحل العمر ، من الطفولة للكهولة ، ومن الكهولة للموت ، لقد رأى كل غريب نظر خلسة من خلال الباب ، وكان عندما يراهم مقبلين يكنس الطريق أمامهم ، ويتنحى هو جانبا كما يجب أن يفعل جامع القمامة ، ثم يقف باحترام حتى تبدأ كتابة القصة ، وحتى تنتهى ، وحتى يرحل كل الشخصيات والمتفرجين • ولكن حتى حينذاك كان كالوبانجى يظل واقفا هناك ، وأجده بعد ذلك يخطو خطوة للأمام ليصل الى مركز خيالى حتى أراه بوضوح • رأسه الأسمر يلمع ، وعلى شفتيه سؤال صامت • لقد ظللت أنظر اليه لفترة طويلة ولكنى ببساطة لا أستطيع أن أتصور ماذا يمكننى أن أكتب عنه • ولكنى اليوم أجد أن هذه الرؤية لا يمكن ابعادها • لقد ماطلته سنة وراء سنة ، ولكن لعلى أستطيع هذه المرة أن أتخلص منه •

كان عمرى سبع سنين فقط عندما رأيت كالوبانجى للمرة الأولى بعد عشرين عاما ، عندما توفى كان شكله لم يتغير قط ، فى قليل أو كثير • نفس ركبتيه ، نفس الأقدام ، نفس لون البشرة ، نفس الوجه ، نفس الرأس الأصلع ، نفس الأسنان المتكسرة • نفس المكنسة دائما وكأنه ولد وهى فى يده كما لو كانت جزءا منه • كان كل يوم يفرغ مباول المرضى ، ويرش المطهرات فى المراحيض ، ثم يتوجه ليكنس منزل الطبيب ومنزل الصيدلى ، وبعد ذلك يصحب بقرة الطبيب وعنزة الصيدلى لكى يرعيا الحشائش • ويعود بهما للمستشفى عند الغسق ويقيدهما فى زريبة البهائم ويذهب لتجهيز طعامه ويأكله وينام • لقد راقبته مؤديا تلك المهام يوميا لعشرين سنة ، كل يوم بدون انقطاع • وخلال كل هذه المدة لم يمرض يوما واحدا ، وكان هذا شيئا غريبا ، ولكن ليس غريبا الى الحد الذى يجعلك تكتب قصة عنه •

حسنا ، انني أكتب هذه القصة تحت ضغط . ولقد ظللت أخادعه لسنوات ثمان ولكن ذلك الكهل لم يقبل أن يعفيني من هذه المهمة • لقد والى الضغط على لكي أكتب قصته ، وكان هذا ظلما لك ولي ــ لي ، لأنني الآن يجب أن أكتبها، ولك لأنه يجب عليك أن تقرأها ــ هذا بالرغم من أنه في الحقيقة ليس هناك ما يبرر كل هذا العناء • ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟ فان في حملقته الصامتة نوع من الاصرار الحيي المتوســل والعجز الأبكم ، وشعور عميق يبحث عن تعبير ، يرغمني على الكتابة على الرغم من أنني أواصل التفكير وأنا أكتب •

ماذا يمكنني أن أكتب عن حياة مثل حياته ؟ فليس بها مظهر يثير الاهتمام وليس بأى جزء من أجزائها أى غموض ، ولا في أى زاوية منها شيء يجــذب الانتباه ــ حقا لقد والى قفزه الى خيالى باستمرار طوال السنين الثماني الماضية ، والله يعلم لماذا ؟ ولكني لا أرى ما يعنيه ذلك سوى عناده • » حتى في الأيام التي كنت أكتب فيها قصصا رومانسية ، وأرسم صورا لأشعة القمر الفضية ، عندما كانت نظرتي للعالم كلها لبن وماء قداح ــ وحتى حينذاك ــ كان كالوبانجي واقفا هناك • ولما تجاوزت هذه المرحلة الرومانسية ، ورأيت الحياة في كلا جانبيها ، الجميــل والسيء ، وبدأت ألمس أوتارها المقطعــة ، كان أيضـــا هناك • وعندما أطللت من شرفتي ورأيت فقر وعوز هؤلاء الذين يعطونا طعاما ولما رأيت أنهارا من الدماء تسيل على ثرى البنجاب ، وأدركت اننا متوحشون ، كان أيضا واقفا على مشارف عقلي ساكنا صامتا • ولكنني الآن سأتخلص منه حتما • الآن يجب أن يرحل ، الآن أنا أكتب عنــه •• من فضلك استمع الى قصته الغبية السطحية التي لا تثير اهتماما ، حتى يمكنني أن أرسله ليحزم متاعه وأتخلص من وجوده القــذر • اذا لم أكتب عنه اليـــوم ولا تقرأ أنت عنه فانه سيظل هناك لسنين ثمان أخرى •• ربما •• قطعا طوال حياتي •

ولكن ما يشغلني هو صعوبة معرفة ماذا أكتب • كان أبوا كالو بانجى كناسين ، وأغلب الظن أن كل أجداده كانوا كناسين أيضا ، وعاشوا في نفس المكان لمئــات السنين مثله تماما وأيضــا فان كالوبانجي لم يتزوج اطلاقا ولم يحب اطلاقا ، ولم يسافر بعيدا ــ وفي الحقيقة صدق أولا تصدق ــ انه لم يغادر قريته اطلاقا • كان يعمل طوال اليوم ، وفي الليل كان ينام ويستيقظ ثانية صباح اليوم التالي ليشغل نفسه بنفس المهام ، ومنذ صباه المبكر كان هذا ما يفعله •

آه •• نعم هناك شيء واحد مثير للاهتمام حقا عنه • كان يحب أن يأتي بحيوان •••• بقرة أو جاموســـة مثلا لتلعق صلعته • وكم رأيته مرارا في منتصف النهار تحت السماء الزرقاء جالسا القرفصاء على حائط طوبي منخفض قرب المستشفى في الشمس الساطعة وخلفه بساط أخضر من الحشائش وبقرة تلعق صلعته وتلعق وتلعق حتى يروح في سبات من التأثير المهدىء •

وكنت دوما أشعر بنشوة غريبة من السعادة كلما رأيته نائما هكذا ، كأنني لمحت خطفا ، الجمال الخامل الواهن السائد للكون ٠

في حيـــاتي القصيرة رأيت أجمل النساء ، وأنضر الزهور في براعمها وأدهش مناظر العالم ولكن ـ ولسبب أجهله ـ لم يحدث في أي منظر آخر أن شعرت بمثل هذه البراءة ، وهذا الجمال والهدوء كما تعودت ان أشعر عندما كنت في السابعة وكان الحقل يبـدو فسيحا للغـــاية والسـماء بمثل هـذه الزرقة والصفاء وصلعة كالوبانجي تبرق كالزجاج ولسان البقرة يلعق برقة رأسه كما لو كان يهدئه ويصدر صوتا خفيفا حالما ٠ وكنت أشعر برغبة في حلق رأسي كرأسه حتى أتمكن من الجلوس تحت لسان البقرة وأروح في سبات مثله ٠ وفي الحقيقة لقد جربت ذلك مرة وكم نالني من أبي من ضرب !! وكان نصيب كالوبانجي أسوأ مني ٠ لقد ضربه والدي بشدة حتى خشيت عليه الموت وصرخت في انزعاج ٠ ولكنه لم يعان ضررا قط ٠ وظهر في اليوم التالي كالعادة ومكنسته في يده ليكنس المنزل ٠

كان كالوبانجي مغرما جـدا بالحيوانات ٠ كانت بقرتنا مخلصة له ، وكذلك عنزة الصيدلي ولو أن العناز مخلوقات هوائية للغاية ـ أسوأ حتى من النساء ـ ولكن كالوبانجي كان حالة خاصة ٠كان هو الذي يسقيهما ويطعمهما ، ويصحبهما للمرعى ويعلقهما في حظيرة المواشي ليلا ، كانا يفهمان كل اشارة منه بقدر ما يفهم الرجل طفلا ٠ ولقد تبعته مرات عدة ٠ وسواء في الخلاء أو في الطريق كان معتادا أن يتركهما طليقتين ولكنهما كانتا دائما تسيران بجانبه وتوفقان خطواتهما مع خطواته كما لو كانوا أصدقاء ثلاثة خارجين للنزهة ٠ واذا وقفت البقرة لتأكل قليلا من العشب الأخضر فان العنزة تقف أيضا لتقرض أوراق شجيرة ٠ أما كالوبانجي فكان يعض الحشائش ويبدأ في أكلها ـ يأكلها بنفسه ويطعم بها العنزة أيضا ، ويحدث نفسه ـ لا يوجه الحديث لنفسه فقط ولكن البهما أيضا ـ ويشترك الحيوانان في الحديث ، يدمدمان ، يحركان آذانهما ، يجران أقدامهما ، يخفضان ذيليهما ، يقفزان فرحا ، ويعبران عن نفسيهما بكل الوسائل وأنا واثق أنني لم أتمكن من فهم ما كانوا يتحدثون عنه ٠ ثم بعد عدة دقائق فان كالوبانجي كان ينطلق ثانية وتكف البقرة أيضا عن الرعي وتترك العنزة شجيرتها وتسير معه ٠ واذا وصلوا الى جدول ماء أو الى نبع صغير جميل فان كالوبانجي كان حينئذ يجلس هناك أو بالأحرى يرقد هناك ويضع شفتيه على سطح الماء ويبدأ في الشرب كما تفعل الحيوانات تماما ٠ ويبدأ الحيوانان في الشرب بنفس الطريقة لأنهما رغم كل شيء ليستا من البشر ولا يعلمان كيف يشربان من أيديهما ٠

وبعد ذلك ، فان رقد كالوبانجي على الحشيش فان العنزة ترقد أيضا عند

أقدامه ، قابعه بأرجلها للداخل راكعة على ركبتيها كما لو كانت نتلو صلواتها ، وتجلس البقرة قربه متخذه وضعا يوحي اليك أنها زوجته وانها قد انتهت لتوها من اعداد العشاء · وكان هناك نوع من الهدوء وروح العائلة تظهر على كل تعبير على وجهها · ولما كانت تبدأ في الاجترار كانت تبدو لى تماما كربه بيت قديرة تجلس الى أشغال الابرة وتنسج له صديريا من الصوف وبجانب هــذه البقرة والعنزة كان هناك كلب أعرج كان كالوبانجي يعزه كثيرا · وكان عرجه سببا في انه لم يكن قادرا على أن يتجول مع الكلاب الأخرى كثيرا وعادة كان أسوأهم نصيبا فى مشاجراتهم وكان دائما جائعا ودوما مصابا · وكان كالوبانجى دائما مشغولا بتضميد جروحه ، وعادة كان معنيا به أشد العناية · كان يغسله بالصابون والماء أو يزيل الحشرات العالقة بجلده أو يضع المرهم على جروحه أو يطعمه بفتات من خبز الذرة الجاف · ولكن الكلب كان حيوانا أنانيا جدا · كان لا يظهر الا مرتين يوميا ، مرة في الظهيرة ومرة فى المســاء حينما يأكل طعامه · وتضمد له جراحه وينطلق ثانية · كانت زياراته دائما قصيرة · وكانت تستوعب كل اهتمام كالوبانجى · لم أكن أحب الحيوان على الاطلاق · ولكن كالوبانجى كان دائما يلقاه بحب بالغ ·

وزيادة على ذلك كان كالوبانجى يعرف كل مخلوق حى فى الغابة · فلو رأى حشرة عند أقدامه فانه كان يلتقطها ويضعها على شجيرة أو عشب · كان يجيب النمس بنفس طريقة عوائه · كان يعرف نداء كل طير ــ الدراج ــ حمام الغابة ــ الببغاء ــ العصفور وكثير غيرها · فى هذا المجال كان أعلم من راهول سانكريتيايان (عالم هندى شهير) · وعلى أى حال فبالنسبة لصبى فى السابعة من عمره كان يتميز حتى عن والدى · وكان معتادا على شواء ثمار الذرة على كوزها بطريقة رائعة ، يحمصها بعناية على نار هادئة حتى تلمع كل حبة فيها كالذهب ويكون مذاقها كالعسل وتعبق شذا وطيبا كشذا الأرض نفسها · كان يعمد الى شــواء كوز الذرة ببطء ، وهدوء وخبرة · ينظر اليه بين الحين والحين من كل جوانبه كأنه كان يعرف ذلك الكوز شخصيا منذ سنين وكان يتحدث معه كأنه صديق ، ويعامله برقة ولطف ومحبة كما لو كان قريبا له ، كما لو كان شقيقه · وبالطبع تعود أشخاص آخرون شواء الذرة ولكن من يقارن به ؟ · كانت أكوازهم تبدو نصف مشوية لا طعم لها ، وكانت سوقية الى حد أنها لا تســتحق اسمها · ولكن نفس الكوز فى يدى كالوبانجى كانت تتحول كليا وتخرج من النار كعروس جديدة تبرق بالذهب فى رداء عرسها · أظن أن كوز الذرة نفسه كان يدرك شيئا طفيفا من ذلك الحب الكبير الذى كان كالوبانجى يكتبه له ، والا فمن أين كان يحصل ذلك الشىء الذى لا حياة فيه على كل هذا السحر ؟ وكنت أتمتع بأكواز الذرة التى كان يعدها ويأكلها خلسة

بسرور بالغ • وضبطت مرة ونالنى عقاب صارم • وكذلك نال كالوبانجى الرجل المسكين • ولكنه فى اليوم التالى كان فى منزلنا كالعادة •

حسنا • هذا كل شيء ـ لا أستطيع أن أتذكر شيئا آخر له أهمية يمكن أن يقال عنه • أسلمتنى مرحلة الصبا الباكر الى الشباب وبقى كالوبانجى كما هو تماما • وأصبح الآن أقل اثارة لاهتمامى وفى الحقيقة يمكن القول انه أصبح لا يثير اهتمامى قط • حقا لقد جذبت شخصيته انتباهى بين الحين والحين • كان هذا فى الأيام التى كنت قد بدأت فيها الكتابة لتوى • ولكى أسهل على نفسى دراستى للشخصيات كنت أسأله أحيانا ممسكا بقلمى الحبر واضمامة من الورق لأدون ملاحظاتى : « كالوبانجى ••• أهناك أى شيء مهم فى حياتك ؟ » •

« ماذا تعنى يا سيدى ؟ » •

« أى شيء ذو أهمية خاصة ـ غير عادى ••• غير مألوف ؟ »

« لا يا سيدى » •

(فراغ فى الورق حتى الآن ـ حسنا ـ لننسى ذلك ـ ودعنا نثابر فربما يظهر شيء) •

« حسنا ـ قل لى اذن ماذا تصنع بأجرك ؟ » •

« ماذا أصنع بمرتبى ؟ » ويفكر « اننى أحصل على ثمان روبيات ، أصرف أربع روبيات على الدقيق ، روبيه للملح ـ روبيه للدخان ـ ثمان أنات للشاى ـ أربع أنات للعسل الاسود وأربع أنات للتوابل • كم يبلغ ذلك يا سيدى ؟ » •

« سبع روبيات » •

« نعم • سبع روبيات وكل شهر أدفع لمقرض النقود روبية واحدة • « اننى أقترض النقود منه لأدفع أجر حياكة ملابسى • أليس كذلك ؟ اننى أحتاج لطقمين فى السنة • البطانية ••• عندى واحدة ولكننى ما زلت أحتاج لطقمين من الملابس • أليس كذلك ؟ » ويا سيدى لو رفع السيد الطبيب مرتبى الى تسع روبيات لرفلت فى النعيم حقا » •

« وكيف ذلك ؟ » •

« سأشترى زبدا بروبية وأصنع خبز الذرة المستدير • لم آكل هذا الخبز أبدا يا سيدى • وأحب أن أجربه » •

والآن فاننى أسألك كيف أستطيع أن أكتب قصة عن روبياته الثمان ؟ •

وبعد . عندما تزوجت وبدت الليالى مرصعة بالنجوم ومليئة بالبهجة وعبق شذى العسل والمسك والورد البرى من الغابة القريبة وكنت تستطيع أن ترى الغزال وهو يقفز ، وبدت النجوم كأنها تتدلى لتهمس فى أذنيك وترتعش الشفاه المليئة لشخص ما لفكرة القبل الآتية ــ حينئذ أيضا كنت أشعر برغبة فى كتابة شىء عن كالوبانجى فكنت أتناول ورقة وقلما وأذهب للبحث عنه .

« كالوبانجى ــ ألم تتزوج ؟ » .

« لا يا سيدى » .

« لماذا ؟ » .

« أنا جامع القمامة الوحيد فى هذه الناحية ــ يا سيدى ــ وليس هناك آخر لأميال عديدة . اذن كيف أستطيع الزواج ؟ » .

طريق مسدود مرة أخرى . وحاولت ثانية .

« ألا تتمنى لو أنك استطعت أن تفعل ذلك ؟ » وأملت أن يقودنى هذا الى شىء .

« أفعل ماذا يا سيدى ؟ » .

« ألا تريد أن تحب شخصا ؟ ربما تكون قد أحببت شخصا ولهذا لم تتزوج » .

« ماذا تعنى ــ أحب شخصا ــ يا سيدى ؟ » .

« حسنا ــ الناس يحبون النساء » .

« يحبون يا سيدى ؟ انهم يتزوجون . وربما أحب كبار القوم أيضا . ولكننى لم أسمع اطلاقا عن شخص مثلى يحب . أما عن الزواج فلقد أخبرتك عن سبب عدم زواجى اطلاقا . كيف يمكننى أن أتزوج ؟ » .

كيف أستطيع الاجابة عن ذلك ؟

« ألا تشعر بالأسف يا كالوبانجى ؟ » .

« على ماذا يا سيدى ؟ » .

بعد ذلك قطعت الأمل وتركت فكرة الكتابة عنه .

مات كالوبانجى منذ سنوات ثمان . وهو الذى لم يمرض ابدا سقط فجأة مريضا بمرض خطير للغاية حتى أنه لم ينهض ثانية من فراش مرضه . أدخل الى المستشفى ووضع فى عنبر بمفرده . وكان الصيدلى يقف بعيدا ما أمكن وهو

يعطيه الدواء . وكان عامل المستشفى يضع طعامه داخل الغرفة ثم يسرع بالخروج ، وكان على المريض أن يغسل أطباقه ويرتب فراشه ويتخلص من فضلاته . ولما مات تولت الشرطة التخلص من الجثة لأنه لم يترك وريثا ، لقد بقى معنا عشرين عاما ولكنه بالطبع لم يكن من أقربائنا . ولهذا ذهب مرتبه الأخير للحكومة لأنه لم يكن هناك من يرثه . حتى فى يوم وفاته لم يحدث شيء غير عادى ، فتح المستشفى أبوابه ، كتب الطبيب الأدوية اللازمة ، جهزها الصيدلى وأخذ المرضى أدويتهم وعادوا لمنازلهم ـ يوم كأى يوم آخر . كأى يوم آخر فان المستشفى أغلق أبوابه وعدنا جميعا لمنازلنا ، نتناول طعامنا فى هدوء واستمعنا الى المذياع وأوينا الى فراشنا ورحنا فى سبات ، ولما استيقظنا فى صباح اليوم التالى سمعنا أن السلطات تخلصت مشكورة من جثمان كالوبانجى ، ومن تم فان عنزة الصيدلى وبقرة الطبيب رفضتا الطعام والشراب لمدة يومين ، ولكنهما وقفتا خارج الحظيرة تخوران وتمأمآن بلا جدوى ... ان الحيوانات هكذا ... أليس كذلك ؟ .

ماذا .... أأنت هنا ثانية بمكنستك ؟ حسنا ... ماذا تبغى ؟ ان كالوبانجى ما زال واقفا هناك . هيا هيا ... لقد كتبت عنك كل شيء . ألم أفعل ؟ لماذا تظل واقفا هناك ؟ لماذا تظل تزعجنى ؟ أستحلفك بربك أن تذهب . هل نسيت شيئا ؟ اسمك كالوبانجى . وظيفتك كناس . ولم تغادر هذه المقاطعة البتة . لم تتزوج اطلاقا . لم تحب أبدا . لا أحداث هامة فى حياتك لا شيء ليهز مشاعرك ـ كشفتى محبوبتك أو قبلات طفلك أو أشعار غالب (*) . حياتك خالية من الأحداث تماما . ماذا أستطيع أن أكتب ؟ ماذا أستطيع ان أكتب غير ذلك ؟ . المرتب روبيات ثمان . أربع روبيات للدقيق ـ أربع أنات للتوابل ـ روبية للملح ـ روبية للطباق ، ثمان أنات للشاى ، أربع أنات للعسل الاسود . وهذه سبع روبيات ـ وروبيه لقرض النقود . ثمان . ولكن روبيات ثمان لا تصنع قصة . وفى هذه الأيام فحتى الأشخاص الذين يكسبون عشرين ... خمسين ... وحتى مائة روبية ليسوا من الأهمية بمكان الى حد أن تكتب القصص عنهم ، وهكذا فانه من المؤكد أنك لا تستطيع أن تكتب عن شخص يكتسب ثمانى روبيات فقط . فماذا اذن أستطيع أن أكتب عنك ؟ فلنأخذ كهيلجى الآن . هو الصيدلى بالمستشفى . انه يحصل على اثنتين وثلاثين روبية فى الشهر .

لقد ولد فى عائلة دون المتوسط وعلمه أبواه تعليما متوسطا حتى الاعدادى ثم اجتاز اختبار التأهيل ليصبح مركبا للأدوية . انه شاب ملء بالحياة بكل ما يتضمنه هذا ، انه يستطيع أن يرتدى سروالا هنديا أبيض نظيفا وقميصا

(*) « غالب » شاعر هندى شهير من القرن ١٩ .

منشي ويستعمل دهانا لشعره ويبقيه ممشطا جيدا ٠ تمده الدولة بالمسكن ، كمنزل خشبي صغير ٠ واذا أخطأ الطبيب فانه يستطيع ان يضع الأتعاب في جيبه . ويستطيع أن يغازل المريضات الحسناوات ٠ هل تذكر تلك القصة عن فوران ؟ كانت فوران من باهينا ٠ مخلوقة صغيرة حمقاء في السادسة أو السابعة عشرة من عمرها ٠ وكانت لابد أن تجذب انتباهك ولو كانت على بعد أربعة أميال منك كملصقات السينما ٠ كانت حمقاء تماما ٠ لقد قبلت ملاطفة شابين من قريتها ٠ وعندما كان ابن رئيس القرية معها كانت له ٠ وعندما ظهر ابن رئيس حسابات الجمعية كانت تشعر بانجذاب نحوه ، ولم تستطع أن تختار أحدهما ٠ يظن الناس عموما أن الحب شيء واضح محدد ظاهر ، ولكنه في الحقيقة نوع من الحالات غير المستقرة المتذبذبة غير المؤكدة ٠ انك تشعر أنك تحب شخصا وأنك تحب شخصا آخر أيضا ، أو ربما أنك لا تحب أحدا على الاطلاق ٠ وحتى لو كنت تحب فانه شعور مؤقت متغير عابر حتى أنه في اللحظة التي يغيب فيها من تحب عن بصرك فانه لا يلبث أن يتبخر ٠ ان شعورك صادق حقا ولكنه لا يبقى طويلا ٠ ولهذا السبب لم تستطع فوران أن تحدد موقفها ٠ كان قلبها يخفق لابن رئيس القرية ولكن حالما كانت تنظر لعيني ابن مسئول الحسابات كان قلبها ينبض سريعا وتشعر كأنها وحيدة في قارب صغير في محيط شاسع والأمواج تتلاطم حولها وهي تمسك بمجداف هش في يدها ، ويبدأ القارب في التأرجح ويستمر تأرجحه بلطف ، وكانت تمسك بالمجداف الهش بيدهـا الهشة كما لو كان يفلت من قبضتها . وبرقة تحبس أنفاسها وببطء تخفض نظراتها وتترك شعرها يسقط بلا نظام . ويبدو أن البحر يدور حولها وتنتشر على سطحه دوائر تتسع بلا نهاية ويخيم سكون مميت على كل الجوانب وتقف فجأة نبضات قلبها فزعا وحينئذ يحتويها شخص بين يديه بقوة ٠٠٠ آه ٠ كان هذا هو شعورها ، وهي تنظر الى ابن مسئول الحسابات بالقرية ولم تستطع أن تختار أيهما ٠ ابن رئيس القرية ٠٠٠ ابن رئيس الحســابات ابن رئيس الحسابات ٠٠٠ ابن رئيس القرية ٠٠٠ لقد قطعت عهدا لكليهما ، ووعدت كلا منهما بلزواج وكانت صريعة هوى الاثنين ٠ وكانت النتيجة أن تعاركا حتى سالت دماؤهما وعندما سال الكافي من دماء الشابين لاما نفسيهما على أنهما كانا بهذا الغباء ٠ في بداية الأمر وصل ابن رئيس القرية الى مسرح الحادثة وبيده سكين وحاول أن يقتل فوران وجرحت في ذراعهـا ٠ ثم وصــل ابن رئيس الحســابات وصمم أن يقضي عليها وجرحت في قدمها ٠ وعاشت لأنهـا نقلت الى المستشفى في الوقت المناسب وأجرى لها العلاج اللازم ٠ حسنا ٠٠٠ وحتى رجال المستشفى بشر ٠ فان الجمال يؤثر فيه على القلب ـ مثل الحقنة ٠ وقد يكون التأثير طفيفا أو عنيفا ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون هناك بعض التأثير ، وفي هذه الحالة كان التأثير على الأطباء طفيفا ولكنه على الصيدلي كان عنيفا ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد وهب كهيلجن نفسه قلبا وروحا ليعتني بفوران • وكان نفس الشيء تماما قد حدث من قبل • فقبل فوران كانت بيجومان وقبلهما راشمان وقبلها جاناكي • ولكن هذه كانت مغامرات كهيلجي الغرامية الفاشلة لأن هؤلاء النسوة الثلاث كن متزوجات • وفى الواقع كانت راشمان أما لطفلة أيضا • نعم ••• لم يكن هناك الأطفال فحسب ، بل وكذلك الآباء والأمهات والأزواج ونظرات الأزواج العدائية التى بدت لكهيلجي كأنها تنفذ رأسا الى قلبه محاولة البحث عن كل ركن من رغباته المخفية • وماذا كان يستطيع أن يفعل المسكين كهيلجي ؟ لقد قهرته الظروف • لقد أحبهن كلهن على التوالى — بيجومان ••• راشمان ••• وجاناكي أيضا •

وكان معتادا أن يعطى الحلوى لشقيق بيجومان كل يوم ، وكان معتادا أن يحمل ابن راشمان معه طوال اليوم • كانت جاناكي مغرمة بالزهور وكان كهيلجي يستيقظ ويخرج فى الصباح الباكر قبل شروق الشمس ويقطف باقات الورد الأحمر الجميل ليقدمها لها • وكان يقدم لهن أفضل الأدوية وأجود الأطعمة وأكمل العناية • ولكن عندما حان الوقت وشفيت بيجومان رحلت مع زوجها وهى تبكى ، ولما شفيت راشمان أخذت ولدها ورحلت ، ولما شفيت جاناكي وحل موعد رحيلها ، أمسكت بالزهور التى أحضرها كهيلجي وضمتها الى قلبها وقد ترقرقت عيناها بالدموع وهى تمد يدها لزوجها ورحلت معه حتى اختفيا فى النهاية خلف قمة الجبل •

وعندما وصلا الى حد الوادى الأبعد — استدارت ونظرت ناحية كهيلجي — وأدار كهيلجي وجهه ناحية الحائط وبدأ فى البكاء • وعندما رحلت راشمان كان قد بكى أيضا ، وعندما رحلت بيجومان فانه أيضا بكى بنفس الحرقة ••• بنفس الجدية • وقد فاضت به نفس الأحاسيس المبرحة • ولكن لا رشمان ولا بيجومان أو جاناكي بقيت له ، ولكن الآن ، ولست أعلم بعدكم من السنين ، وصلت فوران وبدأ قلبه ينبض سريعا بنفس الطريقة تماما وكل يوم كان قلبه يخفق لها أكثر وأكثر • فى أول الأمر كانت حالة فوران دقيقة وكان الأمل ضئيلا ، ولكن نتيجة لمجهودات كهيلجي الشاقة بدأت جراحها تندمل تدريجيا ، وبدأت افرازاتها تقل وضاعت الرائحة الكريهة وخف الورم • وبدأ البريق يعود تدريجيا لعينيها ونضرة الشباب لوجهها الشاحب • وفى اليوم الذى فك فيه كهيلجي ضمادات يدها فانها بدافع فجائى من عرفان الجميل ألقت بنفسها بين ذراعيه وانفجرت فى البكاء • ولما أزيلت الضمادات من على قدمها فانها صبغت قدميها ويديها بالحنة ، وزججت عينيها بالكحل ورتبت جدائل شعرها الطويلة • وقفز كهيلجي فرحا لرؤيتها • وكانت فوران حينئذ قد سلمت قلبها اليه ووعدته بالزواج • كان ابن رئيس القرية وابن رئيس الحسابات قد أتيا لزيارتها فى مناسبات عديدة ويسألانها الصفح ويعدانها بالزواج • وكانت فوران تذعر

لرؤيتهما كلما حضرا وتاخذ في الارتجاف وتنظر يمينا ويسارا لتجنب نظراتهما
ولم تكن تشعر بالراحة الا بعد أن يرحلا ويأخذ كهيلجى يدها فى يده • ولما
عوفيت تماما حضر اهل القرية جميعا لرؤيتها • ولم تكن هناك حدود لعرفان
والدها ووالدتها بالجميل ، فقد تحسنت صحة فتانهما وذلك بفضل عطف
الطبيب والصيدلى • واليوم حتى رئيس القرية حضر وكذلك مسئول الصرائب
أيضا ، وولداهما هذان الحماران المغروران اللذان كانا يشعران بالأسى كلما
نظرا الى فوران ، بسبب ما فعلاه ، ثم توجهت فوران الى والدتها ونظرت ناحية
كهيلجى وهى مستندة عليها ، وعيناها مغرورقتان بالدمع والكحل ، وبدون أن
تنبت ببنت شفة رحلت الى قريتها • وكانت القرية كلها قد حضرت للقياها ،
وكان ابن رئيس القرية وابن مسئول الحسابات فى عقبيها • وشعر كهيلجى
بخطواتهما وبخطوات أخرى أكثر وأكثر ، أحس مئات الخطوات تخطو عبر صدره
وهى فى طريقها آخذة فوران معها وتاركين خلفهم سحابة من التراب معلقة فوق
الطريق • وأدار وجهه ناحية أحد حوائط العنابر وانخرط فى النشيج • نعم ،
لقد كانت حياة كهيلجى حياة جميلة رومانسية ، كهيلجى الذى تخطى منتصف
عمره والذى كان مرتبه اثنتين وثلاثين روبية فى الشهر والذى كان يستطيع أن
يربح من خمسة عشر الى عشرين روبية فوق مرتبه ، كهيلجى الذى كان شابا ،
والذى كان يعرف ما هو الحب ، والذى كان يعيش فى منزل صغير ويقرأ قصص
مشاهير المؤلفين والذى كان ينعى حبه • كم كانت حياة كهيلجى مثيرة ــ رومانسية
وواسعة الخيال ــ ولكن ماذا تستطيع أن تقول عن كالوبانجى ؟ ما عدا ما يأتى :

١ ــ أن كالوبانجى غسل الدم والصديد العالق بأضمدة بيجيمان •

٢ ــ أن كالوبانجى أفرغ مبولة بيجيمان •

٣ ــ أن كالوبانجى نظف أضمدة رشمان الملوثة •

٤ ــ أن كالوبانجى كان يعطى ابن رشمان ذرة مشوية ليأكلها •

٥ ــ أن كالوبانجى غسل ضمادات جاناكى القذرة ورش غرفتها يوميا
بالمطهرات ، وأنه كل يوم فى المساء يغلق نافذة العنبر ويوقد الحطب فى المدفأة
حتى لا تشعر جاناكى بالبرد •

٦ ــ أن كالوبانجى أفرغ مبولة فوران بانتظام لشهور ثلاثة وأيام عشرة •

رأى كالوبانجى رشمان وهى ترحل ورأى بيجيمان وهى ترحل ورأى
جاناكى وهى ترحل ورأى فوران ترحل • ولكنه لم يدر وجهه أبدا للحائط
ويبكى،ففى أول الأمر كان يبدو عليه قليل من الارتباط للحظة أو لحظتين ويهرش
رأسه ثم عندما يعجز عن تعليل ما يجرى ، فانه يخرج للحقول أسفل المستشفى
ويدع البقرة تلعق له رأسه الأصلع • ولكننى قد قلت لك عن ذلك من قبل •

حسنا . ماذا أستطيع أن أكتب عنك أكثر من ذلك كالوبانجي ؟ لقد قلت كل ما هناك . قلت ما يمكن أن يقال عنك ، لو كان مرتبك اثنتين وثلاثين روبية، لو كنت قد تخطيت منتصف عمرك ، أو حتى لم تبلغه — لو كنت ورثت قليلا من الثقافة . قليلا من التهذيب ، قليلا من البهجة البشرية والنشوة التى تجلبها ، لكنت كتبت شيئا عنك ، ولكن والأمر كذلك ماذا أستطيع أن أكتب عن روبياتك الثمانى . وبين الحين والحين أمسك بروبياتك الثمانى وأدرسها من جميع الزوايا، روبيات أربع للدقيق ، روبية للملح ، روبية للدخان ، ثمان أنات للشاى ، أربع أنات للعسل ، أربع أنات للتوابل — هذه سبع — وروبية لقرض النقود ، هذا يكملها ثمانى . كيف أستطيع أن أصنع قصة من ذلك كالوبانجى ؟ لا .... لا يمكنك صنعها . اذهب عنى . أرجوك أن تذهب عنى — أترى أننى أتوسل اليك بيدين مضمومتين . ولكنه ما زال يقف هناك يكشف عن أسنانه القذرة الصفراء غير المستويه ويضحك ضحكته المشروخة .

أرى أننى لا أستطيع التخلص منك بهذه السهولة . حسنا اذن . دعنى أقلب جمرات ذاكرتى مرة أخرى وربما — لمصلحتك — قد انخفض قليلا عن مستوى الروبيات الاثنتين والثلاثين . دعنى أرى أى مساعدة يمكن أن أستقدمها من الساعى باختيار . ان باختيار الساعى يربح خمس عشرة روبية شهريا . وكلما خرج فى جولة مع الطبيب أو الصيدلى أو المكلف بالتلقيح ضد الأمراض ، يأخذ علاوات مضاعفة ومصاريف انتقال أيضا . ثم أن له قطعة أرض فى القرية ومنزل صغير تحوطه من جوانبه ثلاث شجرات طويلة من أشجار الصنوبر . بحديقة جميلة صغيرة فى الجانب الرابع أنشأتها زوجته . ولقد زرعها بكل أنواع الخضراوات — السبانخ والفجل واللفت والفاصوليا الخضراء ، والقرع — وكلها تجف فى فصل الصيف وتؤكل فى الشتاء . وعندما يتساقط الجليد ولا تتواجد الخضراوات . وتعرف زوجة باختيار كل شىء عن هذه الأمور . ولدى باختيار أطفال ثلاثة ووالدته العجوز التى تتشاجر دائما مع زوجة ابنها . وحدث مرة أن تشاجرت أم باختيار مع زوجة ابنها وغادرت المنزل . وكانت السماء ملبدة بالغيوم الثقيلة وكان البرد القارص يجعل أسنانك تصطك . وهرع أكبر أولاد باختيار جاريا الى المستشفى ليخطره بما حدث وهرع باختيار فى التو واللحظة ليعيد والدته مصطحبا كالوبانجى معه وأمضيا طوال اليوم فى الغابة بحثا عنها ، باختيار وكالوبانجى وزوجة باختيار التى كانت حينئذ قد أسفت لما فعلته وواصلت البكاء والمناداة على حماتها . وكانت السماء ملبدة وأخذت أيديهم وأقدامهم تتخدر من البرد ، وكان أغصان شجرة الصنوبر الجافة زلقة تحت أقدامهم ، ثم بدأ المطر يتساقط ثم تحول المطر الى برد وخيم سكون مطبق على الكون كأنما انفتحت هاوية الموت وأخذت ترسل الصف تلو الصف من

جنيات الثلج على الأرض وواصلت ندف الثلج سقوطها ساكنة هادئة لا صوت لها وانبسطت طبقه بيضاء مخمليه على السهل والتل والوادى ·

ونادت زوجة باختيار بأعلى صوتها « أمى » ·

ونادى باختيار « أمى » ·

وصاح كالوبانجى « أمى » ·

ورجعت الغابة صدى أصواتهم وعم السكون ·

ثم قال كالوبانجى « أظن أنها لا بد أن تكون قد ذهبت عند عمك فى فاكار » وقبل فاكار بأربعة أميال وجدوها · كان الثلج يتساقط وكانت تشق طريقها وهى تسقط وتتعثر لاهثة متقطعة الأنفاس · ولما أمسك بها باختيار قاومت للحظة ثم سقطت فاقدة الرشد بين ذراعيه ، وساعدت زوجة باختيار فى رفعها · وحملها باختيار وكالوبانجى بالتناوب طوال طريق العودة · وكان الظلام حالكا عندما وصلوا الى البيت ، ولما رآهم الأطفال قادمين انخرطوا فى البكاء وانتحى كالوبانجى ركنا ، ونظر حوله ثم بدأ يهرش رأسه · ثم فتح الباب فى هدوء ودلف خارجا · نعم هناك قصص يمكن أن تكتب عن حياة باختيار أيضا ، قصص جميلة قصيرة · ولكن ماذا أستطيع أن أكتب أكثر من ذلك عنك يا كالوبانجى ؟ أستطيع بكل تأكيد أن أكتب عن كل فرد فى المستشفى سواك · لكن عنك أنت ··· حسنا فبعد كل هذا التنقيب فى ذكراتى أجد أننى فى حيرة ماذا أستطيع أن أفعل · اذهب عنى الآن · أستحلفك بربك لقد أزعجتنى بما فيه الكفاية حتى الآن ·

ولكننى أعلم أنه لن يذهب · ولن أكون قادرا على ابعاده من مخيلتى ·

وفى كل قصصى سيكون واقفا هناك ومكنسته القذرة فى يده · والآن أنا أعلم ما تبغى ·

انك تريد أن تسمع قصة عن شىء لم يحدث اطلاقا ، ولكن كان من الممكن أن يحدث · سأبدأ بقدميك · اسمع ··· انك تريد لقدميك القذرتين الخشنتين أن يغسلا الى أن يصبحا نظيفتين — يغسلا حتى تزول عنهما القذارة · انك تحتاج الى مرهم تدلك به شقوقهما وانك تريد لركبتيك العظميتين أن يغطيهما اللحم ولساقيك أن يصيرا قويتين صلبتين ، وأن تختفى الغضون من على بطنك الضامرة وأن يغسل التراب والقذارة من شعر صدرك الهزيل تريد أن تمتلىء شفتاك الرفيعة وتصبح قادرة على الحديث · انك تريد شخصا لبضع البريق فى عينيك ويجرى الدم فى وجنتيك ، وأن يعطيك ملابس نظيفة لترتديها ، ويرفع أربع حوائط لمنزل صغير حولك يكون جميلا ورقيقا ونظيفا ، منزل تديره زوجتك ويمرح فيه أطفالك الضاحكون ·

لا أستطيع أن أفعل ما تطلب • أنا أعرف أسنانك المهشمة وضحكتك نصف الباكية • أنا أعرف أنك عندما تأتي بلبقرة لتلعق رأسك حتي تغمض عيناك ويسقط رأسك وتغيب في النوم في أحضانها العطوفه وعندما تشوى لى كوز الدرة بكل هذه الرقة فوق النيران وتنظر الى بكل هذا العطف والحب وأنت تقدمه لى لألتهمه ، ففى عين مخيلتك ترى ذلك الصبي الصغير الذى هو ليس ابنك ، والذى لم يصل بعد لهذا العالم ولن يصل قط مادمت حيا ، وبالرغم من ذلك فقد هدهدته كأب حان وأمسكت به في حجرك وهو يلعب وقبلته على وجهه وحملته على كتفك وأنت تقول « انظروا ••• هذا ولدى » • وعندما لم تستطع أن تحصل على أى من هذه الأشياء فانك تنتحى جانبا وتهرش رأسك في ارتباك وحيرة وتبدأ بلا شعور تعد على أصابعك واحد اثنين ثلاثه أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية روبيات ثمان وأنا أعرف قصة ما كان يمكن أن يحدث • ولكنه لم يحدث • وذلك لأننى كاتب وأستطيع أن أشكل قصة جديدة ، ولكنى لا أستطيع أن أشكل رجلا جديدا • ولهذا فاننى بمفردى لا أكفى ، ولهذا فان الكاتب وقارئه والطبيب والصيدلى ، وباختيار ومحاسب القرية ورئيس القرية ، وصاحب الحانوت ، والرجل صاحب النقود والسياس والعامل والفلاح الذى يكدح فى حقله ، كلهم مطلوبون ـ المجهودات المتحدة لكل فرد من هؤلاء ، الألوف والملايين ومئات الملايين من البشر ـ وأنا بمفردى لا حول لى ، ولا أستطيع أن أفعل شيئا • وحتى تتضافر جهودنا جميعا يدا فى يد ليساعد بعضنا البعض فان تلك المهمة لا يمكن أن تنفذ • وستظل واقفا هناك على حافة مخيلتى كما أنت تماما بمكنستك فى يدك ، ولن أستطيع أن أكتب قصة عظيمة حقا يشع فيها بهاء السعادة الكاملة للروح البشرية ، ولن يستطيع البناؤن أن يشيدوا ذلك البناء الضخم الذى تصل فيـه عظمة شعبنا الى ذروة انجازاتها • ولن يستطيع فرد أن ينشد أغنية تعكس أعماقها كل عظمة الكون •

لا ، ستكون تلك الحياة الكاملة مستحيلة ، ما دمت تقف هناك ومكنستك فى يدك •

لا عليك ، ظل واقفا هناك فالأحسن أن تفعل ذلك ، ثم ربما يأتى اليوم الذى يأخذ فيه أحدهم المكنسة من يدك ، ويضغط على يدك برفق ويصحبك الى ما بعد قوس قزح •

تهاكازى سيفاسانكارا بيلاى

ولد عام ١٩١٤ فى تهاكازى ، قرية صغيرة جنوب الليبى فى ولاية كيرالا ، بحوالى عشرة أميال ·

كان أبوه مزارعا ، ولكن منزله كان غنيا فى تقليد الثقافة السانكريتية وفنون كيرالا الوطنية · ففى المساء كان كبير العائلة يجلس فى ضوء مصباح زيتى ويقرأ مقتطفات عن مهابهاراتا ، وراماايانا ·

تلقى تهاكازى سيفاسانكارا بيلاى أول تعليمه فى المنزل · وذهب الى المدرسة فى تهاكازى ثم للمدرسة المتوسطة فى امبالابوزها · والتحق بعد ذلك بالمدرسة العليا فى هاريبيد · وتوجه الى عاصمة الولاية ، تريفاندرم ليتلقى تعليمه الجامعى حيث درس فى كلية الحقوق · وهنا توسعت اهتماماته العقلانية وقراءاته ، فقرأ الأدب الانجليزى والأوربى بما فيه فرويد وماركس وظهرت أولى قصصه القصيرة « فى الفيضان » و « الطفل الجميل » حوالى هذا الوقت · ونشر له كتاب للقصص القصيرة باللغة « المالايالامية » اسمه « البراعم الجديدة » عام ١٩٣٤ وخرجت للنور أولى رواياتــه « الجائزة » بعد ذلك بقليل ثم تبعتهــا « اللوتس المتساقطة » ومنذ ذلك الحين كتب أربع عشرة رواية ، وحوالى ستمائة قصة قصيرة كلها بالمالايالامية · وترجمت كتبه الى لغات غربية عديدة ·

ولأعمال تهاكازى مضامين اجتماعية عميقة وتحيز يسارى واضح · وأشهر رواياته « شيممين » التى ربحت جائزة أكاديمية ساهيتيا والتى كتبت فى ثلاثة أسابيع · لقد ترجمت الى كثير من اللغات الهندية والأجنبية · وآخر قصصه « أطفال أوسيف » تبحث فى المجتمع المسيحى فى كيرالا ·

وكتب تهاكازى أخيرا فى خطاب له « أنا فلاح بلولد ، محامى بالحرفة ، وكاتب بالاختيار ، وقد تأثرت بفلوبيرت ، وبلزاك ، ودى موباسان ، وهوجو ، وديستوفسكى ، وجوجول ، وتولستوى · وليس هناك كاتب هنــدى مسئولا مباشرة عن كتاباتى · والسبب واضح ـ فانى لا أعرف لغة هندية أخرى عدا المالايالامية ·

وحتى طاغور لم يكن مسئولا عن تطوير القصص المالايالامى ·



الأب والابن

الأب والابن

كان من المنتظر أن يصل مدير التعليم العام للولاية فى اليوم التالى الى القرية للتفتيش على المدرسة المحلية · وانتقل ناظر المدرسة من فصل لآخر ملقيا تعليماته وتوجيهاته لكى يأتى الطلبة فى اليوم التالى وقد اغتسلوا جيدا ونظفوا أنفسهم وارتدوا أحسن ثيابهم · وقبل أن يغادر المدرسون المدرسة أيضا قالوا للطلبة عما يجب أن يفعلوا ·

أصبحت أخبار زياة المدير هى حديث القرية · كان حدثا هاما · وكان المسئولون الوحيدون الذين زاروا القرية بين الحين والحين هم مفتش البوليس ومفتش البريد الذى كان يحضر ليقوم بالتفتيش على مكتب البريد المحلى ، ومفتش الجمعية التعاونية . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يزور فيها القريه مسئول من حكومة الولاية · كان فى القرية ، فى منزل الليكال موظف رسمى يتقاضى خمسمائة روبية شهريا وكان شقيقه محاميا . ولكن بالطبع كان المدير المسئول فى الولاية أكبر من هذين الاثنين ·

فى ذلك المساء توجه الناظر الى المنزل القريب من المدرسة · كان ذلك لتدبير اللبن للمدير · وسأل كبير العائلة الناظر ·

« ترى · كم يبلغ مرتبه يا سيدى ؟ » ·

وأجاب الناظر « ألفا روبية شهريا ، ولقد تلقى تعليمه فى انجلترا » ·

واندفعت سيدة المنزل قائلة وقد أذهلها الرقم ·

« ماذا سيصنع بكل هذه النقود ؟ » ·

قال زوجها « سيكون قادرا على انفاقها · انه شخصية كبيرة » ·

وشعر ولدها رامو بالفخر اذ كان ناظر المدرسة يزور منزلهم ٠

كان سيقول لأصدقائه عندما يذهب للمدرسة فى اليوم التالى :

« لقد حضر ناظر المدرسة الى منزلنا » ٠

ولما سمع أن المدير مرتبه يبلغ ألفين من الروبيات شهريا فانه قام بعملية قسمة عقلية ٠ قسم ألفين على ثلاثين ٠ وكان هذا ما يجنيه المدير يوميا ٠ كان أبوه يربح روبية واحدة فى اليوم عندما كان يعمل ٠ ولما كان ناظر المدرسة موشكا على الانصراف أعطى تعليمات مفصـلة للمرأة « مكيالين من اللبن ٠ أتفهمين ؟ راعى النظافة عند الحليب ، وأضيفى اليهما قدر ملعقتين من ماء بئر المعبد ٠ ثم اغلى اللبن ٠ لا تدعى ذرة من الرماد تقع فى اللبن ٠ وسأرسل لك وعائى الفضى ٠ أرسلى لى اللبن فيه ٠

وتساءلت المرأة « هل أضيف سكرا ؟ » ٠

وفكر ناظر المدرسة برهة ٠ لم يكن قد فكر فى ذلك ٠ وأخيرا قال :

« لا ٠ فقد تضيفين سكرا أكثر من اللازم ٠ وربما كان لا يستخدم السكر ٠ وزيادة فى ذلك فقد يكون فى سكرك نمل » ٠

وبعد أن عبر ناظر المدرسة الساحة الخارجية استدار مكررا :

« تذكرى كل شىء قلته ٠ نظيف ٠ صاف ٠ لا رماد » ٠

وقالت المرأة المسكينة :

« سأستحم قبل أن أغلى اللبن » ٠

وأسقط فى يد الناظر ٠ أنها لم تفقه شيئا ٠ كان يائسا وقال :

« لا ــ ليس هذا ــ ما قلته انه يجب أن يكون كل شىء نظيفا ٠ وليس أنه يجب عليك أن تغتسلى أنت » وقال زوجها :

« سأتولى مراقبة كل شىء يا سيدى ٠ لقد فهمت » ٠

وكان رامو الآن فى موقف يسمح له بالزهو أمام رفاق فصله بالمدرسة ٠ فقبل كل شىء فان ناظر المدرسة زار منزله ٠ وثانيا فان أهله هم الذين سيقدمون اللبن للمدير ٠ وكان هناك شىء آخر ، كانت هذه فرصة لاذلال الليكال كريشنان كوتى ٠ كان كوتى يفخر بأن عمه رجل يتقاضى وأن لمنزله سقف من القرميد وليس من القش أو الغاب ٠

فى اليوم التالى كان كل طفل فى القرية قد اغتسل جيدا وارتدى أفخر ملابسه للذهاب الى المدرسة . كان رامو يرتدى سروالا أزرق كان أبوه قد حصل عليه من اونام . وكان اللون الآن قد خبا الى رقع من الأبيض والأزرق الخفيف . وكان يرتدى أيضا سترة باكمام قصيرة . وكان كريشنان كوتى يرتدى أجمل الثياب فى فصله . كان يرتدى سروالا قصيرا من الحرير اللامع وقميصا أنيقا من قمصان الصيدلة حزام فى الوسط وأربعة جيوب وياقة عريضة . ولم يستطع أى ولد أن يقاوم الحملقة اليه . كانوا يريدون أن يتحسسوا سراويله الناعمة وقميصه الجميل . الا رامو كان مصمما أن يحقر كريشنان كوتى .

وطرح عليه سؤالا قائلا :

« انت تنتمى لعائلة كبيرة . هل تستطيع أن تقول لنا أين تلقى المدير تعليمه ؟ » .

لم يستطع كريشنان كوتى الاجابة . ولكنه لم يكن ليرضى بالهزيمة قبل التحدى . تظاهر أنه يعلم .

« فى تريفا ندروم » .

فصفق رامو بيديه وضحك . لقد انهزم كريشنان كوتى ورمش بعيونه يائسا . وقال رامو .

« لا ... لا ... ليس هناك » . واستدار للآخرين موجها كلامه لهم « هل يستطيع أى منكم أن يقول لى ؟ »

لم يستطع أحد . انتفخ رامو قليلا ثم قال :

« أنا أستطيع أن أقول لكم . فى انجلترا » .

ولكن رامو لم يكن راضيا عن الطريقة التى أهان بها كريشنان كوتى . فعاجله بسؤال آخر :

« ما مقدار مرتب المدير ؟ » .

شعر كريشنان كوتى بالضآلة . لم يقل شيئا . وقال رامو فى ثقة كاملة »

« ألفا روبية شهريا » .

وكان لزاما على كريشنان كوتى أن يفعل شيئا مقابل هذه الاهانات .

فقال « هذا لا شيء يتقاضى ٢٢٥٠ روبية » .

وكان هذا يزيد ٢٥٠ روبية عما يتقاضاه المدير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصفق رامو بيديه ثانية وضحك كما لو كانت هذه اكذوبة كبرى • وقال « هيا ••• هيا ••• لا تكذب » ثم تحول للآخرين وقال :

« هل سمعتم ذلك ؟ ان والده يربح ٢٢٥٠ روبية فى الشهر • تخيلوا مانكومان العجوز الذى يحجل على عصى فى الحقول فى الصباح مستندا على عصاه ويلتف فى شال أخضر يتقاضى ٢٢٥٠ روبية ! » •

وكان لدى كريشنان كوتى الجواب على ذلك :

« انه جدى • والد أمى ولو اننى أسميه أبى » • وسأله رامو •

« اذن كيف لم ير أحد منا أباك ؟ » •

وأجاب كريشنان كوتى « أبى ••• انه فى الشمال » •

وبدون أن يضيع رامو ثانية واحدة سأله :

« أين فى الشمال ؟ » •

لم يجد كريشنان كوتى اجابة • ووقف حائرا يبحث عن جواب • وقف هناك وعيناه محملقتان • يغالب دموعه • لو حرك جفونه ولو مرة واحدة لانهمرت دموعه • صاح الأطفال • لقد كان كريشنان كوتى يكذب • كان يتفاخر • وهذا ما قالوه ووقف كريشنان كوتى هناك ذليلا يغالب دموعه بمجهود •

وسأله رامو سؤالا قاسيا « لماذا تبتدع أن شخصا آخر هو أبوك ؟ » مد كريشنان كوتى يده ليخدش رامو • ولكن رامو تراجع •

ولم يكف رامو عن مضايقته • « أين والدك ؟ » •

لم يعد كريشنان كوتى يتحمل أكثر من ذلك • وجرى الى أستاذه يبكى يائسا ليشتكى رامو • هرب رامو بعيدا •

وفى ذلك اليوم ذهب كريشنان كوتى الى منزله محطما • مغموما • وكالعادة كانت أمه تنتظره عند الباب • ولما رأى والدته أنفجر باكيا • هرعت بهوانى آما الى ابنها وأخذته بين يديها • وأخذ يبكى بحرقه على صدر أمه • وبكت الأم أيضا ، لقد كان كل شىء بالنسبة اليها • كان الشىء الوحيد فى حياتها • لم تسأله عن سبب بكائه • كان كأنها قد قبلت حقيقة أن حياتها كانت حياة دموع • ولم يكن هناك داع لكى تسأل •

وهرع سانكومامان وزوجته جاريين الى الخارج • وكان القلق واليأس بادين تماما على وجه الجد • قالت كل تجعيدة قصتها • لقد عاش فى خوف

أزلى من أن كارثة ما قد تنزل به فى أى لحظة · حاول أن يجذب الابن من أحضان أمه ولكن الولد كان متشبثا بها · وأبى أن يتركها ·

وقال سانكومامان وهو يدعك صدره بضيق :

« يا الهى ·· يا الهى ·· ماذا حدث للصبى ؟ قولى لى ياباهاوانى » ولم تقل بهاوانى شيئا · كان حزنا تقتسمه الأم مع ابنها فقط ولم يكن هناك أحد آخر ، حتى سانكومامان ليشاركهما حزنهما ·

وقال سانكومامان « يا الهى ·· يا الهى هل احتفظت بكل هذا الحزن لشيخوختى ؟ » ·

وتلك الليلة — فى الفراش — رقد الابن لاصقا بأمه · وكانت الأم ترقد يقظة كل ليلة تفكر وتفكر قبل أن تستسلم الى النوم · ففى وقت ما كان هناك رجل يشاركها هذا الفراش وهذه الغرفة · وكانت تنعس فى لمح البصر وتنام فى هدوء · ولكن هذا كان من سنين مضت · أما الآن فقد كادت تفقد القدرة على النوم ، كانت تبقى يقظة لساعات تفكر · وبالتدريج كانت عيناها تغلقان وكان النوم فى النهاية ينتصر فى ذلك النضال · ولكن كل ليلة ، حتى الآن فانها كانت لا تزال تستلقى ساهدة تفكر وتفكر · وفى هذه الليلة كان كريشنان كوتى ، أيضا ، يفكر · ولم يستطع النوم ·

« لماذا لا يعيش معنا أبى يا أماه ؟ » ·

كانت باهاوانى الأم على وشك أن تغيب فى النوم · ولكن ذلك السؤال اخترق قلبها · عضت الأم على نواجزها وكتمت نشيجا صدر من أعماق وجدانها ·

لم يشعر كريشنان كوتى به · كرر سؤاله « لماذا يا أماه ؟ » ·

وأجابت الأم « هذا قدرنا يا بنى » ·

وفى هذه اللحظة لم تستطع باهاوانى أن تغالب دموعها · أدرك كريشنان كوتى أن أمه تنتحب ·

لم يستطع أن يفهم ما معنى القدر ولكنه لم يسألها · وفى ظلام الغرفة الساكن سألها عن شىء آخر :

« أماه — هل يمكن أن ترينى صورة أبى ؟ » ·

سألها ذلك بتردد كما لو كان يشعر بأنها ستجد عذرا لكيلا تريه اياها ·

ولكن كان هناك شىء ما فى صوته الصبيانى المتضرع ينم عن رغبته العميقة وعن لهفته فى أن يراها ·

نهضت الأم ومسحت دموعها وأضاءت مصباحا ·

نادى سانكومامان الذى كان يرقد فى الغرفة المجاورة عليها متسائلا :

« لماذا توقدين المصباح ياباهاوانى ؟ » ·

وأجابت بعد لحظة تردد « لأن كريشنان كوتى يريد ذلك » ·

« ألم ينم بعد ؟ » ·

« لا » ·

« يا الهى » ·

وأخرجت باهاوانى من قاع صندوق صورة ملفوفة بعناية فى قطعة من حرير ·

نظرت الى الصورة بتمعن · وملأت الدموع عينيها ·

ومن الغرفة الأخرى كان صوت سانكومامان يسمع وهو يردد لنفسه « يا الهى يا الهى » ·

أخذ كريشنان كوتى الصورة من والدته وحدق فيها وهو يلتهمها بعينيه — اذا جاز هذا التعبير — · أشرق وجهه وكلما نظر اليها ازداد وجهه الصغير اشراقا وقال :

« كانت ملابس المدير تشبه هذه الملابس · سترة ورباط عنق ، ولكنه كان بلا عصا وبلا قبعة · وبعد لحظة رفع رأسه ونظر الى عينيها سائلا :

« هل أستطيع أن آخذ هذه الصورة معى الى المدرسة باكر يا أماه ؟ » ·

وقالت الأم :

« هذه صورة يجب أن نحافظ عليها بعناية · يجب ألا ندعها تتسخ » ·
« لن أوسخها يا أماه · هذه صورة أبى · »

وظل ينظر الى الصورة ولم يستطع أن يقاوم نفسه فطبع قبلة صغيرة عليها ·

وفى الغرفة المجاورة ظل سانكومامان يردد كلمات « يا الهى يا الهى » معتقدا أن الله سيجيب دعواته عاجلا أو آجلا ·

وغلف كريشنان كوتى الصورة بعناية ووضعها جانبا · أطفأت أمه المصباح ومرة أخرى آوت الأم وابنها الى الفراش ·

مرت الساعات · كان العالم كله في سبات عميق ولكن سؤالا صدر من أعماق كريشنان كوتى « ألن يأتى الينا والدى أبدا يا أماه ؟ » ولم يكن لدى باهاوانى رد الا أن ضمته بين ذراعيها ــ كيف تستطيع أن تجيبه ·

كان الليكال سانكومامان مزارعا ابتسم له القدر · فبمجهوده الفردى اكتسب ما يكفيه ليعيش حياة رغدة · كان لديه ولدان وفتاة ، وكانت الفتاة هى الأقرب الى قلبه · وكان الولدان في غاية الذكاء والمهارة · وهكذا كان بيته مزدهرا ، تباركه وفرة من أطايب الأشياء · لم يشاهد الا الضحكات والمرح والحيوية والحماسة · ولم تعبر عتبته ظلال الهموم · ولا أحد كان يظن ان هذه الحالة ستتغير قط ، فقد كان ذلك البيت جزءا من الجنة · ومن كل أولاده كانت الفتاة هى التى لها النصيب الأكبر من حب أبيها · ولم يعترض أحد على ذلك · وكانت باهاوانى هى الأثيرة أيضا عند أخويها · ولم يكن هناك سبب واحد لأن تغادر البهجة وجه باهاوانى ، ولا كانت هناك مناسبة تستدعى ذلك ، كانت أى رغبة لها مهما صغرت أمرا واجب التنفيذ · وكانت بهية الطلعة · كانت أمنية سانكومامان الكبرى الوحيدة فى الحياة أن يزفها كعروس لرجل رفيع المقام يكون جديرا بها · ثم تمنى أن يذهب ويقيم معها فى بيتها بضعة أيام قبل أن يموت · وكان الجميع موقنين أن الأمور ستسير كما يهوى · لم تكن هناك أمنية لسانكومامان لم تتحقق · كان دائما محظوظا فى مثل تلك المسائل : كان كمن ولد مباركا حوله ·

كان أكبر أبنائه واسمه جوفيندان ، أول من حصل على بكالوريوس الآداب فى القرية ، ولما كان قد حصل على درجات ممتازة فانه لم يجد صعوبة فى الحصول على وظيفة · وحصل على عمل طيب بمرتب ٢٠٠ روبية شهريا · وحصل الابن الثانى على اجازة الحقوق وصار محاميا فى الليبى · وفى يوم تلقى سانكومامان عرضا لزواج ابنته باهاوانى عن طريق صديقه الوفى هاريباد بارامو بيلاى · كان العريس المرتقب من ضواحى كويلون · كانت له وظيفة حسنة ·

كان اسمه ن · باراسواران بيلاى ولكنهم كانوا يسمونه ن · ب بيلاى · وكان رجلا ممتازا فى صفاته وكان مستقيما · كان لبيلاى شقيقة ــ ياسودا ــ حسنة المظهر وان لم تكن فى صحة جيدة ·

وكان التفاهم قد تم على أن يتزوجها جوفيندان أكبر أنجال سانكومامان وذهب سانكومامان لزيارة العائلة · وكان راضيا عن العائلة وعن الاتفاق ، وتوافقت طوالع الزوجين ، وأعطى سانكومامان كلمته بالموافقة ·

ولما عاد الى منزله حدث شيء في بيت الليكال · شيء لم يحدث مثيله من قبل · لم يكن في الحقيقة شيئا مهما · فلقد استمر دقيقة واحدة · كان الذى حدث في ذلك اليوم أن سانكومامان فقد السيطرة على أعصابه وأغمى عليه · وكان سبب ذلك أن قرارا من سانكومامان قد أصبح محل جدل في ذلك البيت لأول مرة · لقد استغرق الأمر كله دقيقة واحدة أنعشت سانكومامان بعدها بضع قطرات من الماء ثم أصبح كل شيء على ما يرام ·

ما حدث كان الآتي : لقد عاد سانكومامان من منزل بيلاى متحمسا وسعيدا وكان يصف كل شيء لزوجته عندما قالت عرضا « جوفينداں يقول انه لا يريد الزواج الآن » ·

فهب سانكومامان ثائرا : « من قال ذلك ؟ » .

وفي اللحظة التالية كان سانكومامان مغشيا عليه ، وعندما أفاق كان جوفينداں قد وافق على الزواج ·

بعد ذلك لم تكن هناك أى متاعب · كانت شقيقة بيلاى ــ ياسودا ــ لا تزال طالبة · وافق أهلها على أن يتم زواجها بعد الانتهاء من امتحاناتها ·

وكان يجب على ن · ت · بيلاى أن يذهب الى كالكوتا للتدريب لمدة ستة أشهر ، وهكذا قرروا أن يتم زواج باهاوانى بدون تأخير · وهكذا تزوج باهاوانى وبيلاى وكان زواجا موفقا وسعيدا ·

عاد بيلاى من كالكوتا بعد انتهاء فترة تدريبه · وانتهت امتحانات ياسودا · ولكن ذلك الشهر كان شهرا سيئا · كان شهرا لا يبشر بالخير بالنسبة لزواج يتم فيه ، ثم ان جوفينداں أصيب فجأة بالتيفود · وهكذا مرت ثلاثة شهور أخرى · وحينئذ كانت الرياح الموسمية « المنسون » قد بدأت · وهكذا تأجل زواج جوفينداں وياسودا مرة بعد مرة · وأبدى بيلاى خيبة أمله مرة أو مرتين لهذا التأجيل · وفي هذه الحالات كان سانكومامان يقول :

« انه ابنى ، وسأرى أن يتم الأمر » ·

كانت باهاوانى الآن حاملا ·

وكان الخبر التالى الذى سمع بعد ذلك خبرا مروعا · فلقد تورط جوفينداں في مسألة غرامية في اترفاندريم · وأصبحت الفتاة حاملا · واضطر جوفينداں للزواج منها · وكان زواجا مدنيا · ليس هذا كل شيء · لقد أشيع أن جوفينداں لم تكن لديه أبدا نية الزواج من ياسودا · وقال أنها مريضة بالدرن · وبعد ذلك لم يعد بيلاى الى الليكال مطلقا ولم ير باهاوانى

ثانية · رزقت باهاوانى بغلام · أطلق عليه اسم كريشنان كوتى · لم ير بيلاى وليده · ولم يسأل حتى اذا كانت زوجته فى حاجة لأى شيء طوال هذا الوقت وبعد فترة وجيزة أرسلته الشركة التى يعمل بهــا الى انجلترا والمانيا لمدة عامين للتدريب · وأجاد فى عمله وقدمت له الشركة ترقية · نعم · الآن كان بيلاى يتقاضى ٢٢٥٠ روبية شهريا · لقد تحطمت أحلام سانكومامان المسكين ورأى سواد مستقبل ابنته المحبوبة ، وفقد وجه سانكومامان بريقه وسرعان ما خططته التجاعيد ، وظهرت عليه سمات الهرم ·

لم يعد هناك مرح فى ذلك البيت الآن · كان البيت صامتا وحزينــا لكن سانكومامان كان قد عزم على أمر : هو أنه يجب ألا تكون ابنته فى عوز أو حاجة ، ويجب ألا تقاسى وألا يؤذيها أحد · أراد أن يشب الصبى ليصبح ذا شأن ، ولكنه أدرك أنه أصبح هرما ، وأن أيامه قد قاربت نهايتها · وبدت النهاية تظهر فى الأفق أقرب وأقرب ، وكان قلقا · كان يخشى أن يموت قبل أن يكبر كريشنان كوتى ويصبح قادرا على رعاية والدته · أراد سانكومامان أن يعيش ليرى ذلك اليوم ·

حاول سانكومامان جهده أن يقدم الترضية اللازمة ويسوى الأمور · لكن بيلاى كان صلبا لا يلين ·

ومرت الأيام · ولفترة بعد زواجه ، لم ير جوفينيدان ووالده أحدهما الآخر ، فلقد أقســم الوالد العجوز ألا يرى ابنه بعد ذلك · لكن الأم كانت مشوقة لرؤية حفيدها · وكان هذا شيئا طبيعيا · وبغض النظر عن أى رحم وهبه الحيــاة فان الطفل كان ابن ابنهــا · لقــد اشتاقت لرؤية الصبى · وكانت باهاوانى أيضا تتشوق لرؤية الصبى · ولم يكن سانكومامان ليرفض لها طلبا ، وهكذا أحضر جوفينيدان ذات يوم زوجته وولده الى الليكال ·

كان الابن صبيا ذكيا · وكانت الزوجة أيضا فتاة مهذبة فهكذا كانت فكرة والدة جوفينيدان عنها وشعر سانكومامان نفسه بشيء من هذا القبيل ·

وقال سانكومامان بدون وعى « هكذا القدر · لابد أنه كان مدينا لها فى حياته السابقة ، والآن فانه يسدد دينه » ·

وهكذا انتهى سوء التفاهم وتصالح سانكومامان مع ابنه ·

ومرت الأيام · كان لجوفينيــدان الآن ثلاثة أطفــال · وزادت متــاعبه ومسـئولياته · ولم يســتطع أن يوفق بين دخله ونفقاته فى حدود مرتبه · ولم يستطع بالطبع أن يدخر شيئا ·

وفى يوم من الأيام خطر لزوجته خاطر « اذا كان هنــاك أى شيء الك تستحقه من عائلتك فانه ســيكون عزاء لك أن تعرف مقداره » • ووافق جوفيندان على أن الأمر كذلك • ولكن بأى حق يستطيع أن يســأل أباه عن ذلك ؟ » •

لقد كان كل شيء فى المنزل ملك أبيه وملك أبيه وحده • أكان له الحق فى السؤال ؟ كان سيرضى مسرورا بأى شيء يعرض عليه أو يعطى له • وكان هذا هو كل شيء •

قالت زوجة جوفيندان « ليس من الضرورى أن تطلب شيئا أو يقدم لنا أى شيء • دع كل شيء يبقى مع والدك ووالدتك طالما بقيا على قيــد الحياة • ولكنهما ربما يرغبــان فى أن يقررا ارثا منهما » • وقال جوفيندان الذى لم يكن قد فكر جديا فى كل هذا : « ماذا هناك ليقررانه ؟ سنرث ثلث كل ما هو موجود » •

وعبت زوجة جوفيندان قائلة : « هذا ما تعتقــده أنت • فقط انتظر وسترى من يأخذ ماذا ؟ » سيذهب كل شيء لأختك وابنها • وسيقرر أبوك ذلك كتابة » ولاحظت التغيير الذى كان على وجه زوجها وأكملت •

« ولو أنه يبتسم ويتلاطف معى ، فان والدك لا يحبنى • لن يترك شيئا لنا لأنه يعلم أننى سأستفيد به أيضا » •

لم يوافق جوفيندان على هذا الرأى • لكنه لم يستطع أن يتجاهل كلية نقاش زوجته هذا •

ناقش ذلك الموضــوع مع أخيه الأصــغر — المحامى — • اذا كان لــدى والديهما رغبة فى ترك أى شيء لهما فليفصــح عن ذلك بوضــوح • كان هــذا رأى المحامى أيضا ، وكان يشـــعر كذلك أن سانكومامان قد يترك كل شيء لباهاوانى •

وقرر الشقيقان أنهمــا يجب أن يفعلا شيئا لباهاوانى وأرسلا فى طلب بارامو بيلاى الذى رتب زواجها — أرادا منه أن يذهب ويقابل زوج باهاوانى — وعند عودته كانا سيقرران القسمة والارث • بعد أن رتبا كل شيء حصــل جوفيندان على أجازة بضعة أيام ووصل الى الليكال مع عائلته وحضر المحامى أيضا • وانتظر الجميع عودة بارامو بيلاى الذى ذهب لمقابلة زوج باهاوانى •

وصل بارامو بيلاى بعد بضعة أيام • رآه سانكومامان وهو قادم • هرع للباب وناداه قائلا : « ماذا حدث يا بارامو بيلاى ؟ أهناك أمل أن يرق قلب زوج ابنتى ؟ » •

لم يبد على وجه باراموبيلاى الكثير من التفاؤل وقال :

« لقد سافرت فقط ألف ميل ثم ألف ميل أخرى · ألفى ميل ، دعونى اجلس · سأقص عليكم كل شيء » ·

شعر سانكومامان بالاغماء · وضرب على صدره وكرره « يا الهى يا الهى ! » لم يكن لديه أحد آخر يطلب منه المعونة ·

وانتظرت باهاوانى اما عنــد باب المنزل متلهفة · وكان كريشنان كوتى يمسك بساريها · وتنهدت بهاوانى أما تنهيدة طويلة وجففت عينيها بطرف ساريها ، ثم دلفت الى الداخل وابنها خلفهــا · سمعت سانكومامان يقول ثانية « يا الهى يا الهى ! » وقلبه ملء بالكرب · وعند عتبـــة الباب كان جوفينندان وأخوه ·

كان باراموبيلاى يستريح بعد رحلته الطويلة ·· وبين الباب والنافذة على مدخل البيت وقفت زوجة جوفينندان وزوجة المحــامى تحترقان شوقا لسماع الأخبــار · جلست زوجة سانكومامان على مقعــد خشبى · كان سانكومامان يروح ويجيء فى فناء المنزل وهو يضرب على صدره ويعيد « يا الهى يا الهى ! »

شرب بارامو بيلاى قدح قهوته وقال :

« لم أستطع حتى رؤية الرجل لمدة يومين · انه رجل كبير هنــــاك · لا يستطيع المرء أن يدخل فى عجلة من أمره وتقتحم عليه الباب ، كان يجب أن أحصل على تقديم وعلى توصية لكى أراه · ان شركة ر·د·س ··· حســـنا ··· انها تستحق أن تراها · وبدا كأن باراموبيلاى سيستمر فى وصـــف الشركة للأبد · كان جوفينندان قد نفد صبره فسأله :

« وماذا قال ذلك الرجل الكبير الذى ينتمى لتلك الشركة الكبيرة ؟ » وبقى بارامو بيلاى صامتا للحظة كمن يبحث عن أقرب السبل لانهاء الموضــوع كله ، ثم قال :

« لقد قال ان والدته لا تستسيغ استمرار تلك الصلة » ·

وخرج كريشنان كوتى الى عتبة الباب ، واتخذ موقفه بجانب جدته · واستطرد بارامو بيلاى « انه يجادل انه ليس الملوم على كل هذا · فان شقيقته ما زالت بدون زواج ، غارقة فى دموعها طوال الوقت · لقد صارت آسى أزليا فى حياتهم · لقد تزوج بيلاى باهاوانى على اتفــاق أن تحصل ياسودا أيضا على زوج » ·

وقاطعه جوفيندان قائلا « لقد أرادوا ابتلاء شخص ما بمريضة بالدرن. لهذا فانها بقيت على هذا الوضع . من سيتزوج كومة عظام ؟ » وكان المرء يستطيع أن يسمع صوت سانكومامان الذى يمزق الفؤاد وهو يقول :

« يا الهى ... يا الهى » ويرفع صوته كمن يريد لصوته أن يصل الى الله فى سمائه . انسحبت زوجة جوفيندان من الباب .

وقالت زوجة سانكومامان : « ان قلب الرجل المسكين يتمزق » .

بقى جوفيندان صامتا .

وقال المحامى « لو أن تلك المرأة العجوز – أم بيلاى – ماتت ، فهل سينصرف بنزاهة ؟ » .

كان سؤالا عويصا . لم يقل بيلاى أنه سيستعيد زوجه وولده بعد وفاة والدته . لكن بيلامو بيلاى اشتم شيئا فعلا . وأوضح ذلك بصراحة بقوله :

« لقد قال بيلاى فعلا أن والدته هى العقبة . يجب أن تقرأ المعنى بأنفسنا من خلال ذلك القول . ولعلنى لا أملك الحق أن أقول كل هذا » وقال المحامى « حتى لو كان أخى قد تزوج تلك المسلولة ، فانه كان سيتصرف بنفس الطريقة ، فلنترك هذه المسألة . لا حاجة له أن يأخذ زوجه وابنه حتى تموت أمه . ولكن ماذا عن الطفل ؟ هل قال ذلك الوحش . أى شيء عنه ؟ » .

وضحك بيلامو بيلاى وقال : « انظروا الى حظى التعس ، ان بيلاى يتكلم عنكم بنفس النغمة – نعم وحسن وكل شيء – يجب أن أسمع كل ذلك وكل هذا أيضا . لقد نظر الى وجهى «وقال لى اننى كاذب ومدبر للمكائد» .

وأجاب المحامى : « لهذا قلت أننا نستطيع أن نفكر فى مشكلة باهاوانى فيما بعد . لقد أرادوا تدمير حياة أخى بفرض مسلولة عليه . ليكن ذلك ماذا يقول عن الطفل ؟ » .

ولم يكن لدى باراموبيلاى شك فى هذه النقطة . وكان لابد أن يقول شيئا « انهم مستعدون لتربية الطفل ان تركتموهم يفعلون ذلك . لقد قال لى أن والدته مصممة على أن يؤخذ الطفل اليهم » . وكان صوت سانكومامان الذى كان فى الحديقة ما زال يسمع وهو يردد ابتهاله لربه – ناريانا ... ناريانا – ملاذه الوحيد .

وسادت لحظة صمت لم يتكلم فيها أحد ·

ثم سألت زوجة سانكومامان :

« دعنى أسألك شيئا يا رامو بيلاى ، هل بدا أنه مغرم بباهاوانى ؟ ، لم يكن باراموبيلاى متأكدا من ذلك · لقد شرح أحزان باهاوانى ببعض التفصيل ·· ولكن لم يبد ان ذلك مس شغاف قلب بيلاى زوج باهاوانى ·

وقال باراموبيلاى « لم يقل أى سوء عن باهاوانى · لم يتكلم الجميع بسوء عنها · ومن ذلك يستطيع المرء أن يستشف أنه لا يحس نحوها بأى شعور سىء وقالت الأم وهى تشعر ببعض الاطمئنان « ان فى هذا بعض العزاء » ·

وتساءل المحامى « أى عزاء فى هذا يا أمى ؟ » ·

وقالت الأم « على الأقل أنه لا يلوم باهاوانى المسكينة · كان باستطاعته اختراع كل ما يخطر بباله · ولو بدا فى اتباع هذا الطريق ، فماذا بامكاننا أن نفعل ؟ » ·

وقال المحامى « يا له من وحش بلا قلب · ان موضعه جهنم » ·

كان شعاع ضئيل من الأمل قد تسرب الى قلب الأم ، وكان ضوؤه الرقيق الخافت قد بدا يسرى وينتشر ببطء وقالت :

« كيف يرفض الله دموع باهاوانى وابتهـــالات أبيك ؟ ان قلبه سيتغير يوما ما » ·

لم يكن المحامى يثق فى ذلك · والتفت الى أخيه قائلا :

« لمـاذا لا تقيم عليه دعوة نفقة باهاوانى وطفلهـا ؟ ان مرتبه يزيد عن الفى روبية فى الشهر · يجب أن تأخذ سبعمائة على الأقل فى الشهر » · ووافق جوفيندان ناير قائلا : « وبذلك نعطيه درسا » ·

ومن داخل المنزل جاء الجواب · وكان صوت باهاوانى ··

« لا أرغب فى تلك النقود · ولن أكون طرفا فى تلك الدعوى » ·

كانت نبرات باهاوانى واضحة وحاســمة · لم تكن لتـذهب الى المحـكمة تحت اى ظرف ، وألجمت كلماتها ألسنتهما · وشعرت الأم أنهما قد يفقدان السيطرة على شعورهما · كان موقفا متفجرا · وكانت شرارة صغيرة كافية لتفجيره فى أية لحظة ·

قالت الأم لباراموبيلاى : « خذ حمامك وبعض الطعــام • تستطيع أن تقول لنا الباقي فيما بعــد » • وتوجه باراموبيلاى ليأخذ حمـــامه • ودخل جوفينداق المنزل • وتساءلت زوجة جوفيندان :

« ألاحظت تصرف أختك ؟ ونبرات صوتها ؟ لا يستطيع المرء ، أن يتخيل أنها تتكلم مع أخويها الأكبر منها بهذه اللهجة • لا تواضع ••• لا تحفظ ••• لا أخلاق • لعلى أكون قد احتلت على رجل لأتزوجه • فلنسـلم بهذا • وهكذا فانني امرأة غير سوية • ولكنني لا أتكلم اطلاقا مع أخوى بهذه الطريقة المتعالية •

وراقبت وجه زوجها وأكملت •

« أن تقول أنها لا تريد السبعمائة روبية في الشهر ــ أى وقاحة هذه ، ان سببه ذلك أنها سترث كل التركة بأكملها ، والا لما تكلمت بهذه الطريقة • لماذا لا تقول شيئا ؟ هل فقدت لسانك نتيجة لاستماعك لأختـــك ؟ » ولم تكف واستمرت •

« أتعرف جوابا لمثل هذا الغرور ؟ سأقول لك يجب أن نطالب بنصيبنـــا فى المال الى الثلث فسيتبدد غرورها » •

كان كل هـــذا يجرى فى غرفة • فى نفس المنـــزل كانت هنـــاك غرفة أخرى • كانت عالما قائما بذاته • كانت هناك امرأة صـــامتة معذبة تعيش على دموعها • لم يرها أحد تضحك • لقد أمحى الضحك من على وجهها الى الأبد • كانت تلك الغرفة وذلك العالم ينتميـــان لشخصين ، أم وولدها ــ • لقد تصير الها فى تلك الدنيا الخاصة الصغيرة ، ولكن ذلك الاله لم يكن يتجاوب مع دعوات قلبها • وبالرغم من ذلك فانها لم تكن تلوم أحدا •

واستلقى كريشنان كونى على ظهره واضعا رأسه على حجر أمه وسألها : « أماه ــ هل لى أن أسألك شيئا ؟ »

« ماذا تريد أن تعرف يا ولدى ؟ » •

« هل ستوافقين ؟ » •

« كل ما فى امكانيات أمك المسكينة هو ملكك يا ولدى » •

وبعد لحظة صمت قال :

« هل لى أن أذهب للبقاء عند والدة أبى ؟ » •

وجرت الدموع على وجنتى باهاوانى •

« لماذا تبكين يا أماه ؟ » •

ومسح دموعها بيديه الصغيرتين . وقالت باهاواني بصوت مرتجف :

« في هذه الحالة ستموت أمك » .

وبدون لحظة تردد جاء جوابه :

« لن أذهب الى أي مكان . سأبقى دائما معك » .

وجذبته الأم ناحيتها وقبلته .

أعطت باهاواني كريشنان كوتي حماما ومشطت له شعره وألبسته أجمل قميص وسروال .

قبلته .. قبلة مليئـة بالدموع وباركته وكانت تتأهب لارساله بعيـدا بصلاة في قلبها .. الى أين ؟ .. الى والده .

علمت باهاواني أن زوجها لا يحمل لها ضغينة . قال باراموبيلاي انها لا حاجة لها في التفكير بالعودة اليه طالما بقيت أمه على قيد الحياة .

والآن ، قد توفيت الأم ، فقد عاود باهاواني الأمل في مستقبلها . كانت تبعث بمندوب الله الصغير لزوجها . لم يكن الوالد قد رأى ابنه قط . كان لحمه ودمه . وربما تمتلىء عيناه بالدموع عندما يرى ابنه . قد ينسى كل شيء ، ويضمه الى قلبه . كل هذه العوائق من صنع البشر . مشاكل يخلقها المرء في ركب الحياة ولا تأبه الطبيعة لها . ان قانون الطبيعة أن يحب الوالد ولده . كل هذه الأيام التي لم يمنح الحب فيها فرصته ليظهر نفسه كانت لأنه لم ير أحدهما الآخر . عندما يتقابلان اليوم سيتغير كل شيء . ولعله من الممكن أن يعود كريشنان كوتي مع والده للمنزل . لابد أن يحضر . انه فرض عليه أن يحضر . هكذا كان حلم اليقظة عنـد باهاواني . المهم هو الرباط بين الأب والابن . هذا هو أملها وأمنها . سيعود زوجها والدموع تترقرق في عينيه ويمد يديه اليها ويضمها الى قلبه . هذاهو السلام الدائم الذي كانت تحلم به .

أخذ سانكومامان حفيده من ذراعه وخرج من المنزل . وهو يردد «نارايانا» على شفتيه . كان لهذا الرجل الكهل ثقة عمياء في الهتة « نارايانا » .. كان متأكدا أن غضب الوالد سيختفي حال رؤيته لولده .

ولكن ماذا كان يجري داخل رأس كريشنان كوتي الصغير . قطعا لم يكن يفكر في روابط الحب الأبوي ، ولا كان يفكر في عودة أمه لأبيه . كان ذاهبا ليرى أباه الذي لم يكن قد رأى منه الى الآن الا صورته . سيدلله أبوه كما يدلل خاله أولاده . كان يتوق الى حنان أبيه . كان هذا مدار تفكيره . كان كريشنان كوتي قد لاحظ من بعيد خاله وهو يحتضن ابنه يسأله هذا وذاك ويضـحك

لاجاباته الصبيانية وأخيرا يقبله وأيضا تكون زوجة خاله بالقرب منهما · واليوم فان والده سيحتضنه كما يفعل خاله مع ابنه وسيسأله أيضا عن هذا وذاك ، وسيجيب بلا خجل وسيقبله أبوه · وكم سيكون بديعا لو أن أمه كانت معهما أيضا · وعند عودته سيقول لرامو انه رأى والده ·

علم سانكومامان من الصحف نبأ وفاة والدة بيلاى · وعلم أن بيلاى عاد الى المنزل بسبب ذلك ·

كان جوفيندان والمحامى معارضين لتوجه سانكومامان لرؤية بيلاى · لكن سانكومامان كان ذاهبا وحفيده في يده لأنه كان يعتقد أن الآلهة قد استجابت أخيرا لصلواته ·

كان سانكومامان قد ذهب الى منزل بيلاى مرتين فقط · وكانت هذه هى المرة الثالثة التى يذهب اليه · أشار سانكومامان لكريشنان كوتى على المنزل من بعد · كان منزلا كبيرا جميلا مزينا بالقرميد ·

كان هناك شخص يرتدى قميصا وسروالا يدخن سيجارة ، وكان يقف تحت قبو مدخل المنزل · وتساءل كريشنان كوتى أهذا أباه ؟ لم تكن صورته هكذا · رأى الرجل سانكومامان وكريشنان كوتى يدخلان المنزل · لم يبد على وجهه أنه تعرف عليهما بل لم يظهر على وجهه أى تغيير البتة · ونادى سانكومامان الهه ناريانا من أعماق قلبه · ووقف فى ساحة المنزل ممسكا بكريشنان كوتى لا يعلم ماذا يفعل · لم يفه أحد بكلمه ، لم يكن هناك وجه مألوف حوله · وهكذا بقيا قلقين لبرهة · كان بعض الأشخاص ينظرون ناحيتهما من بعيد ، ويتحادثون همسا · ومن الجانب الشمالى اختلست سيدتان أو ثلاث النظر اليهما · ظن سانكومامان أنهن يتكلمن عن الصبى ، استدار نحوهن وقال :

« نعم ··· هذا هو الصبى » ·

يجوز أن يكون بيلاى قد سمع هذا القول · كان يذرع الشرفة جيئة وذهابا · لكنه لم يبد عليه أى ارتباك · استمر يدخن سيجارة بعد سيجارة

اقترب أحد الرجال منهما وأخذ بيد كريشنان كوتى بحنان قائلا :

« هيا يا ولدى · دع باشوسار يعطيك قبله · ان باشوسار هو الذى أنجب أباك »

لم يترك كريشنان كوتي يد جده ٠

اقتربت منهما سيده عجوز ٠ نادت عليه أيضا ، لكن الصبى لم يذهب معها وتساءل باشوسار عما اذا كان بيلاى قد تعرف على ابنه وسمح لنفسه أن يخاطبه قائلا :

٠٠ هذا هو الولد

وبدا على باشوسار أن لديه مزيدا من القول ٠

وقال بيلاى فى اقتضاب : « هكذا ! »

نادى سانكومامان ثانية ملاذه الوحيد « ناريانا » وتساءل :

« ما الخطأ الذى اقترفه الصبى ؟ »

وأجاب بيلاى « أنا لا أفكر فى ذلك » ٠

وقال سانكومامان مناشدا بيلاى « هذا الصبى من دمك ولحمك ، الا تشعر نحوه بأى شيء ؟ »

وصمت بيلاى بعض الوقت قبل أن يجيب قائلا :

« ان الحب والكراهية يولدان من الالتصاق الحميم ٠ انهما لا يزدهران تلقائيا » ٠

لم يستطع سانكومامان أن يفهم ذلك ٠ واستمر بيلاى فى حديثه قائلا :

« دعنى أكون صريحا ٠ لا حاجة بك أن تكون واقعا تحت أى سوء فهم ٠ انكم أيها الناس غير سويين وأنانيون ومخادعون ، وأنا لا أريد أن يكون لى أية صلة بكم ٠ »

وتضرع سانكومامان قائلا :

« لا تتكلم هكذا ٠ أى ذنب جنته ابنتى المسكينة ٠ أى خداع ، وأى شراك نصبت لك ؟ »

لم يكن لدى بيلاى جواب صريح على هذا السؤال ٠ ولكنه بدا عليه شيء من الاضطراب ، ثم قال :

« حسنا ٠ اذهب وانظر داخل تلك الغرفة ٠ انظر الى شقيقتى ٠ لقد قلتم للجميع انها مصابة بالدرن ٠ انها لم تمت بعد ٠ اذهب وانظر اليها ٠ ثم

تكلم معى بعد ذلك عن ابنتك . ما دامت أمى على قيد الحياة كان هناك من يتولاها برعايته فمن سيتولى هذه المهمة الآن ؟ انها لم تترك فراشها منذ وفاة والدتها . ولم تتناول حتى جرعة ماء . لقد أقسمت أن تجوع حتى الموت . لم يبق لها شيء لتعيش من أجله . دعها تموت . اذهب وأنظر » .

وبعد برهة سأل بيلاى :

« لماذا لا تذهب وترى بنفسك ؟ ليس لديك الشجاعة أن تفعل ذلك . أنا أعلم أنه ليس لديك الشجاعة لذلك » .

لم يكن لدى سانكومامان شيئا يقوله . كانت شكوى بيلاى صادقة . وكان الدور على سانكومامان ليتكلم .

ومرت بضع دقائق . وقال كريشنان كوتى الذى كان ممسكا بشدة بيد جده « فلنذهب يا أبى . لنذهب لمنزلنا » .

كان لزاما على سانكومامان أن يخطر بيلاى بشيء آخر ، فلقد أراد أن يعرف شيئا واحدا آخر من بيلاى . وقال سانكومامان :

« استمع الى ياولدى . أرجوك . اننى أريد أن أربى هذا الطفل وأجعل منه شيئا . أنا واثق أنك كذلك ستريد ذلك . لن أعيش حتى أرى هذا اليوم . ان والدته فتاة بسيطة جدا . انها لا تعرف شيئا ، ولا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة . ليس للصبى أى شخص سوى أمه وأنا ، وأنت بالطبع . لهذا يجب عليك رعايته . يجب عليك أن تتولى تربيته ورعايته وتعليمه وأن تجعل منه شيئا » .

كانت هذه آخر رغبة لسانكومامان . لم يكن لديه الآن أمل فى عودة ابنته لزوجها . ولا أى احتمال فى قضاء بضعة أيام معهم . وانتظر سانكومامان جوابا .

وهز بيلاى رأسه وقال « لا . ان الزمان والفرصة لكل هذا قد فات أوانهما لو كان عندى من فترة مضت لاستطعت أن أرعاه . لقد كانت أمى متلهفة على رعايته ، وكان يمكننى أن أعهد به لأمى ، ولكننى لا أستطيع تحمل تلك المسئولية الآن ، فكيف سأستطيع أن أرعاه » . وبعد برهة استطرد بيلاى :

« سوف أرتب موضوع النقود لمصروفاته وتعليمه . اذكر الرقم الذى تريده . ولكننى لا أستطيع تحمل هذه المسئولية .

واحمر وجه سانكومامان المتعب العجوز وتصاعدت كبرياؤه ، وقال بحزم لم يبده من قبل :

« لا · لا ضرورة لذلك · لقد ربحت ما يكفى لتنشئته وتعليمه ، ولا أحتاج لفلس منك لهذا · »

ونهض سانكومامان ثم قال لكريشنان كوتى :

« ضم يديك وأنحنى لأبيك »

وتردد كريشنان كوتى · فأعاد سانكومامان كلماته بحزم :

ثبت كريشنان كوتى عينيه على والده وانحنى ويداه مضمومتان ·

وتساءل سانكومامان « اتسمح لنا بالانصراف الآن · »

لم يقل بيلاى شيئا ·

وانتشر خبر زيارة ابن بيلاى لأبيه ، وحينئذ كان خدم المنزل والجيران قد تجمعوا هناك ، ورأوا الكهل والصبى وهما يرحلان ·

أمسكت السيدات دموعهن بصعوبة وكذلك لم يستطع باشوسار مغالبة دموعه ·

لما رأت باهاوانى سانكومامان وابنها عائدين وضح لها كل شيء لكن كان هناك شيء فى وجه الرجل العجوز فقد ظهر عليه تصميم جديد وهدوء جديد · لم يعد ينادى «ناريانا» كان قد فصل الآن الغلال عن القش · لقد سوى كل شيء ، ولم يعد هناك ما يتوقعونه ·

وحالما دلف الى المنزل قال لابنته :

باهاوانى عليك بتنشئته جيدا · علميه · علميه الى أقصى حد يستطيع البلوغ اليه ، وسأتكفل بذلك مهما كانت النفقات » ·

ثم التفت الى حفيده قائلا :

« هل ستذاكر جيدا وتكبر لتصير رجلا مهما يوما ما ؟ »

وجاءه الجواب مباشرة « سأفعل يا أبتاه »

حاولت زوجة سانكومامان جاهدة معرفة كل ما حدث فى منزل بيلاى من زوجها · لكن سانكومامان لم يفه ببنت شفه ·

وبدا على كريشنان كوتى ـ الذى كان واقفا قرب أمه ـ أنه تغير قليلا · سألته باهاوانى :

« هل استدعاك أبوك الى جانبه ؟ »

« لا يا أماه . انه لم يقل لى أى كلمة . أى نوع من الآباء هذا ؟ »

حاولت باهاوانى أن تخفف من اندفاعه قائلة : « لا تتكلم هكذا يا ولدى » .

ولكن كريشنان كوتى تجاهل ذلك وقال :

« أنا لا أحبه . وسأخطر رامو أننى لا والد لى . »

أغرورقت عينا باهاوانى . وواساها ابنها قائلا :

« لا تبكى يا أماه . لن أتركك أبدا . سنبقى دائما معا . يجب عليك ألا تبكى . »

ومضت سنون عدة . وفى محطة سكة حديد ارناكولام كان القطار السريع القادم من كوستين الى مدراس على وشك الوصول وكان هناك رجل يرتدى الملابس الغربية وقد تقدمت به السن يقف بالقرب من بعض الأمتعة وعليها بطاقة « ن . ب . بيلاى . شركة آر . دى . سى ليمتد . بنجالور . » وفى التو أحضر الحمال حقيبة وجوالا (هولداول) ووضعهما بالقرب من متاع الرجل . وعلى تلك الحقيبة كانت هناك بطاقة باسم « الليكال كريشنان كوتى ، قرية تهاكازى » ووقع نظر السيد على الحقيبة وعلى الاسم المبين عليها .

وصل القطار فى عجلة . وكان الرصيف مزدحما . وفى غمرة الزحام رأى بيلاى الشاب الذى تحمل حقيبته اسم « الليكال كريشنان كوتى » ووقعت عينا كريشنان كوتى على الأمتعة التى تحمل اسم ن . ب . بيلاى واستدارت عيناه لوجه بيلاى . تعرف كل منهما على شخصية الآخر . وصعد بيلاى الى مقصورة فى الدرجة الأولى . وكريشنان كوتى الى مقصورة فى الدرجة الثانية . وكان بيلاى متوجها لمدراس لحضور مؤتمر . وكان كريشنان كوتى ذاهبا لمدراس لمقابلة بشأن الحصول على وظيفة . وأسرع القطار يحملهما الى مدراس لكى يصل فى الوقت المناسب كى يحافظ كل منهما على موعده . وفى محطة كويمباتور نزل كريشنان كوتى من القطار وتمشى على الرصيف ليلقى نظرة على مقصورة الدرجة الاولى . كان بيلاى نائما . وعند ملتقى خطوط أركونام نزل بيلاى من القطار والقى نظرة على مقصورة الدرجة الثانية التى كان بها كريشنان كوتى . لكن كريشنان كوتى كان منهمكا فى قراءة جريدة الصباح . كان القطار متأخرا أكثر من ساعة عن موعده وبدا كأنه سيتأخر نصف ساعة أخرى . استحوذ القلق على بيلاى . قد يصل الى المحطة المركزية وقت ابتداء المؤتمر ، وكان كريشنان كوتى قلقا أيضا بشأن الوصول فى الوقت المناسب للمقابلة . وكان يرى أنه لن يكون من اللائق أن يمثل أمام هيئة الاختبار بمجرد وصول القطار .

وصل القطـار للمحطة المركزية متأخرا سـاعة ونصفا تماما • ولم يكد القطار يقف حتى قفز كريشنان كوتى منه ومعه حقيبته وجواله ورآه بيلاى من مقصورته مندفعا كأنما كان على موعد مع القدر •

وخارج المحطة اضطر كريشنان كوتى أن يقف فى الصف انتظارا لسيارة اجرة وبينما هو فى الانتظار رأى بيلاى فى عربته الخاصة متجها لمؤتمره ، وفى التو وصلت سيارته الأجرة وقفز اليها فى طريقه الى مقابلته •



كوشوانت سينج

كوشوانت سينج ، روائي وكاتب قصة قصيرة ، ومؤرخ ومترجم • ولد عام ١٩١٥ في هادالى بولاية بنجاب • وكان أبوه سير صوبحا سينج ، أحد مؤسسى مدينة نيودلهى •

تلقى كوشوانت سينج تعليمه فى دلهى وحصل على بكالوريوس القانون في جامعة لندن ، وشهادة المرافعة فى المحاكم من «الاينرتمبل» (*) وعمل لفترة قصيرة كمسئول عن العلاقات العامة للجنة الهندية العليا فى لندن وحاضر عن طائفة السيخ فى جامعة برينستون فى أمريكا •

ظهرت أول مجموعة قصص لكوشوانت سينج « علامة فيشنو » فى لندن عام ١٩٥٠ ولاقت نجاحا فوريا • تتضمن كتبه التالية روايتين طويلتين «القطار الى باكستان » عام ١٩٥٥ « ولن أسمع العندليب » عام ١٩٥٨ • كما كتب أيضا كتابا عن « تاريخ السيخ » •

وكان يعجب بسيريل كونللى ، والدوس هكسلى ، وشاعرى لغة الاوردو غالب واقبال :

وقصصه قوية ، نابضة بالحياة وواقعية وخالية من العبارات المستهلكة• وسواء كان يكتب عن فلاح من البنجاب أو قاض فى المحكمة العليا ، أو خادم عند عائلة فانه صادق وصريح بلا رحمة ، ولم يكن قط مملا • ورأيه عن مستقبل الكتابة الهندية بالمثل يقف عند منتصف الحلول ، فيقول « ان الجيل الحاضر من الكتاب لا يتواضعون ، مع أنهم لا يملكون شيئا يبرر عدم التواضع ، انني لا أنتظر منهم أن ينتجوا شيئا ذا قيمة » ويكتب كوشـوانت بالانجليزية • ويعيش فى نيودلهى •

(*) Jnner Temple • هو ناد ينتمى اليه الطلبة الذين يريدون الحصول على شهادة تؤهلهم للمرافعة أمام المحاكم ، ففى انجلترا لا تكفى بكالريوس القانون لذلك • ولابد لهم أن ينتموا الى ناد من النوادى الأربعة Temples ، وأن يحضروا احدا أدنى من الندوات ووجبات العشاء في ناديهم ، يختلطون فيها بالقضاه وكبار المحامين قبل أن يصرح لهم بالموافعة أمام المحاكم • وهو تقليد قديم فى انجلترا ـ بلد التقاليد لا يزال ساريا الى اليوم • المراجع



كارما

كارما

نظر سير موهان لال الى صورته فى المرآة فى استراحة الدرجة الأولى فى محطة السكة الحديد • كان من الواضح أن المرآة صناعة هندية • فقـد زال الاكسيد الأحمر الذى يغطى ظهر المرآة فى مواضع عدة وظهر فى وجهها خطوط طويلة من زجاج نصف شفاف • ابتسم سير موهان للمرآة ابتسامة شفقة ورعاية متعالية الى شيء وضيع وتمتم :

« انك تشبهين تماما كل شيء آخر فى هذا البلد ، عاجـزة قذرة غـير مبالية » •

ابتسمت المرآة بدورها لسير موهان وقالت ؛

« أنت لا بأس بك أيهـا العزيز العجوز • أنت مهـذب • مقتدر ، بل وسيم أيضا • هذا الشارب المشذب بعناية وهذه الحلة من تستفيل والقرنفلة فى عروة الصدر وشذا ماء الكولونيا ومسـحوق التلك والصابون المعطر تفوح منك ، نعم يا عزيزى العجوز أنت لا بأس بك » •

أبرز سير موهان صدره وعدل من ربطة عنق كلية « بالبول » للمرة المائة ولوح مودعا للمرآة •

ألقى نظـرة سـريعة على سـاعته وقال لنفسه ما زال هنـاك وقت لشراب سريع •

« أيهـا الخـادم » •

وجاء الخادم يرتدى كسوة بيضاء ، ووقف أمام الباب المغطى بشبكة من السلك ، وقال سير موهان •

« ويسكي » وغرق في مقعد كبير من الخيزران ليشرب ويجتر ذكرياته ·
وخارج غرفه الانتظار كان متاع سير موهان مكوما الى جانب الحائط · وعلى صندوق حديدى رمادى صغير جلست لا شيمى - وهى ليدى موهان لال - تمضغ ورقة من نبات البيتل المتسلق وتروح لنفسها بجريدة · كانت قصيرة وسمينة وفى منتصف الأربعينات · وكانت ترتدى ساريا أبيض قذرا باطار أحمر ، وعلى أحد جانبى أنفها لمع ماس خاتم أنف ، وكان فى ذراعيها كثير من « الفوائش » الذهبية · وكانت تتكلم مع الخادم حتى استدعاه سير موهان للداخل ، وبمجرد انصرافه نادت على حمال كان مارا وسألته :

« أين يقف ديوان السيدات ؟ »

« فى نهاية الرصيف تماما » ·

وسطح الحمال عمامته على رأسه لتصبح وسادة ورفع صندوق الملابس الحديدى فوق رأسه وسار على الرصيف ·

التقطت ليدى لال سلة غذائها النحاسية وسارت بخفة وراءه ، وفى طريقها توقفت عند كشك البائع لتعيد ملء صندوق أوراق البيتل الفضى ثم لحقت بالحمال · جلست على صندوق الملابس الحديدى الذى أنزله الحمال وابتدأت تحادثه :

« هل القطارات مزدحمة على هذه الخطوط ؟ »

« هذه الأيام كل القطارات مزدحمة · ولكنك ستجدين مكانا فى مقصورة السيدات » ·

« اذن فلأنهى ازعاج الأكل » ·

فتحت الليدى لال الصندوق النحاسي وأخرجت حزمة من الخبز المضغوط وبعض مخللات المانجو · وبينما كانت تأكل جلس الحمال فى مواجهتها على عجزه يرسم خطوطا على الحصى بأصبعه ·

« هل تسافرين وحدك يا أختاه ؟ »

« لا ، أنا مع سيدى ، يا أخى · انه فى غرفة الانتظار · انه يسافر بالدرجة الأولى ، انه وزير ومحام كبير ، ويقابل العديد من الضباط والانجليز فى القطارات ، وما أنا الا امرأة وطنية لا أستطيع أن أفهم الانجليزية ، ولا اعرف طباعهم ولهذا ألزم ديوان السيدات » ·

تسامرت لا شيمى بمرح ·· كانت مغرمة بالثرثرة ولم يكن لديها من تتكلم معه فى المنزل ، ولم يكن لدى زوجها أى وقت ليقضيه معها · كانت

تقطن فى الدور العلوى من المنزل ويقطن هـــو بالدور الأرضى . لم يكن يحب تسكع أقربائها الفقراء الجهلة حول « الشالية » الذى يسكنه وهكذا لم يحضروا أبدا . كان يأتى اليها مرة كل حين فى الليـــل ويبقى لدقائق معدودة . كان يأمرها بالهندستانية المطعمة بالانجليزية وكانت تطيع دون اعتراض . على أى حال لم تنجب تلك الزيارات الليلية ثمارا .

خفضت الاشارة وأعلنت دقات الجرس اقتراب القطار . أنهت ليـــدى لال وجبتها بسرعة ونهضت وهى لا تزال تلعق بذرة المانجو المخلل . صـــدر عنها تجشئة طويلة عالية وهى متجهة ناحية صنبور المياه العام لتغســـل فمها ويديها . وبعد أن اغتسلت جففت فمها ويديها بنهاية السارى المنحل وعادت الى صندوقها الحديدى وهى تتجشأ وتحمد الهتها على نعمة تلك الأكلة المشبعة .

وصل القطار نافثا بخاره . وجدت لاشيمى نفسها تواجه مقصورة داخلية للسيدات تكاد تكون خالية ، وكانت تلى عربة الحراس فى نهاية القطار . وكان باقى القطار مزدحما . حشرت هيكلها المكتنز الضخم عبر الباب ووجدت مقعدا بالقرب من النافذة . أخرجت قطعة نقود من فئة الأنائين من عقدة فى ساريها وصرفت الحمال . ثم فتحت صندوق ورق البيتل وأعدت لنفسهـــا ورقتين من ورق البيتل ملأتهما بعجين أبيض وأحمر من بندق البيتل ، وحب الهال . وقذفت بهما الى فمها وانتفخت أوداجها من الجانبين . ثم أراحت ذقنها على يديهـــا وجلست تنظر ببلاهة الى الجماهير المتلاطمة على الرصيف .

لم يؤثر وصول القطار على هدوء أعصاب سير موهان لال . فقد ظل فى مكانه يحتسى مشروبه ، وأمر الساعى باخطاره حالما يضع حقائبه فى مقصورة فى الدرجة الأولى . أن الاضطراب ، واللغط ، والعجلة هى من أعراض ســوء التربية ، ولا شك أن سير موهان كان ممتـــازا فى تربيته . كان يريد أن يتم كل شىء بمنتهى الدقة والنظام وفى خلال السنوات الخمس التى قضاها بالخارج تطبع سير موهان بطباع وعادات الطبقة العليا هناك . ونادرا ما تحدث باللغة الهنـــدية ، ولما كان يتحدث بها ، كان ينطقها بلكنة الرجل الانجليزى . كان يقتصر على الكلمات الضرورية جدا ويحاكى فى نطقها اللكنة الانجليزية باتقان ، ولكنه كان مغرما بلغته الانجليزية التى صقلها وهذبها فى مكان لا يعلو عليه مكان آخر ، هو جامعة اكسفورد . وكان مغرما بالحـــوار ، وكانجليزى مثقف كان يستطيع أن يتحدث فى أى موضوع تقريبا ، الكتب السياسة ، الناس . وكم من المرات ســمع من الانجليز أنفســهم أنه يتحـدث الانجليزية كرجــل انجليزى .

تمنى سير موهان لو يعرف اذا كان سيسافر بمفرده . كانت محطة عسكرية ، وربما يكون بعض الضباط الانجليز بالقطار . وأحس قلبه بالدفء وهو يتطلع الى حديث ممتع . ولم يكن من عادته أن يبدى أى لهفة فى التحدث مع الانجليز ، كما يفعل معظم الهنود . ولم يكن عالى الصوت ، أو مهاجما ، أو متعصبا لرأيه مثلهم . كان يسير فى أعماله بواقعية لا يفضحها أى تعبير على وجهه . خطط لنفسه أنه سيقبع فى ركنه قرب النافذة ويخرج نسخة من جريدة التايمس . وسيطويها بطريقة تبدى للآخرين اسمها وهو يحاول فك رموز الكلمات المتقاطعة . كانت التايمس دائما تلفت النظر . فقد يحلو لبعضهم أن يقترضها عندما يضعها جانبا بتعبير يدل على أنه انتهى منها . ربما يلاحظ أحدهم ربطة عنقه الخاصة بطلاب كلية باليول فى جامعة اكسفورد ، والتى كان يرتديها دائما أثناء سفره . كان ذلك يفتح الطريق الى تصور شامل لأرض الأحلام فى كليات جامعة اكسفورد ، الاساتذة ، والعمداء والمشرفون ، وسباق القوارب ، ومباريات كرة القدم ، واذا فشلت التايمس ورباط العنق ، فسيلجأ سير موهان لتعبير انجليزى معروف لينادى خادمه كى يخرج الويسكى من الحقيبة . وسيتبع ذلك صندوق سجائر سير موهان الذهبى الجميل وهو ملىء بالسجائر الانجليزية . سجائر انجليزية فى الهند ؟ كيف تسنى له بحق السماء أن يحصل عليها ؟ هل يسمح ؟ طبعا انه يسمح ، وابتسامة سير موهان المتفاهمة تظهر أنه قطعا يسمح . ولكن هل سيستطيع ان يستخدم الرجل الانجليزى كوسيط للاتصال الروحى بانجلترا العجوز العزيزة . ؟ هذه السنون الخمس من السراويل الواسعة والأرواب الرمادية وجاكتات الرياضة (بليزر) الزرقاء والزوجى المختلط ، والعشاء فى نوادى المحكمة ، والليالى مع عاهرات بيكاديللى . خمس سنين من حياة حافلة مزدحمة ، تفوق بكثير . الخمس والأربعين سنة فى الهند مع مواطنيه القذرين البذيئين مع التفصيلات القذرة لطريق النجاح ، وزياراته البهيمية للدور العلوى والمضاجعة الجنسية الخاطفة القصيرة مع لا شيمى المترهلة العجوز التى تفوح منها رائحة العرق والبصل .

انقطعت أفكار سير موهان عندما أخطره الحمال بوضع حقائب السيد فى مقصورة الدرجة الأولى بعد القاطرة . سار سير موهان الى مقصورته بمشية مدروسة . وشعر بيأس ، حيث كانت المقصورة خالية . وجلس فى ركن وهو يتنهد ، وفتح نسخة التايمس التى كان قد قرأها مرارا من قبل .

نظر سير موهان خلال النافذة .. الى الرصيف المزدحم . أضاء وجهه عندما رأى جنديين انجليزيين يسيران وهما ينظران الى كل المقصورات بحثا عن مكان . كانا يعلقان ربطة فرشهما خلف ظهرهما ويسيران بدون ثبات . صمم سير موهان على الترحيب بهما مع أنهما لم يكن يجوز لهما الا الركوب فى الدرجة الثانية ، فقد كان سيتحادث مع الحارس أو المحصل .

وصل أحد الجنود الى المقصورة الأخيرة وأدخل وجهه خلال النافذة ففحص المقصورة ولاحظ الأريكة الخالية وصاح :

« هيه - بيل - هنا واحدة » ·

وأتى زميله ونظر للداخل أيضا ونظر لسير موهان وتمتم لزميله :

« أخرج ذلك الزنجى الحقير من المقصورة » ·

فتحا الباب واستدارا لسير موهان الذى كان نصف مبتسم ونصف محتج · وصاح بيل « محجوز ! » ·

وشرح جيم وهو يشير لقميصه الكاكى :

« يا رجل ·· محجوز ·· الجيش ·· القوات المسلحة ·· » ·

« أخرج بسرعة ··· هيا أخرج · »

واحتج سير موهان بلكنته الاكسفوردية :

« دعنى أقول ··· دعنى أقول ··· حتما ··· »

تريث الجنديان · لقد بدأ · ذلك كالانجليزية تماما · ولكنهما كانا يعلمان أحسن من أن يثقا بآذانهما المخمورة · صفرت القاطرة ورفع الحارس رايته الخضراء ·

التقطا حقيبة سير موهان وألقيا بها للرصيف · ثم تلاها زمزمية مياهه · وحقيبة ملابسه ، وأغطيه نومه وجريدة التايمس · ازرق وجه سير موهان من الغضب وصاح وقد استبد به الغضب :

« غير معقول ··· مستحيل ··· سأرى أن يقبض عليكما ··· يا حارس ··· يا حارس ·· »

تريث بيل وجيم ثانية · لقد بدأ ذلك فعلا انجليزيا · ولكن هذه الانجليزية كان فيها أكثر مما يلزم من انجليزية الملك ·

ولطم جيم سير موهان على وجهه قائلا :

« أبق فمك الأحمر مغلقا · »

وأطلقت القاطرة صفيرا قصيرا آخر وابتدأ القطار يتحرك ، وأخذ الجنديان بسير موهان من ذراعيه وقذفاه خارج القطار · تراجع للخلف ، تعثر فى ربطة فرشه وسقط على حقيبة ملابسه · « وداعا » ·

(★) انجليزية الملك (king's English) ، هى اللغة التى يستخدمها صفوة المثقفين فى انجلترا ، وافراد المجتمع الراقى بها ·

تسمرت أقدام سير موهان بالأرض وفقد القدرة على الكلام وحملق فى نوافذ القطار المضيئة وهى تمرق أمامه فى سرعة متزايدة · ظهرت مؤخرة القطار بنورها الأحمر والحارس واقف عند فتحة الباب وأعلامه فى يده ·

وفى مقصورة السيدات كانت لا شيمى الجميلة السمينة ، وخاتم أنفها الماسى يتلألأ فى أضواء المحطة · كان فمها منتفخا بلعاب أوراق نبات البيتل والتى كانت تخزنه لتبصقه حالما يتخطى القطار المحطة · ولما تخطى القطار الجزء المضىء من الرصيف بصقت ليدى لال سيلا من لعاب أحمر طار من خلال النافذة كالسهم ·

اغتصاب

استلقى داليب سينج على فراشة ، ينظر الى السماء المرصعة بالنجوم . كان الجو حارا ساكنا . وكان عاريا فيما عدا ما يستر العورة . وبالرغم من ذلك تدحرجت حبات من العرق على كل أجزاء جسده . كانت الحرارة تنبع من الحوائط الطينية التى تشويها الشمس طوال النهار . كان قد رش الماء على سطح المنزل ولكن ذلك لم يكن ذا أثر الا فى تصعيد بخار طينى له رائحة الأرض وروث البهائم .

كان قد شرب ماء بقدر ما وسعت معدته ، وبالرغم من ذلك كان حلقه جافا . وكان هناك أيضا البعوض وطنينه الرتيب . اقترب بعضه من أذنيه لحد كبير وأمسك به وسحقه بين ابهامه وأصابعه . دخلت واحدة أو اثنتين الى أذنه الداخلية وسحقها على حائط أذنه بسبابته . تشابك بعض هذا البعوض فى شعر لحيته وأخمدت أنفاسه فى شراكها ، حتى كف الطنين . واستطاعت بعض هذه البعوضات أن تتغذى على دمه تاركة اياه ليهرش ويلعن .

عبر الممر الضيق الذى يفصل بيته عن بيت عمه ، كان داليب سينج يرى صفا من الأسرة على السطح . فى جانب منها نام عمه بانتا سينج وذراعاه متباعدتان وكذلك رجلاه كما لو كان مصلوبا . ارتفعت بطنه وانخفضت وهو يشخر . وكان قد تناول منقوع العنب الهندى بعد الظهر ونام فى استسلام كامل . وعلى الجانب الآخر من الصف جلست بعض السيدات يروحن عن أنفسهن ويتحدثن بصوت خفيض .

(★) منقوع العنب الهندى شراب مخدر .

استلقى داليب سينج مستيقظا يحملق فى السماء • ولم يجد السلام ولا النوم • وعلى الرغم من ذلك فعلى السطح الآخر نام عمه – أخو والده وقاتله – • ووجدت نساؤه الوقت للجلوس والحديث فى الساعات المتأخرة من الليل بينما كانت أمه تدعك الأواني والأطباق بالرماد وتجمع روث البهائم للوقود • كان لدى عمه الخدم لترعى ماشيته وتحرث أرضه بينما كان هو يتعاطى منقوع العنب الهندى وينام • كانت ابنته بنيدو ذات العيون السوداء تخرج لا لشيء الاالاستعراض أثوابها الحريرية اليابانية ، ولكن لداليب سينج لم يكن هناك الا العمل ومزيد من العمل •

اهتزت اشجار السرو • اندفع النسيم الرطب عبر فتحات السقف فأبعد البعوض وجفف العرق • وأشعر داليب بالسكينة والهدوء وأحس بالنوم يستولى عليه • وعلى سطح منزل بانتا كفت النساء عن الترويح • ووقفت بيندو بجانب فراشها وألقت برأسها الى الوراء وملأت رئتيها بالهواء الرطب البليل • راقبها داليب وهى تغدو وتروح • كانت تستطيع أن ترى أهل القرية وهم نائمون فوق الأسطح أو فى الساحات • لم يتحرك أحد • توقفت بيندو ووقفت بقرب فراشها • وأمسكت بقميصها من ركنيه اللذين كانا يصلان الى ما فوق ركبتيها مباشرة وأمسكت بهما أمام وجهها بيديها الاثنتين متعرية من وسطها لرقبتها وداعية النسيم البليل لاحتواء بطنها المستوية وصدرها الملىء بقوة الشباب ثم همس شخص ما شيئا فى غضب • وأسقطت بنيدو قميصها واستلقت على فراشها وضاعت فى الخطوط العريضة لوسادتها التى كانت قطعة من الفوضى •

عاد داليب سينج الى كامل يقظته ودق قلبه بسرعة جنونية ، واختفت صورة بانتا سينج الكريهة من خياله • أغلق عينيه وحاول أن يعيد خلق بيندو كما رآها فى ضوء النجوم • اشتهاها وفى أحلامه حصل عليها • وكانت بيندو – فى الحلم – راغبة دائما • بل مستجديه • وكان داليب سينج متعطفا عليها دون لهفة • وكان بانتا سينج يغلى بالغيظ والاذلال • كانت عينا داليب سينج مغلقتين ولكنهما تفتحتا على عالم آخر حيث عاشت بيندو ، وأحبت وحيث كانت عارية وغير خجلة وجميلة •

بعد عدة ساعات حضرت والدة داليب وهزته من كتفه • لقد حان الوقت لكى يذهب ليحرث الأرض والجو لا يزال معتدلا • كانت السماء سوداء والنجوم أكثر لمعانا • التقط قميصه الذى كان مطويا تحت وسادته وارتداه • وألقى بنظرة الى السطح المجاور • كانت بيندو غارقة فى سباتها •

شد داليب سينج ثوريه الى المحراث وتركهما ليقوداه الى الحقول • سار

خلال أزقة القرية المظلمة المهجورة الى الحقول المضاءة بالنجوم · كان متعبا وكان خيال بيندو لا يزال يربك عقله · تحول لون الأفق الشرقى الى رمادى · ومن خلال حدائق المانجو انبعثت صرخات طير الكويل الحادة فى مجمـــوعات من الأصوات العالية · وبدأت الغربان تنعق فى أشجار السرو ·

كان داليب سنج يحرث ولكن عقله لم يكن فى عمله · اكتفى بامســاك المحراث والسير خلفه فى بطء · لم تكن الخطوط مستوية ولا عميقة · وجعله ضوء النهار يشعر بالخجل · فصمم على أن يجمع شتات نفسه ويلقى بأحـلام اليقظة بعيدا · غرس نصل محراثه الحاد عميقا فى الأرض وأعمل منخاسه بشدة فى مؤخرة الثورين · انتفض الثوران فجأة فى حركة وهما ينخران ويضربان بذيلهما · شطر المحراث الأرض وسقطت كتل كبيرة من الطين على جانبى أقدام داليب · شعر داليب بالسيادة على ثوريه والمحراث ودفع بمحراثه بتصميم وحشى الى عمق أكبر وراقب نصله الحاد وهو يشق طريقه خلال التربة السمراء الغنية بشبق شديد ·

صعدت الشمس فى السماء بسطوع شديد وحرارة متوهجة · فتخلى داليب عن الحـــرث وقاد ثوريه الى بئر تحت شـجرة سرو ورفع النير عنهما · جذب عدة دلاء من الماء · اغتسل ورش الماء على ثوريه وتبعهما للمنزل والماء يتقاطر منهما طوال الطريق ·

كانت أمه فى انتظاره · أحضرت له خبزا طازجا وبعض السبانخ بقليل من الزبد فيها ، واحضرت أيضا قدحا نحاسيا كبيرا مليئـــا بمخيض اللبن · أقبل داليب على الطعام بشراهة بينما جلست أمه بجانبه تطرد الذباب · أتى على الخبز والسبانخ ثم تبعهما باللبن · استلقى على فراشه وسرعان ما غاب فى النوم · ظلت أمه جالسه بقربه تروح عنه برقه ·

نام داليب طوال الصباح وبعد الظهر ، ونهض فى المســاء وتوجه لحقوله لتطهير مجارى المياه · سار على مجرى المياه الذى يفصل أرضه عن أرض عمه · كان اتباع بانتا سينج هم الذين يروون أرضه فمنذ أن قتل أخاه لم يأت بانتا سينج الى أرضه قط فى المساء ·

عكف داليب سينج على تطهير مجارى الميـــاه فى حقوله · ولمـا انتهى من ذلك ذهب الى مجرى الماء واغتسل · وجلس على شاطىء المجــــرى الذى يغطيه العشب وأرجله فى الماء الجارى منتظرا والدته ·

غربت الشمس على رقعة شاسعة من الحقول الممتدة ولمعت نجمـــة المساء قريبة من هلال القمر · ومن القرية كان يستطيع أن يسمع صرخات النســاء

عند البئر والاولاد فى لهوهم مختلطة كلها بنباح الكـــلاب وزقزقة العصـــافير الصاخبة وهى تستعد للاستقرار فى أعشاشها أثناء الليل ٠

خرجت مجموعات من النسـاء الى الحقول وانتشرن خلف الشجيرات ليقضين حاجتهن ٠ واجتمعن ثانية واغتسـلن فى صفوف على طول مجرى الماء ٠

حضرت أم داليب سينج ومعها العلامة الخشبية من ملاحظ مياه القنـــاة التى تبين أن دور داليب لرى حقوله قد حل ٠ ثم عادت لترعى الماشية ٠ كان أتباع بانتا سينج قد رحلوا ٠ أغلق داليب سينج مجرى المياه على حقول بانتا سينج وفتحها على حقوله ، وبعد أن انتهى من ذلك استلقى على الشاطىء الرطب المغطى بالحشائش يراقب المياه وهى تترقرق على الأرض المحـــروثة وتتـــلألأ كالزئبق تحت أشعة القمر الجديد ٠ استلقى على ظهره ينظـــر الى الســـماء ويستمع الى الأصوات الصادرة من القرية ٠ وكان يستطيع أن يسمـــع بعض النساء تتحدث فى مكان ما من حقول بانتا سينج ثم خيم على الدنيا فجأة صمت يضيئه نور القمر ٠

قطع حبل أفكار داليب صوت رشرشة ماء بالقرب منه ٠ وتلفت حولـــه فرأى امرأة على الجانب الآخر من القناة جالسة على عجزها وهى تغتســـــل ٠ وكانت تقذف بالماء بيد بين فخذيها وتغسل نفسها باليد الأخرى ٠ وملأت يدها من الأرض بالطين ودعكت به يديها ثم غمستهما فى الماء الجارى ٠ ثم مضمضت فاها والقت ملء يدها ماء عدة مرات على وجهها ٠ ثم نهضت تاركه سروالها مكوما عند قدميها ، ثم أمسكت بقميصها من الأمام وانحنت لتجفف وجهها ٠

كانت بيندو ٠ استولت على داليب سينج رغبة جنونية فقفز الى المـــاء ، وعبر الى الضفة الأخرى نحوها ٠ كان وجه الفتاة مدفونا فى قميصها ، وقبـــل أن تتمكن من الاستدارة كانت يدا داليب سينج قد التفت حولها تحت أبطيها وحول صدرها ٠ ولمـــا استدارت نحوه غطى وجهها بقبـــلات ملتهبة وأسكت صرختها المرتعبة بأن ألصق فمه بفمها ، ثم نزل بهـــا الى الحشيش الطرى ٠ قاومته بيندو كقطة متوحشة ٠ وأمسكت بلحيته فى كلتا يديها وغرزت أظفارها بوحشية فى صدغيه ، وعضت أنفه حتى أدمتها ولكن سرعان ما انهكها التعب ، فكفت عن النضال واستلقت ساكنة بلا حـــراك ٠ كانت عينـــاها مغمضتين وانحدرت الدموع على جانبى وجهها غاسلة الكحل الى أذنيها ٠ كانت جميلة فى ضوء القمر الشاحب ٠ وامتلأ داليب بتأنيب الضمير ٠ لم يكن قط قد قصـــد ايذاءها ٠ ربت على جبهتها بيده الخشنة الكبيرة وجرى بأصابعه خلال شعرها وانحنى وحك أنفه بأنفها برقة ٠ فتحت بيندو عينيها الواسعتين وحملقت فيه بنظرة جوفاء خالية من التعبير فلم يكن فى عينيها كراهية ولا حب ٠ كانت مجرد

حملقة . قبل داليب سينج عينيها وأنفها بعطف واكتفت بيندو بالنظر اليه ، وعلى وجهها نفس التعبير الخالى من المعنى والدموع تتساقط بغزارة من عينيها .

كانت رفيقات بيندو ينادين عليها ، ولكنها لم تجب . اقتربت احداهن وصرخت تطلب النجدة فنهض داليب سينج وقفز عبر الماء واختفى فى الظلام .

- ٢ -

حضر جميع ذكور قرية سينجبورا ليستمعوا الى قضية التاج ضد داليب سينج . وامتلأت القاعة والشرفة والساحة كلها بالفلاحين . وفى ناحيـــة من الشرفة كان داليب سينج مكبلا بالحديد بين شرطيين . جلست أمه تروح عنه وهى تغطى وجهها بازار ، وكانت تبكى وتمخط أنفها . وفى الناحية الأخـرى كانت بينــدو وأمها وعديد من النساء غيرهما يجلسن متقاربات فى دائرة . وكانت بيندو أيضا تبكى وتمخط أنفها . وكان يشرف على هذه المجموعة من عل بانتا سينج وأصـــدقاؤه وهـم يميلون على عصيهم البامبو فى مشـــاورات هامة مستمرة . وكان القرويون الآخرون يروحون عن أنفسهم من ملل الانتظار بشراء الحلوى من الباعة الجائلين أو بتنظيف آذانهم عند الجـــوالين المختصين بتنظيف الآذان . وتجمع بعضهم حول باعة الأدوية المقوية للباه وهم ياكزون بعضهم بعضا بالكوع ويضحكون .

كان بانتا ســينج قد استأجر محاميا ليســاعد مدعى الحكومة . جمع المحامى شهود الاثبـــات فى ركن وجعلهم يراجعون شهاداتهم ، وحـــذرهم من الأسئلة التى يحتمل أن توجه اليهم من محامى الدفاع ، وقدم صاحب المحكمة وكاتبها الى بانتا سينج وأوعز اليه بتقديم « بقشيش » اليهما . ثم أخذ رزمة من الاوراق المالية من موكله ليعطيها المدعى الحكومة . كان جهاز العدالة قـــد أجرى تشحيمه جيدا . لم يكن لدى داليب سينج محام أو شهود دفاع .

فتح الساعى باب غرفة المحكمة ونادى على القضية بطريقـــة منغمـــة . وأدخل بانتا سينج أصدقاءه . واقتاد الشرطيان داليب بينهما الى الداخـل ولكن الساعى منع والدته من الدخول فهى لم تدفع له شيئا . ولمـا عاد النظام الى الغرفة بدأ الكاتب فى قراءة الاتهام .

قال داليب سينج انه غير مذنب . وطلب القاضى كومار من مساعد المدعى أن يستدعى بيندو .

جرت بيندو قدميها الى منصة الشهود ووجهها ما زال مغطى بشالها ، وهى تمخط أنفها . وسألها المفتش عن عداء أبيها لداليب سينج . وقدم ملابسها وهى ملوثة بالدماء والمنى . وأنهى هـــذا قضية الادعاء . كانت أدلة بيندو مؤيدة بالمعروضات واضحة لا تدحض .

وسأل السجين عما اذا كان لديه أية أسئلة . ضم داليب سينج يديه المغلولتين بالقيود وقال :

« أنا برىء يا صاحب اللآلىء »

ونفد صبر القاضى كومار :

« لقد سمعت الأدلة . ان لم يكن لديك أسئلة للفتاة فسأصدر قرارى » .

« يا صاحب اللآلىء — ليس لدى محام . ولا أصدقاء لى فى القرية يشهدون ببراءتى . أنا فقير .. ارحمنى .. أنا برىء » .

غضب القاضى . والتفت للكاتب قائلا :

« استجواب الشاهد .. لا يوجد »

غمغم داليب سينج « لكن .. قبل أن ترسلنى الى السجن يا سيدى الامبراطور اسألها عما اذا كانت غير راغبة ، لقد ذهبت اليها لأنها أرادتنى . أنا برىء » .

التفت السيد كومار ثانية ناحية الكاتب .

« استجواب الشاهد بالمتهم . هل ذهبت للمتهم بمحض ارادتك ؟ » .

« أجيبى »

ووجه السيد كومار حديثه لبيندو « أجيبى .. هل ذهبت للمتهم بمحض ارادتك ؟ »

مخطت بيندو أنفها وبكت . انتظر القاضى والجمهور فى صمت مشوب بالضيق .

« هل ذهبت أم لم تذهبى ؟ أجيبى .. فلدى أعمال أخرى »

ومن خلال ثنايا الشال العديدة التى كانت تغطى وجهها أجابت بيندو .. « نعم » .

بالاجومي بادماراجو

ولد بالاجومى بادماراجو عام ١٩١٥ ، بقرية صغيرة بولاية آندرا فى الهند الجنوبية • كانت أسرته من البراهمة ، وكان أبوه ناظرا لمدرسة ثانوية بمدينة قريبة • نال ماجستير العلوم فى الكيمياء من جامعة بنارسى الهندستانية •

بدأ بادماراجو الكتابة عندما كان فى العشرين من عمره • انه يكتب بال « تيلوجو » وتتضمن أعماله ثلاثة أجزاء من القصص القصيرة نشرت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٣ ، ورواياته « حديقة الحيوان البشرية » ١٩٦٤ ، وثلاث مسرحيات: « دموع من الدم » و « رامادو الشرير » و « الشر ولعقاب » • ونالت احدى قصصه « الاعصار » الجائزة الثانية فى المسابقة العالمية للقصة القصيرة التى عقدتها جريدة نيويورك هيرالد تريبيون عام ١٩٥٢ •

ويظهر أن تأثراته كانت أكثر تنوعا مما هى عادة بين الكتاب الهنود • انه يضع برت هارت وموباسان فى أول القائمة • ويلى ذلك موم ، وتشيكوف وتورجينيف ، ويليهم كذلك هكسلى وهيمنجواى • انه يعجب اعجابا شديدا براجاراو ويشعر أن المؤلف فى روايته « الثعبان والحبل » « نجح فى مد حدود اللغة الانجليزية . وجعلها أداة رائعة للتعبير عن الفكر والاحساس بأسلوب هندى صميم » •

ويعيش بادماراجو الآن فى مدراس • ويكتب روايات الأفلام فضلا عن القصص الخيالية •



فى القارب

فى القارب

بعد مغيب الشمس غلفت الدنيا غلالة حزينة · وانساب القارب فى رفق فوق النهر الساكن ·

وكانت المياه تتلاطم على جانبى القارب فى تموجات خفيفة · ولم تبد بادرة من حياة ، الى أبعد ما تستطيع العين أن ترى ، وراح العالم الميت يهمهم بلا صوت · لم تكن تلك الهمهمة مسموعة ، ولكن الجسد كان يشعر بها وكانت تملأ العقل بذبذباتها · كان هناك احساس يزحف الى العقل الواعى ، بأن الحياة تأتى الى نهايتها ، وبأن هناك سلاما ثقيلا خاليا من الأمل يجثم على الصدور · وكانت المعالم المبهمة الغامضة للأشجار البعيدة تتحرك مع القارب بلا حراك · وكانت الأشجار الأقرب تتحرك الى الخلف ، كشياطين ذات شعر أشعث · لم يتحرك القارب · وتحركت ضفة المجرى الى الخلف ·

نظرت عيناى الى أعماق المياه الساكنة ، متوغلة فى الظلام واسترخت النجوم على فراش من مياه يتأرجح حالما على التموجات البطيئة ، ونامت بأعين مفتوحة ·

لا حركة فى الهواء · راح الحبل الذى كان الملاحون يجذبون به القارب يرتخى ويتوتر فى ايقاع منتظم وكانت الأجراس المربوطة فى عصا التوجيه فى يد القائد تدق فى كل خطوة · وعند أحد أطراف القارب ، كان هناك وهج أحمر لنار فى الفرن ، يتوهج متحولا الى شعلة ثم يخمد على التوالى وبدلو صغير ، راح صبى ينزح المياه المتسربة الى القارب من بعض الثقوب الصغيرة · وكانت هناك أجولة من أعواد الأرز والتمرهندى وغيرها مكدسة فى القارب · واستلقيت فوق قمة القارب وأنا أحملق فى السماء ومن داخل القارب انتشر

دخان الطباق مختلطا بأصوات خفيفة غير واضحة فى جميع الاتجاهات · كان فى الغرفة الصغيرة حيث يجلس الكاتب . مصباح زيتى صغير يلقى بصيصا من الضوء فى الظلام · ومضى القارب فى سيره ·

ونادانا صوت من بعيد قائلا « أرجو أن تحضروا القارب الى هذه الضفة ـ هذه الضفة ! » وبينما كان القارب يقترب من الضفة ، قفز شخصان على السقالة ، ومال القارب ميلا خفيفا الى ذلك الجانب ·

وقال صوت نسائى « أرجو ألا تعيرونا اهتماما · سنجلس هنا فوق القمة » ·

وسألها الرجل الجالس الى الدفة ·· أين كنت كل هذه الأيام يارانجى ؟ « لم أرك منذ مدة طويلة » ·

« أخذنى رجلى الى أماكن كثيرة ـ فيجايانا جارام · فيزاكهاباتنام وصعدنا معا تل أبانا » ·

« أين انت ذاهبة الآن ؟ »

« مانداياكا · كيف حالك يا أخى ؟ الا يزال لديكم نفس الكاتب ؟ »

« نعم » ·

وسقط جسد الرجل الذى يصاحبها مكوما على الأرض وانزلق سيجاره الهندى المشتعل من فمه · وأطفأته المرأة ·

قالت « اجلس كما ينبغى » ·

« حيه ، أيتها الكلبة · أتظنيننى سكران ؟ لسـوف أحطم ضلوعك ان أزعجتنى » وراح يتدحرج من جانب القارب الى الجانب الآخر · وغطته المرأة بملاءة من القماش كانت قد انزلقت الى جانبه عندما تدحرج · وأشعلت سيجارا لنفسها · وعندما اشتعل اللهب بعود الثقاب ، رأيت وجهها لحظة وجيزة · وكان الوجه القاتم يتوهج حمرة ·

كانت هناك لمحة من القرار الموسيقى العميق (الباس) فى صوتها · وعندما كانت تتحدث ، كنت تشعر أنها تسر اليك فى غير مواربة بدخائل أسرارها · لم تكن جميلة ، كان شعرها أشعث · ومع ذلك كان يحيطها مظهر من مظاهر الوقار · كانت « البلوزة » السوداء التى كانت ترتديها توحى اليك أنها لا ترتدى شيئا · وكانت عيناها تلمعان فى الظلام كأنهما تتوقدان حياة · وعندما أشعلت عود الثقاب لاحظت أننى أرقد قريبا منها · قالت محاولة أن توقظ الرجل « ثمة شخص نائم هنا » ·

« أرقدى أيتها الفاجرة · سوف أدق عنقك ان أيقظتنى ثانية » · وابتعد عنى بشىء من الجهد ·

ووقف الكاتب على السقالة ومصباح الزيت فى يده ، وسأل قائلا :

« من هذا الشخص يارانجى ؟ »

« انه رجلى ، بادالو · أرجو ألا تحصل أجرا منا يا سيدى نظير الرحلة » ·

« أهو بادالو ؟ اخرجيه ! انه وغد ولص · ألا ادراك عندك ؟ انه سكران سكرا بينا وقد أحضرته الى هذا القارب !! »

واحتج بادالو قائلا « من ذا الذى يقول أننى سكران ؟ »

وصاح الكاتب فى الملاحين قائلا : « أيها الحمقى · القوا بهذا الشخص الى الخارج · لماذا سمحتم له بأن يطأ القارب · انه سكران ؟ انه سكران سكرا بينـــا » ·

وقال بادالو محتجا « لست سكران ســكرا بينا · لقد رويت قليلا من ظمئى فحسب » ·

قالت المرأة تنصحه « لماذا لا تظل صامتا ؟ » ثم جعلت تستعطف الكاتب قائلة « أرجوك يا سيدى ، أناشدك · فليباركك الله يا سيدى · سوف ننزل فى (ماندا باكا) » ·

وانضم اليها الرجل فى الاستعطاف « لست سكران يا سيدى · أرجو أن تكون كريما وتسمح لنا بالذهاب الى ماندا باكا » ·

« ان أثرت أى شغب سآمر بالقائك فى القناة · وعاد الكاتب الى غرفته وهم بادالو جالسا ، فلم يكن حقا سكران » ·

وقال فى صوت خفيض « سيأمر بالقائى فى القناة ـ ابن الكلبة » !
« الزم الصمت · ان سمع ما قلته ، فقد انتهينا » ·

«دعه يلقى نظرة على القارب غدا صباحا · انه يدعى العظمة ابن الكلبة» !

« س ·· س ·· ثمة شخص نائم هناك » ·

وأشعل بادالو ســـيجارا · كان ذا شـــارب كثيف جدا · وكان وجهه بيضاويا · وكان عموده الفقرى منحنيا كقوس يجذبه وتر · كان نحيلا معروقا وكان يحف به مظهر عدم الاكتراث ·

كان القارب ينســاب فى يسر · وكان الملاحون يغســلون الأوانى بعد الطعام ، وهم يتحدثون فيما بينهم ·

لم يكن الجو باردا ، ولكننى غطيت نفسى بملاءة · أحسست بالخوف من ترك جسدى معرضا للظلام ولا حول له · كان النسيم لاذعا . وكان القارب ينساب فوق المياه فى رقة كأنه لمسة امرأة ·

كان الليل مغلفا بالرقة ـ كأنه فى أحضان امرأة غير مرئية · وأحسست بأننى تائه فى ذلك العناق وطاف بخاطرى كثير من ذكريات ماض وذكريات القصص المشوبة بالأسى عن امرأة رعت رجلا وجلبت له السعادة ·

وعلى مسافة قريبة منى كان سيجاران يتوهجان بالحمرة فى الظلام · بدا كما لو كانت الحياة تجلس هناك تدخن فى شراهة وتفكر فى نفسها · وسأل بادالو قائلا « أية قرية هى التالية فى طريقنا ؟ »

قالت رانجى « كالدارى » ·

« ما زال أمامنا مسافة طويلة نقطعها » ·

« لا تفعل ذلك اليوم · ينبغى أن تكون حريصا ليس اليوم · سنحاول مرة أخرى عندما يصبح الحال أكثر أمنا · ألا تنصت الى ؟ »

قال بادالو « أنت خائفة ـ أيتها الفاجرة » ودغدغ جنبها بنخسة من اصبعه ·

قالت « اوه ! » ونظرت نحو السماء كأنها تتمنى أن يدوم الشعور الذى وهبه هذا اياها الى الأبد ·

غلبنى النوم تدريجيا · وتحرك القارب مع التيار وكأنه نائم أيضا · راح الشخصان غير البعيدين عنى يتحدثان همسا الى بعضهما البعض فترة ما · ورغم أننى كنت نائما ، فقد كان جانب منى يقظا · كنت أعرف أن القارب يتحرك وأن المياه كانت تتلاطم على جانبيه ، وان الأشجار على الضفة كانت تتحرك متراجعة الى الخلف ·

وكان الجميع نياما داخل القارب ، وانتقلت رانجى من جانبى الى الدفة وجلست بجوار الرجل الذى كان يديرها ·

سألته قائلة كيف حالك يا أخى ؟ وسألها رجل الدفة وكيف حالك أنت ؟

« يالها من روائع رأيناها أنا ورجلى ! ذهبنا الى السينما ، شاهدنا سفينة ، يا لها من سفينة ! كانت يا أخى كبيرة فى مثل حجم قريتنا ، لست أعرف أين كانت دفتها · وأخبرته بمائة شىء وكان صوتها يهدهدنى فى نومى ·

قال رجل الدفة « أوه أيتها الفتاة ! اننى أشعر بالنعاس -

وقالت رانجى « سأمسك بها ، استلق هناك » .

ومضى القارب في سكون .. ببطء . ودون أن تعكر السكون رفعت رانجى صوتها بأغنية .

أين هو ! أين هو رجلى ؟

اننى أضع الطعام فى الطبق

وأجلس هنا منتظرة عودته .

الليل يعمق كالظل

ولكن النوم لا يراود عينى — أين هو ؟ رجلى ؟

الريح الباردة تلسعنى كالعقرب .

وأعصابى تتقلص وتؤلمنى .

ما لم تضمنى الى جسدك الدافىء .

فقد أموت .. أين هو ؟ .. رجلى !!

كان فى صوت رانجى موسيقى . كان يبدو وكأن جميع المخلوقات الحية قد سمعت الأغنية فى نومها ، وكان صدى حكايات الحب العنيفة يتردد فى أسى وغموض فى تلك الأغنية . وانتشرت كصفحة المياه وطفا العالم فوقها كأنه قارب صغير ، وبدت الحياة البشرية ، بحبها وحنينها شيئا حتميا وغريبا .

وعلى مسافة قريبة منى ، جلس بادالو ورأسه مغطى بملاءة . ولكن كان يبدو أن هوة عميقة تفصله عن رانجى .

وبعد قليل مضى بادالو الى داخل القارب . ونفضت النوم وظللت مستلقيا أنظر الى النجوم وكانت رانجى تغنى :

كنت تظن أن هناك فتاة فى الحارة خلف الكوخ .

وتسللت الى هناك فى سكون .

ولكن من هى الفتاة ؟ يارجلى العزيز .

أليست هى أنا فى ريعان شبابى ؟

وطافت أغنية رانجى بالعالم ، ثم عادت ومستنى فى مكان ما بقلبى . وأحسست بالنعاس . وفى نومى رقص حنين الرجل والمرأة الفطرى لبعضهما

البعض أمامى كعاشقين ريفيين يلعبان « الاستغماية » وامتد أمامى فى نومى عالم حالم ، جديــد تماما بالنســبة الى • وكانت رانجى وبادالو ينتقلان فى أشكال لا حصر لها • وغابت الأغنية عن وعى ، وأغلقت أبواب عقلى تدريجيــا حتى ازاء الأحلام •

وأيقظنى شىء من الاضطراب فى القارب وانتصبت جالسا • كان القارب مربوطا بوتد على الشاطىء • وكان رجال القارب يتحركون فى عجلة بالقارب وعلى الضفة ، ومعهم مصابيح • وعلى الضفة كان رجلان يقفان على جانبى رانجى وهم يمسكان بذراعيها • وكان أحدهما هو الكاتب • وكان معه قطعة حبل فى يده ، وكان يبدو أن رانجى ستجلد جلدا • وقفزت الى الضفة وسألتهما عما حدث •

واحمر وجه الكاتب غضبا • وقال ، « لقد فر الوغد ببعض حاجياتنا ، لابد أن ابنة الكلبة هذه قد أرست القارب على الضفة بينما كان الجميع نياما • كانت ممسكة بالدفة ، تلك الفاجرة » • وكانت هناك لمحة من اليأس وضعف الحيلة فى نبرات صوته •

وسألته قائلا ، « ما هى البضائع التى سرقت ؟ »

« سلتان من الحنه وثلاثة جوالات من التمرهندى • ذلك هو السبب فى اننى قلت اننى لن أسمح لهما بالتواجد فى القارب • ســوف يتعين على أن أعوض الخسارة » ثم سأل رانجى « أين أنزل البضائع ؟ » •

« قرب كالدارى ، يا سيدى الكريم ! »

« أيتها الكذابة ! لقد كنا جميعا مستيقظين فى كالدارى » •

« اذن فلابد أن ذلك كان فى نيدادافولو » •

« لا ، انها لن تخبرنا قط • سوف نسلمها للشرطة فى أتيل • اصعدى الى القارب » •

« سيدى الرحيم ، أرجو أن تسمح لى بالانصراف » •

« اصعدى الى القارب » هكذا أمرها وهو يدفعها نحو القارب •

وجرها ملاحان الى داخل القارب •

« أيها الشحاذون النائمون • أيها المعتوهون المهملون ! أليس عندكم شعور بالمسئولية ! لماذا وضعتم الدفة فى أيديها ! » وكان الكاتب غاضبا جدا • وعاد الى غرفته •

واستأنفت رانجى الجلوس فى مقعدها السابق ، وجلس ملاح بجانبها ليحرسها . وتحرك القارب ثانية . وأشعلت سيجارا .

وسألتنى فى صوت يوحى بالألفة : « سيدى الرحيم ، احتفظ بواحد لى أيضا » وأعطيتها سيجارا وعلبة ثقاب وأشعلته .

« أخى العزيز ما الذى تربحه من تسليمى للشرطة ؟ »

وقال الملاح ، « لن يدعك الكاتب تذهبين » .

وسألتها ، « هل بادالو زوجك ؟ »

وأجابت ، « انه رجلى »

وقال الملاح ، « لقد أغواها وهى فتاة صغيرة . ولم يتزوجها . والآن لديه فتاة أخرى . أين هى يارانجى ؟ » .

« فى كفور . انها الآن فى أوج ازدهارها . وعندما تعانى ما عانيته من لطمات عديدة ، فسوف تبدو اسوأ منى حالا . هذه الكلبة القذرة ! »

وسألتها ، « اذن لماذا ترتبطين به بأية صلة ؟ »

« انه ملكى ، يا سيدى ! » هكذا أجابت ، وكأنما كان ذلك يفسر كل شىء .

« ولكن له امرأة أخرى »

« ماذا يستطيع أن يفعل بدونى ؟ لا يهم كم عدد النساء اللاتى يملكهن الرجل .

أقول لك يا سيدى ، انه ملك بين الرجال . وليس هناك آخر مثله » .

وقال الملاح ، « سيدى ، لا يمكنك أن تتصور هذا الشخص على حقيقته ، دون أن تعرفه . كانت تفيض حياة وشبابا عندما علقت به . وفى ذات ليلة ، حبسها فى كوخها وأشعل النار فيه وكادت أن تموت حرقا . وكان طالعها الحسن فقط هو الذى أنقذها » .

« شعرت أننى سأخنقه بيدى المجردتين ان استطعت فقط الوصول اليه . وسقط عود أحمر ساخن من الغاب عبر ظهرى من سقف الكوخ » . ورفعت بلوزتها قليلا وحتى فى الظلام استطعت أن أرى ندبة بيضاء على ظهرها .

وسألتها ، « لماذا تبقين معه بعد كل هذه القسوة ؟ »

« لا حيلة لى فى ذلك يا سيدى . عندما يكون معى اتعلق به بكل بساطة. انه يستطيع التحدث جيدا فيثير احساسك بالشفقة وتجعله يفيض كجدول من الماء . بدأنا رحلتنا مساء اليوم من كفور . وفى الطريق ، رجانى راكعا على ركبتيه أن أساعده فى هذه المهمة .

قال انه مفلس تماما . ووصلنا الى قناة نيدادافولو بطريق مختصر عبر الحقول .. ؟

« أين أرسى البضائع ؟ »

« كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ »

وقال الملاح ضاحكا ، « أوه انها لن تقول الحقيقة قط ، تلك الأفاقة ! » وتملكتنى نزعة مفاجئة من الفضول للنظر الى وجهها عن قرب . ولكنها فى الظلام ، ظلت غائمة المعالم وغير واضحة القسمات .

وزحف القارب ببطء على صفحة المياه الملساء . وعندما مر منتصف الليل أصبح للنسيم لسعة أشد برودة . كان هناك حفيف للأوراق على الشجر ولم أنم ثانية تلك الليلة . حاول حارس رانجى بلا جدوى أن يقاوم رغبته الغلابة فى النوم وأخيرا استسلم له . ولكن رانجى جلست هناك تدخن سيجارها بلا مبالاة ، مستسلمة لموقفها .

وسألتها ، « ألم تتزوجى مطلقا ؟ »

« لا ، كنت صغيرة جدا عندما أخذنى بادالو ومضى »

« ما هى قريتك الأصلية ؟ »

« اندرا ياليم .. لم أكن عندئذ أعرف أنه سكير .. الآن ، طبعا ، أخذت عنه هذه العادة . لا بأس من تعاطى المرء الشراب . ولكنه عندما يسكر أحيانا ، يصبح متوحشا » .

« كان بوسعك أن تتركيه وتعودى الى والديك » .

« هذا ما أحس به ، عندما يصبح متوحشا . ولكن فى ذات الوقت ليس هناك شخص آخر مثله . أنت لا تعرفه . عندما لا يكون سكران يكون فى وداعة الحمل . انه قد ينال مائة ــ امرأة . ولكنه يعود الى » .

ماذا يمكنه أن يفعل بدونى ؟

واسترعى موقف المرأة انتباهى كشىء غريب ، ولم أستطع أن أعرف ماجمع شمل هذين الاثنين معا . وقالت رانجى ثانية : « لم نجد عملا يناسبنا .

لهذا اضطررنا الى احتراف اللصوصية . عندما كانت أمى حية اعتادت أن تؤنبنى لأننى جعلت من نفسى حمقاء .

وفى ذات ليلة أحضر تلك الفتاة الى كوخى .

« أية فتاة ؟ »

« التى يعيش معها الآن . وضعها على فراشى واستلقى بجوارها . أمام عيناى ! كان كلاهما سكران . الفاجرة » .

ووثبت عليها وخمشتها فى عنف . فتدخل بيننا وضربنى حتى تقطعت أنفاسى .

وحوالى منتصف الليل ذهب معها الى مكان ما . وعاد ثانية . وسببته ورفضت ادخاله المنزل وتهاوى على عتبة الباب بدأ يبكى كطفل . وتأثرت وجلست بجواره . وأخذنى الى حجرة وسألنى أن أعطيه عقدى . وسألته ، « لماذا ؟ » . قال ان ذلك من أجل الفتاة الأخرى . واستبد بى الغضب وانهلت عليه بسباب مقذع . قال لى باكيا ، انه لا يستطيع العيش بدون تلك الفتاة . ولم يعرف غضبى حدودا فدفعته الى الخارج أغلقت الباب بالمزلاج من الداخل. وراح يجذبه فترة ثم انصرف . واستلقيت مفتوحة العينين ولم أستطع النوم وقتا طويلا . ولكن بعد أن ــ غلبنى النوم اشتعلت النار فى المنزل . كان قد أغلق الكوخ من الخارج وأشعل النار فيه وحاولت فتح الباب فى لهفة يائسة وفى ذلك الوقت من الليل لم تصل صيحات استنجادى الى جيرانى . كان جسدى يشوى حيا . وأغمى على . ولابد أن جيرانى قد أنقذونى وأنا فى تلك الحالة وقبضت عليه الشرطة فى اليوم التالى .

ولكننى أخبرتهم بطريقة منطقية انه لا يمكن أن يكون مرتكب الجريمة . وفى ذلك المساء حضر الى وراح يبكى ساعات طويلة . أحيانا عندما يكون سكران يبكى كذلك . ولكنه عندما لا يكون سكران . يكون شخصا ظريفا . وأعطيته ذلك العقد » .

« لماذا لا تزالين تساعدينه فى هذه الجرائم ؟ »

« ماذا أفعل عندما يأتى ويرجونى فى أمر ، وكأن حياته كلها تتوقف عليه » ؟

« أحقا أخذك الى كل تلك الأماكن فيجيا ياناجارام ، وفيزاخا باتنام وما الى ذلك ؟ »

« لا · كنت أريد كسب ثقة الملاحين · ففى مناسبتين سابقتين · سرق هذا القارب ـ بالذات » ·

« ماذا ستفعلين اذا قبضت عليك الشرطة » ؟

لماذا ينبغى على أن أفعل شيئا ؟ ماذا يستطيعون أن يفعلوا ؟

ليست فى حوزتى بضائع مسروقة · من ذا الذى يعلم من هو المسئول عن السرقة ؟ قد يضربوننى ولكنهم فى النهاية سيضطرون الى اطلاق سراحى ·

« افرضى أن بادالو ضبط بهذه البضائع ؟ »

« لا ، سيكون قد نخلص منها الآن · لقد ظللت بالقارب لأتيح له وقتا كافيا لتنفيذ فراره »

واطلقت آهة ثم قالت ، بصوت خفيض ، « كل هذا سيئول الى تلك الكلبة الملعونة لن يتركها حتى تذبل نضارتها · على أن احتمل كل هذا فى سبيل تلك الفاجرة » ·

لم يكن هناك أثر للعاطفة فى صوتها ، كما لم يكن هناك أى عتاب · لقد تقبلته كما كان وكانت مستعدة لأن تفعل أى شىء من أجله · لم تكن تضحية ولم يكن اخلاصا ، بل لم يكن حبا · كان قلب امرأة فحسب · بمزيج غريب من المشاعر ، يشوبها الحب كما تشوبها الغيرة كان هناك تعبير واحد ظاهر فقط عن هذا الخليط من المشاعر وكان ذلك هو الحنين الذى كانت تحسه نحو رجلها · كانت كل خلية من ألياف هذا القلب متعطشة لذلك الرجل · ولكن لم يكن لديها طلبات تطلبها منه ، أخلاقية أو أدبية · لم يضرها ألا يكون مخلصا لها ، أو حتى أن يكون قاسيا معها · لقد أحبته كما كان بكل شذوذه وتفاهته وبروحه الوحشية التى لم تروض · ما الذى استمدته من مثل هذه الحياة والحظ يعاندها الى هذا الحد ما الذى اكتسبته مقابل دفع هذا الثمن ؟ الم تكن مثل هذه الحياة تعسة جدا ومثقلة بالعناء ؟ ولكن رغم ذلك هل كانت السعادة سوى قلة الاحساس بالتعاسة ؟ وساءلت نفسى : أكنت سعيدة ، اذا أنا حكمت على نفسى بهذا المقياس ؟

وارتفعت الريح تدريجيا · وتحرك القارب بسرعة أكبر · كانت هناك علامات على ان العالم يستيقظ ببطء من نوم يجدد فيه شبابه ·

هنا وهناك كان فى الامكان رؤية الفلاحين وهم ذاهبون الى حقولهم · لم يكن نجم الصباح قد أشرق بعد · وضمت رانجى ركبتيها وثنت ذراعيها حولهما ، وجلست تنظر الى الليل المنقشع ·

قالت فى بطء ، دون أن نوجه حديثها الى بصفة خاصة ، هذا هو رجلى وآينما ذهب . فمآله أن يعود الى . وكانت هذه الكلمات تلخص الأمل الوحيد والقوة الوحيدة والايمان الوحيد الذى جعلها متعلقة بالحياة بلا تردد . كانت حياتها كلها تدور حول هذه النقطة .

كان هناك فى قلبى اشفاق وخوف . وفوق كل شىء احترام لتلك المرأة . كنت أعجب ، كم كانت أحوال القلب البشرى محيرة وعجيبة ومخيفة . بل وخرقاء !

وجلست انظر اليها حتى طلع النهار . وقبل أن أنزل من القارب ، وضعت روبية فى يدها خفية ، ثم مضيت دون أن انتظر لأرى استجابتها . ولم أقابلها ثانية قط .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سانتا راماراو

ولدت سانتا راما راو عام ١٩٢٣ فى مدراس فى جنوب الهند وتقلد والدها ــ سير بنجالى راما راو ــ ضمن ما تقلد ــ عدة مناصب ديبلوماسية منها سفيرا للهند فى الولايات المتحدة وتلقت تعليمها فى مدرسة سانت بول فى لندن وفى جامعة ولسلى فى ولاية ماساتشوسيتس بأمريكا ٠

ولقد والت الكتابة منذ أيام دراستها « لم أقدر أبدا أن أكون كاتبة ٠ لقد وجدت فقط أن بعضا من كتاباتى يصلح للنشر » .

وسافرت سانتا راما راو كثيرا وتتضمن كتبها « العودة الى الهنـد » عام ١٩٤٤ « شرق الوطن » عام ١٩٥٠ ، « وهذه هى الهند » ١٩٥٤ ، « ونظرة الى الجنوب الشرقى » ١٩٥٧ ، « تذكروا المنزل » ١٩٥٦ ، و « رحلتى الروسية » ١٩٥٩ و « هدايا المرور » ١٩٦١ و « ممر الى الهند » وهى مسرحية مبنية على رواية اى ٠ م ٠ فورست وقدمت فى برودواى عام ١٩٦٢ ٠

وتعيش سانتا راما راو الآن فى نيويورك ٠



ماذا يهم

كان الشيء الوحيد المشترك بين « أناند » وبينى ، هو اننا تلقينا دراستنا الجامعية فى أمريكا ٠ وليس ذلك لأننا كنا نلتقى كثيرا خلال تلك السنوات الأربع التى قضيناها فى الخارج ــ فقد كان يدرس ادارة الأعمال أو شيئا من هذا القبيل فى بوسطن ، بينما كنت اتلقى منهج الدراســـات الأدبية الحرة المعتاد فى وليســلى وفى المرات القليلة التى تقابلنا فيها هنــاك ، لم يكن لدى أحدنا الكثير الذى يقوله للآخر ــ ولكنا حين عــدنا الى بمباى ، كان احساسنا المشترك بانتزاعنا من بيئتنا هو الرابطة بيننا ٠ كان هذا القلق بأكمله يندرج فى جيل آبائنا تحت عبارة شاملة هى « عائد من انجلترا » ، وهى عبارة كانت تصلح حتى لو انك كنت تدرس فى ميونيخ أو ادنبره ، اللتين كانتا من البلاد المحببة الى الطلبة الهنود فى تلك الأيام ٠ وكان هذا المصطلح يستعمل كمؤهل (للمناصب والزيجات) أو كتفسير لمشكلات عدم التوافق المألوفة ٠ فكنت تجد فى نــوع معين من الصــحف ــ حتى بعد الحرب ــ اعلانــات فى « عمود الاعلانات الشخصية مصوغة فى الأسلوب التالى : « مطلوب : فتاة شابة ، حسنة المظهر ، متعلمة ــ الانتماء لطائفة رفيعة جوهرى ــ لشاب عائد من انجلترا ٠ ترسل صورة ٠ والنقطة الهامة انه كان عليها ان تثبت صلاحيتها ، أو ــ على الأرجح ــ كان على أسرتها أن تبين جدارتها بأن تكون مرغوبة ٠٠ ولكن عبارة عائد من انجلترا ــ كانت كفيلة بأن تخبرها بكل ما تحتــاج الى معرفتــه عن الفتى : كيف ان اسرته من الثراء بحيث ارسلته للخارج ليتعلم ، وان فرصته للظفر بمنصب حكومى ، أو مركز فى التجارة تفضل فرص معظم الآخرين ، وان لزوجته ان تتوقع بيتا غير متزمت فى تمسكه بالتقاليد ، ويحتمل أن يطلب اليها فيه أن تقدم لحما فى الوجبات ، وان تســـتضيف آجانب ، وأن تتكلم

بالانجليزية ، بل ٠٠ وان تحتفظ بمشروبات كحولية فى المسكن وخليق بها ان تعلم كذلك انه سيكون زواجا « طيبا » ٠٠ (أى مرغوبا) ٠

« عائد من انجلترا » كانت ــ كالعبارة الأخرى الكثيرة الذكر « راسب فى بكالوريوس الآداب » ــ نوعا من الأسلوب الهندى للتعريف بالشخصية ، وكانت موضوعا للتسلية من التفكه لدى البريطانيين حين تظهر فى طلب عمل٠ ومن الطبيعى انهما كانتا عبارتين لهما معنى جاد ودقيق لدى الهنود ٠٠ اذ أن عبارة راسب فى بكالوريوس الآداب لم تكن ــ بوجه عام ــ تعنى عندنا ان الشاب أخفق فى أحد الامتحانات ، وانما كانت تعنى انه اجتاز جميع سنى الدراسة فى المدرسة والكلية التى تفضى الى شهادة ٠٠ ولهذا اعتبار هام فى بلاد كانت الأمية طابعا عاديا ، والتعليم رفاهية ٠

وفى سياق جيل أصبح متزايد الحساسية ازاء السخف والسخرية ، انصرف الناس عن تلك العبارات المفيدة ، ولم يحن وقت عودة « أناند » وعودتى الى « بمباى » ، حتى كان علينا ان نهتدى بأنفسنا الى أوصافنا الخاصة التى نعبر بها عن حالتنا القلقة ، فكنا عادة ننتقى تعبيرات عجيبة ، عن مدى تقدم أفكارنا بالنسبة لبمباى ، أو كيف ان المشروعات الحية لا يمكن أن تزدهر فى الهند ، نظرا للقبضة المميتة لنظام الأسرة ، أو كنا نبدى تعليقات سيكولوجية لم نحسن هضمها ، عن آثار الرضا والتسليم بالواقع ، كطريقة فى الحياة ٠ والواقع ان ما كنا نعنيه هو اننا كنا نعانى هموم ، العائد من انجلترا ٠

وكانت حالى أهون من حال أناند ، لأن أبوى كانا ــ من ناحية ــ متحررين أى لم يكونا من الهندوس المتزمتين ، وكانا على استعداد ــ بعد خمسة عشر عاما من التجوال فى العالم ، فى السلك الديبلوماسى ــ لأن يتقبلا برباطة جأش ــ بل وبقدر من الرضا المستريب ــ ظفرى بعمل فى احدى المجلات فى بمباى وكانت أمورى أهون ــ من ناحية أخرى ــ لاننى خضت أسوأ أزمات التكيف والتوافق من جديد قبل ذلك بست سنوات ، عندما عدت من انجلترا بعد سنوات عشر فى مدارسها الداخلية ٠

غير ان محنة العودة من انجلترا ــ بالنسبة لأناند ــ كانت أقسى وأنكى ، لأن اسرته كانت متشبثة بالتقاليد ، وكانت أمه لا تتكلم الانجليزية ، ولا تطمئن للأساليب الأجنبية ، وكان قد اقتصر فى دراسته على مدارس « بمباى » الى أن ذهب الى أمريكا لدراساته العليا ٠٠ وكان أبوه ــ وهو مقاول عظيم النجاح فى بمباى ــ قد أصر على أن يدخل أناند ــ بوصفه الابن الأوحد ــ فى عمل الأسرة ، ويعمل تحت اشرافه عدة أعمام وليس الأب وحده ٠

كانت أسرتانا تقيمان فى شارع واحد ، لا تبعد احداهما عن الأخرى أكثر

من ستة بيوت ، ولكنهما كانتا تمارسان نهجين مختلفين جدا فى الحياة . على أن الفوارق كانت تخبو بين أعضاء جيلنا ، فكنت وأناند ننتمى لنفس جماعة الأصدقاء ، وان لم يكن كل منا قد مال للآخر بدرجة خاصة . وما قرب بيننا فى « بمباى » سوى لحظة ضجر ، لحظة شعور بالحيرة ، وبعض شظايا ذكرى وجودنا فى أمريكا معا من قبل .

أذكر ان ذلك كان فى فصل الامطار الموسمية ، وقد ظل المطر ينهمر طيلة الصباح . وحوالى منتصف النهار ، عاد الصحو ، فقررت أن أقضى الساعة المخصصة للغداء فى الطواف بالمتاجر ، بدلا من أن أطلب احضار طعام الى مكتبى . ومضيت فى اتجاه نافورة « فلورا » وهى ذلك النصب البشع الذى يعتبر مركز وسط مدينة بمباى . فلم أكد أقطع نصف الطريق ، حتى أدركت أننى أخطأت فى التنبؤ بحالة الجو . اذ أخذ المطر يتساقط ثانية ، لطيفا – فى البداية – ولكنه منذر بالسوء ، ثم تحول بسرعة الى سيل موسمى نمطى . واندفعت لأول مدخل رأيته ، واذا بى أصادف أناند وجها لوجه .. وكان شابا ، نحيفا ، أميل الى القصر ، وعلى قدر من الاناقة فى ملابسه . كانت مكاتب مؤسسة أبيه فى ذلك المبنى ، وكان « أناند » يقف فى المدخل يحملق بوجوم فى الشارع الذى تجرى فيه المياه ، وفى المشاة المسرعين . وحيا كل منا الآخر بتحفظ ، فما كان أى منا فى مزاج يسمح بتبادل الأنباء بابتهاج . وواصلنا الحملقة فى المطر ، وفى حركة المرور المرتبكة ، وفى السيارات المبتلة واللامعة وهى تتحرك ببطء خلال المياه القذرة على أرض الطريق .

أخيرا قال أناند بمجهود واضح ، ودون كثير اهتمام : « وماذا تفعلين فى هذه الايام ؟ » .

قلت بفتور : « كنت ذاهبة لأطوف بالمتاجر ، ولكنى لا أدرى كيف أفعل ذلك ، فى هذا الجو » .

تمتم : « يا للمطر اللعين ! » .. ولم أكد اسمعه وسط خرير المياه المندفعة فى البالوعات . فقلت من قبيل التأدب : « وأنت : ماذا تفعل ؟ » .

قال وفى صوته دنيا من الاكتئاب : « العلم عند السماوات ! .. أحسبنى ، اشتغل ! » وبعد فترة صمت طويلة أخرى ، قال : « اسمعى .. مادمت لا تستطيعين التسوق ، ولا أنا استطيع الوصول الى « الجراج » لأستقل سيارتى ، فما رأيك فى أن نتسلل الى الناصية ، ونتناول غداء خفيفا ؟ » .

قلت ، وأنا لا أدرى كيف أرفض : « أوكى ! » .

نفرس «أناند» فى وجهى لأول مرة ، وشرع يبتسم مرددا : «أوكى !» ·· ثم أردف : « ما سمعت هذا منذ زمن » ·

أسرعنا دون تدبر ، نخوض برك الماء ، ونتفادى مظلات الناس ، حتى وصلنا — والماء يقطر منا ، ونحن نضحك — الى أقرب مطعم · ولم يكن أكثر من مشرب يقدم وجبات خفيفة « سناك بار » . فى أحد جانبيه مائدة طويلة ومقاعد عالية بلا مساند ، وفى الجانب الآخر من المكان الصغير بضع موائد · ووقفنا بين الجانبين متهدجى الانفاس ، نجفف وجهينا — دون نتيجـة تذكـر — بمناديلنا ، ونسوى الشعر المبلل ، ومازلنا نضحك بذلك الابتهاج الطائش الذى تخلقه لحظة كهذه · وقررنا أن نجلس الى مائدة ، لأن « أناند » قال ان الكعكات الجافة ، ذات الحلية السكرية الوردية — التى نسقت بعناية عـلى المائدة الطويلة — تبدو أبعد ما تكون عن اثارة الشهية اذا ما ظلت فى مواجهتنا طيلة الغداء ·

كان دخولنا الصاخب قد جعل الرواد الآخرين يلتفتون ويحملقون ، حتى اذا جلسنا الى المائدة . كان الشبان الأربعة أو الخمسة الجلوس الى المنضدة الطويلة — ولعلهم كانوا كتبة من المكاتب القريبة ، متواضعين ، شديدى العناية لدرجة مثـيرة للاشفاق بسراويلهم البيضـاء من الكتان ، وقمصانهم البيضـاء (المظهر الذى لا يغفله أحد للكتبة الهنود) — قد كفوا عن مراقبتنا ، ورجعوا الى تركيز انتباههم على أقداح القهوة باللبن مرة أخرى ، وعلى الدخان المتصاعد من فطائرهم المنتفخة المتبلة بالكرى · واستأنف « السيخ » الجالسون الى المائدة المجاورة — بعمهم الزاهية وسلوكهم المتسم بالتعاظم — حديثهم المبتهج · وعادت عاملتا الآلة الكاتبة — اللتان تختلط فيهما الدماء الانجليزية بالهندية ، واللتان كانتا فى ثوبين موشيين بالزهور — الى همساتهما وضحكاتهما المكتومة ، والى شرابهما الفوار ·

عندما أحضر لنا الساقى قائمة الطعام ، اكتشفنا ان المطعم كان يدعى « مقهى لاكسمى والميدالية الذهبية » · واسلم هذا « أناند » لنوبة جديدة من الضحك· وبينما كنا فى انتظار شطائرنا والقهوة ، أخذ يتسلى باختيار تجميعات غير متناسقة لأسماء المطعم ، على نمط اسمه : « مقهى فينوس وصن يان سن » ، و « صالون المثلجات كاديلاك والشيطان الأحمر » وهـكذا ·· وما كانت مبتكراته بارعة ، ولكننا كنا قد أصبحنا بحلول هذه اللحظة فى حالة طيبة من اعتدال المزاج ، وكنا مستعدين لأن نتفكه بأى شىء تقريبا ·

وأذكر أن أحدنا سأل الآخر مرة أثناء هذا الحديث : « ما رأيك الحقيقى فى بمباى ؟ » · فأجاب الآخر : « لنواجه الحقيقة ·· ان بمباى جحيم لا شك

فيه » .. وبدأنا أولى محادثاتنا اللا نهائية عن نفسينا ، والبيئة المحيطة بنا ، وأسرتينا ، وتكهناتنا المكتئبة بصدد المستقبل . لقد قضينا وقتا ممتعا .

وقبل ان ننصرف ، كان « أناند » قد أخذ رقم تليفون عملى ، وما أنقضى يومان حتى اتصل بى يدعونى الى الغداء ثانية . وقال : « سأعوضك عن أهوال لاكسمى والميدالية الذهبية . سنذهب الى « التاج » ، وهو ــ على الأقل ــ مكيف الهواء ، وان لم يكن « البافيون » (*) .

كان قد حجز مائدة بجوار النوافذ فى قاعدة المائدة بفندق « التاج محل » ، لنستطيع أن نطل ــ ونحن جالسين ــ على مياه الميناء الرمادية المنفرة ، ونشاهد سحب الامطار الموسمية المتكاثفة فوق الجزر المتناثرة . وفى الجو البارد ــ اذا قيس بدفء المطر فى الخارج ــ شربنا زجاجة من النبيذ ، وأكلنا فطائر اكباد الاوز المحلية « باتيه دى فواجرا » ، وشعرنا بالأسى لنفسينا .

قال أناند : « اننى لا أعرف لماذا أتعب أبى نفسه بارسالى الى أمريكا ، مادام لا يبدو مهتما بأى شىء تعلمته هناك » .

قلت وأنا تواقة للحديث عن شواغلى : « اننى على دراية بهذه الحال » .

ــ أتصدقين ان المؤسسة كلها تسير على النحو الذى كانت عليه قبل خمسين عاما ، تماما ؟

ــ أصدق طبعا . خذ المجلة مثلا ..

ــ أقصد ان كل شىء ينجز باجراءات شفهية مبهمة . ما من شىء يحفظ وينسق فى أضابير على نحــو سليم . ثم هناك الاعتماد الهــائل على القــوة والنفوذ ومعرفة شخص ما فى الحكومة يدبر الحصول على التراخيص وأذون الاستيراد وما اليها .

ــ مقابل اكرامية بطبيعة الحال ؟

ــ أو لخاطر صداقة قديمة أو جمائل متبادلة فى الماضى ، أو ...

ــ الواقع ان تمكننا من اصدار عدد من المجلة معجزة فى نظرى ، اذا راعينا ان احدا ممن يصفون الحروف لا يتكلم الانجليزية ، فهم مضطرون لأن يصوغوا القوالب بلغة لا يعرفونها ، ومعكوسة ــ كصورة فى مرآة ــ وباليد .

ــ هذا كله تخلف عن الزمن .

(*) البافيون بالفرنسية ، والباقليون بالانجليزية ، هو اسم مطعم فاخر فى فرنسا وأمريكا .

ـ بوسعك ان ترى اننا انما نحتاج ـ فى الحقيقة ـ الى عدد كبير من مصححى « البروفات » وعدد ضئيل من المحررين ٠٠

ـ ولكنك لست مضطرة ـ على الأقل ـ لأن تتعاملى مع الاسرة كذلك ٠٠ مع العدد الكبير من اخشاب ميتة فى صورة أعمام الأب المسنين ٠ وأبناء العم ذوى الذكاء المعتم ، الذين لا بد من استخدامهم !

ـ ألا تملك اقتراح اقصائهم واعطائهم معاشا ؟

ـ لا تظنى أننى لم أفعل ٠ ولكن أبى يقتصر على الابتسام ويقول اننى لن ألبث أن أهدأ وأستقر عما قريب ٠ أواه ، ما الجدوى ؟

كانت مناقشاتنا تكاد تنتهى دائما بأن يقول واحد منا ، فى ضيق مبالغ فيه : « هكذا تسير الأمـــور ٠ أحسب أن علينا الآن ان نعـــود الى مناجم الملح(١) ؟ » ٠٠ وما أضفت قط اننى كنت استمتع بعملى ٠

لم نفطن فى ذلك اليوم ـ الا عندما عممنا بمبارحة « التاج » ـ الى كثرة الذين نعرفهم أو كانوا يعرفوننـا أو يعرفون أحـدا من أسرتينا ـ ممن كانوا يتناولون الغداء فى قاعة الطعام الكبيرة ٠ فابتسمنا أو أومأنا لعدد من الناس ـ ونحن نشق طريقنا خارجين ـ وعرجنا على عدة موائد لتبادل التحيات ٠ وكنا معا نشعر ـ فى سخط متزايد ـ بالنظرات المتكهنة ، وبالفضول المتكتم بحرص وراء مجاملات الكلام الشكلية الساره ٠ وسرت و « أناند » متئدين صامتين الى درجات سلم الفندق الواسعة طولا الواطئة عرضا ٠ وأظنه كـان يحاول ان يبدو غير مكترث ٠

ولم ينفجر مغضبا الا حين بلغنا الطريق ، اذ قال : « عليهم اللعنة ! ٠٠ يالهم من قطط متلصصة ! أى شأن لهم ، على أية حال ؟ » ٠

قلت متكهنة : « أنه النبيذ ٠٠ حتى الذين ذهبوا للخـــارج كثيرا ، لا يتناولون الخمر أثناء الغداء » ٠

ـ « هبيه كذلك ٠ فما الذى يعنيهم فى هذا ؟ » ٠

ـ « أنها أساليب أجنبية مستهجنة ، بجانب انهم ٠٠ » ٠

ـ « بجانب انهم ليس لديهم ما يفعلونه سوى الخوض فى سير الناس » ٠
« هو هذا طبعا ، ثم انك ـ بجانب هذا ـ تعتبر فى نظرهم صيدا ثمينا ، فمن الطبيعى أن يتساءلوا » ٠

---

(١) اشارة الى العمل القهرى ٠٠ اذ كان المسجونون يسخرون فى مناجم الملح ٠

عبس « أناند » ونحن نعبر الطريق الى حيث كانت سيارتــه ، بجوار سياج البحر · وفتح الباب لى ، ثم ركب خلف عجلة القيادة · ولم يدر المحرك للحظة أو أثنتين ، وانما جلس ويداه على العجلة . وقد أشاح برأسه عنى ، يحملق مهددا فى نور ما بعد الظهر ، الذى كان يحتمل ان يدلهم فى أية لحظة لقدم المطر ·

وخيل الى أنه على وشك ان يخبرنى بشىء ـ عن خيبة رجائه فى أمر ما ، أو عن علاقة غرام ـ ولكنه بدلا من ذلك ضم أصابعه فى توتر فجأة ، وقال : « الى الشيطان بهم · فليتكلموا اذا لم يكن لديهم ما هو أفضل » ·

قلت وأنا أرجو ألا ينم صوتى عن اهتمامى بهم : « نعم · مهما يكن ، فمن ذا الذى يأبه ؟ » ·

فابتسم فى وجهى قائلا : « هكذا تكون الروح · سنريهم ! » ·

تناولنا الغداء فى « التاج » مرات عديدة بعد ذلك ، ولكنا كنا فى كل مرة أكثر تحديا ، وأكثر شعورا ـ نوعا ما ـ بالنظرات المتسائلة ، مدركين دائما اننا وحدنا كنا الاثنين « غير المرتبطين » اللذين يتناولان الغداء معا · أما الآخرون فكانوا رجال أعمال ، أو أزواجا وزوجات يقومون بمجاملات بحكم الواجب ، لم يكن بوسعهم ـ لسبب ما ـ ان يقيموها فى بيوتهم ، أو سيدات يأتين جماعات ، أو أجانب ·

وعندما كنا نقف داخل مدخل قاعة الطعام ، كان « أناند » يقف لفترة ثانية ، ثم يمسك بمرفقى ويقول شيئا ، شبيها بالتالى : « تقدمى ، لنوجه ضربة من أجل الحرية » ، أو « دعينى أرفع عصابة العينين · سأواجه فرقــة الاعدام كرجل » ·· ولم يكن يخدعنى ·· أو يخدع أى شخص آخر ، فيمــا أحسب ، بهذا القول ·

ان « بمباى » مدينة كبيرة ـ تضم ما يزيد على مليونى نسمة ـ ولكنها فى حياتها أقرب الى مجموعة من القرى · وفى جماعتنا مثلا ، كان كل امرىء يعرف الآخر ، بالنظر على الأقل · فكنا فى أى من الفنادق أو المطاعم ـ التى اعتدنا التردد عليها ـ موقنين بأننا سنلتقى بصديق أو قريب أو أحد المعارف · وكنا جميعا نذهب الى نفس الحفلات ، وننتمى الى نفس النوادى · بل أن كلا منا كان يعرف سيارة الآخر ، وكانت النظرة السريعة الى أى صف من السيارات فى موقف ما ، تنبئك بأن السيدة فلانة تبتاع مجوهرات لعرس ابنتها ، أو أن السيد علان يحضر اجتماع احدى لجــان نــادى ويلينجدون · لهذا ، كان كل امرىء يعرف طبعا أن « أناند » وأنا كنا نتناول الغداء معا مرتين فى الاسبوع ، ومن المؤكد ان أسرتينا كانتا تسمعان أننا نشاهد معا ·

ولم يذكر لى والداى قط هذا الأمر ، وان كان ثمة قدر من التوجد مسلكهما كلما ورد اسم « أناند » فى حديث • (ويالها من لحظة محزنة حين يصبح الوالدان لأول مرة فى شىء من التخــوف من ابنتهما) • و أنهما ــ فيما بينهما ــ يتجاوزان عن كثير من التساؤل والتعليقات من اصدا وأقاربهما • بل ان الناس كانوا يقولون لى أحيانا : « هل تأتين لحفلة السبت ؟ •• سيكون أناند موجودا » • واذا كانت أم « أناند » قد نـ يوما بأنه موضوع أحاديث الناس فالواضح أنه لم يكن يرى نصحها • بأن يكرره أمامى • وأستطيع القول انهـا ــ دون الجميـــع ــ كانت انزعاجا ، اذ كانت شديدة التمسك بالتقاليد ، راغبة فى زواج طيب وم لأبنها الأوحد ، الذى حيره وأذهله ، ما تظن هى أنه نوع من السلوك وال المعقد ، الذى يبدو لها متصنعا ــ وهو شىء يبدو لى فى غاية العجب ، أنظر اليه بأثر رجعى •

وكان « أناند » ــ من آن لآخر ــ يصطحبنى بعد أن يقفـــل م أبوابهما ، الى داره للشاى • وأظنه كان يفعل ذلك بدافع من مراعاته دخيلته ــ لأمه ، ليريح بالها بصدد الصحبة التى كان مقبلا عليها ، بأن اننى لم أكن فتاة نزقة متهورة وان كنت أعمل فى مجلة • ولست أدرى ا مدى طمأنتها وقد كنت قصيرة الشعر ، مخضبة الشفتين ، لا أضع نقد وسط جبينى كما تقضى التقاليد • ولكنها كانت تحييني دائما بأدب ، كفيها بالتحية التقليدية للهندوس ، وترمقنى بنظرات ماكرة حين تظننى لا اليها • وما كان بوسعنا أن نتبادل الأحاديث ، اذ كنا من طائفتين مختلفة فلم تكن تتحدث الا باللغة « الجوجيراتى » ، بينما كانت لغتى « الهندوكيـ وكانت دائما تبقى معنا فى حجرة الجلوس الى أن يحضر أحد الخدم الشـ ثم ترفع قوامها المسترخى عن مقعدها ، وتومىء محيية اياى ، ثم تتركنا وحـ وكنا نفطن دائما الى وجودها فى الحجرة المجاورة ، وراء مدخل مقبى تـ عليه الستائر ، ونسمع من حين لآخر رنين فنجانها اذ يلامس طبقه • حديثنا دائما يميل الى التحفظ المتكلف ، بالرغم من انها لم تكن تفهمه

ولعل هذا الضغط الصامت ، أو لعله مجرد نوع من التململ ، هو جعل « أناند » وأنا نهمل الأماكن التى اعتاد أبناء جماعتنا غشيانها ، و عن مطعم أكثر تواريا للقاءاتنا للغداء • فقد ظللنا لا نتمالك أن نتأثر بـ من يعرفوننا ، بالرغم من اعتبار نفسينا متحررين • ولم تكن ثمة جدو انكار اننى كنت أهتم بالرأى العام (وان لم أكن بحاجة للقول بأننى دائما أنكر ذلك لأناند) •

وأحسبني كنت قد بدأت أفقد تهور وعناد « العائد من انجلترا » ، بيد انني لم أكن مستعدة للكف عن ملاقاة « أناند » للغداء . كنت ارتاح اليه ، وانتظر بشيء من نفاد الصبر اتصالاته التليفونية ، والصوت اللطيف وهو يقول شيئا من هذا القبيل : « هالو ؟ .. أهذه هي الفتاة العاملة ؟ » (كان هذا من تعبيرات التحدى الاثيرة لدى أناند .. اذ كانت الفتاة العاملة ذات غرابة مميزة في بمباى في تلك الأيام . فلو انك من أسرة محترمة قادرة على أن تعولك ، لما كان يفترض ان تعملي لتكسبي مالا . لم يكن على العمل الاجتماعي غبار ما . ولكن العمل في شيء يحاط بالشبهات كالصحافة شيء آخر) . وكان يقول أحيانا : « أنا العميل السرى ٥٠٧ . أأنت من الزملاء المناضلين في المقاومة ؟ » أو « أأنا أخاطب الآنسة تحرير المرأة ؟ » .

وكنت في أى الأحوال أضحك وأقول : « نعم » .. فيقترح ان نجرب طعاما صينيا ، أو نتناول دجاجة متبلة في حانوت ايرانى معين ، أو أن نذهب - اذا كان اليوم من الأيام الحارة ، عديمة المطر ، في أواخر فصل الامطار الموسمية - الى شاطيء « شوباتى » ونأكل الأصناف الرخيصة من الاخلاط اللذيذة الغزيرة التوابل ، التي كان الباعة يبتكرونها . ولم يعد - باتفاق صامت - يأتى الى مكتبي لاصطحابي . وبدلا من ذلك أصبحنا اما أن نلتقى عند موقف سيارات الأجرة عند الناصية (تاركين سيارة أناند مستقرة في الدرب الممتد خلف مبنى مكتبه) واما أن نصل منفردين لمكان اللقاء .

كنا مرة منطلقين في سيارة الى « كولابا » - أقصى نقطة جنوبية من الجزيرة - واذا « أناند » يميل فجأة للأمام ويطلب من سائق السيارة التوقف . ففى شارع لا يمتاز بطابع خاص ، تقوم على جانبيه منازل فردية للطبقة المتوسطة ، لمح لوحة عليها : « محل جو » - سماه جندى أمريكى برح به الحنين ، وجد سبيله الى ذلك المكان أثناء الحرب - فسرعان ما أصبح ذلك مطعمنا المفضل . أولا لأننا شعرنا بأننا مكتشفاه ، ثم لان طاهيه كان من « جوا » ، وهذا معناه ان بوسعك ان تطلب اللحم البقرى ، على نقيض المطاعم الهندية الأخرى . اذ أن معظم الهندوس لا يأكلون اللحم البقرى ، ولا يطهونه ، ولا يبيحونه في محلاتهم ، فكان من جراء ذلك أرخص اللحوم في بمباى . كنا نأكل الكثير من لحم البقر في « محل جو » ، وكثيرا ما كنت أتمثل « أناند » في بيته في المساء ، يجد لذة كبيرة من تصور ارتياع أمه لو انها علمت بأن في جوفه شواء من لحم البقر .

وسرعان ما ألف صاحب المحل - الذى كان « أناند » يدعوه « جو » ، بالرغم انه كان هنديا بدينا ، بشوشا - ان يرانا مرة كل يومين تقريبا .

والحق اننا لم نستطع أن نتصور كيف يمكنه أن يكسب شيئا ، اذ أننا لم نجد قط فى المحل أحدا سوانا ، أناند وأنا • وكان « جو » يحضر الطلبات بنفسه ، وهكذا لم يكن لديه سقاة ولا خدم • وقال « أناند » ان المكان ربما كان واجهة للتستر على أنشطة تمت للسوق السوداء ، وان للمرء أن يتوقع أى شىء من رجل يفتح « محل جو » فى بمباى • والأرجح ان السبب الحقيقى الواقعى ، هو أنّ معظم عمل « جو » كان يتمثل فى طهو الوجبات وارسالها للطاعمين خارج المحل •

وأصبحنا نسكن الى « محل جو » حتى اننا ابتعنا مفرشا للمائدة ، لنخلع على المكان شيئا من اللياقة ، فكان يبسطه فى زهو على المائدة التى فى الركن ، وهو لا يكف عن أن يذكر انه قد غسله منذ تغدينا فى المرة السالفة • وكنا نحتفظ بزجاجة « جن » عند « جو » ، وعلمناه كيف يعد عصيرا طازجا من الليمون الهندى (الليم) معه ، ليتسنى لنـــا أن نتناول « كوكتيل » قبل الغـداء • ولم يكن لديه ترخيص لبيع المشـروبات الكحـولية ، فكان يمزج « الكوكتيل » لنا دائما فى قنينة غير شفافة ، كتب عليها « زنجبيل ناشف » ، تحسبا لمقدم أى أحد • ولعله كان يضيف ماء الى « الجن » ، ولكنا لم نحفل كثيرا ، لأن الفكرة ذاتها هى التى كانت مبعث سرورنا •

كنا نجلس الى مائدتنا بين نافذتين ، نرمق من آن لآخر الحديقة الصغيرة غير المنسقة ، وشجيرات الياسمين ، وحركة المرور العابرة ، ونتبادل الحديث• وكم كنا نتكلم ! •• حديث مستمر متصل • أحيانا نقول : « هل قدر لك فى الولايات المتحدة الامريكية •• » ، أو « أتتذكر •• » وما الى هذا • وأحيانا كان الحديث يتناول أحداثا فى البيت و فى مكاتب عملنا • وكنا نتحدث كثيرا •• عنهم ، و « هم » تتضمن أى أقارب أو أصدقاء كنا نعتبرهم عتيقى الفكر ، متدخلين ، يفتقرون للفهم • وكنا نتناول أحيانا أحكامهم الظالمـــة بالنقاش ، وكانت كثير من محادثاتنا تبدأ بعبارة : « اتعرفين ما ذهبوا اليه وما فعلوا ؟ » •• وامتد كلامنا طيلة الشهور السابقة على الرياح الموسمية ، الى أيام باكورة الشتاء بجوها الذى تشيع فيه البرودة والصحو • ويبدو لى الآن انها كانت معجزة ان استطعنا ان نجد مثل هذه الوفرة من التعليقات عن تفاصيل ودقائق حياتنا العادية التى ليس فيها ما يثير الخيال أو يبعث على الاهتمام •

ولو كنا أكبـــر سنا ، أو أقوى ملاحظة ، لكنا قد عرفنـــا يقينا ان هذه الحال لا يمكن ان تدوم أمدا أطول • كنت أشعر ــ شعورا مبهما ــ بأن كل يوم يمر علينا فى « بمباى » كان يجلب معه قدرا ضئيلا من الاسترخاء فى سخطنا على (الأحوال فى الهند) ويقلل من وضوح رؤيتنا لمعالم حياتنا فى أمريكا • على أنه ما دار بخلدى قط ما كانت أسرة « أناند » خليقة بأن تعده

كحملة مضادة على تذمره بوصفه « عائدا من انجلترا » . كانت أم « أناند » غير معقدة ، تأخذ الطريق المباشر دائما الى غرضها ، وما كانت هناك — فى نظرها — سوى طريقة واحدة واضحة وفعالة للقضاء على الداء بأكمله دون انتظار لأساليب الزمن البطيئة .

كنا فى « محل جو » حين أعلن « أناند » وصول « جاناكى » . وأتذكر اننى كنت قد وصلت للمطعم مبكرة وكنت أجلس الى مائدتنا حين جاء « أناند » كان فى مشيته قدر من التوتر دائما . ولكن توتره فى ذلك اليـــوم كان أكثر بروزا . وكان يحمل منكبيه الضيقين بطريقة مشدودة ، ويبدو عليه أنه مهموم . فسألته على الفور عما اذا كان هناك ما يشغل باله . فتساءل بحدة ، وكأنما التعبير قديم غير مستعمل : « ما يشغل بالى ؟ ولماذا يكون هنـــاك ما يشغل بالى ؟ » .

— الواقع اننى لا أدرى . كل ما هنالك ان شكلك يبدو غريبا .

قال متعمدا سوء الفهم : « لا أشعر بأن شكلى غريب » .

أحضر له « جو » جرعة الكوكتيل . وسأل — فى قنوط — عما اذا كنا نريد شواء اللحم البقرى مرة أخرى .

فلوح له أناند بيده نافد الصبر . وقال : « فيما بعد .. سنقرر فيما بعد » . ثم نظر لى فى صمت ، وقد قطب جبينه منذرا : « أتعرفين ما ذهبوا اليه وما فعلوه ؟ لقد دعوا شخصا من أبناء العمومة .. البعيدة ، للاقامة » .

ولم يبد لى أن فى الأمر نكبة خطيرة . فأبناء العمومة يأتون — منذ الأزل — للزيارة مدعوين أو غير مدعوين . ولكل الأقارب الحق فى أن يفدوا عندما يروق لهم هذا ، وان يمكثوا ما شاءوا . لهذا بدا ما أعلنه غير مدعاة للضيق ، ولكنى سألته فى حذر اذ بدا جد مهموم : « وأحسب انه سيكون مرتقبا منك أن تهيئه لشغل وظيفة ما فى الشركة » .

قال أناند : « انها فتاة » .

وكان هذا نبأ مفاجئا حقا ، فتساءلت : « فتاة ؟ .. هل ستعمل فى الشركة ؟ » .

— كلا ، طبعا . أليس بوسعك أن ترى ما يدبرون ؟

— كلا ، فى الواقع . ليس بوسعى .

قال وهو يبدو عديم الحيلة ازاء هذا الغبـــاء : « الا ترين ؟ .. انهم يحاولون تدبير زواج لى » .

ولم يسعفنى الفكر بشىء أقوله ، سوى عبارة غير مقنعـــة : « كلا بالتأكيد » .

ومضى يقول غير ملق بالا لما قلت : « اننى لاذهب الى القول بأنهم يظنون انهم بارعون . يجمعون بيننا ـ كما ترين ـ بحيث لا يجرحـــون ايثارى الأجنبى » وضغط على الكلمة بمرارة وهو يواصل الحديث « غير المفهـوم لهم لأن أفكر لنفسى فى هذه الأمور . ان علينا أن ننمى حب كل منا للآخر بطريقة غير محسوسة . أواه ، اننى لأرى المؤامرة بأكملها » .

ـ لا بد انك تتوهم كل هذا .

ـ انها وصلت مساء أمس . وما أخبرونى بأنها كانت قادمة .

ـ ولكن الناس دوما يأتون دون توقع .

ـ أعرف هذا ، ولكنها جاءت مدعوة . هكذا أخبرتنى هى .

قلت : « يالك من مسكين يا أناند » . كنت أسفة لأجله ، ومغضبة من أجله . لم تكن ثمة بوادر غرامية متبادلة بينى وبين أناند ، لهذا لم تكن الفتاة تمثل أى تهديد شخصى لى ، ولكنى رأيت صادقة ان المسألة مسألة مبدأ ، وواجب المرء ان يقف فى صف المبدأ . كنا كثيرا ما اتفقنـــا على أن نظام الزيجات المدبرة اهانة جوهرية لحقوق المرء كانسان .. انه التدخل النهائى ، الذى لا يطاق من العائلات المتسلطة . وحاولت ان أفكر فى شىء أواسيه به ، ولكنى لم استطع سوى أن أقول فى استخذاء : « كل ما عليك أن تفعله هو أن تصمد الى النهاية » .

قال : « وأشاهدها تؤدى الواجبات الصغيرة فى البيت ، وتجعل نفسها بهدوء شخصا لا غنى عنه ؟ » وأردف بابتسامة محنقة : « ومع توالى السنين .. اتظنين اننا سنكبر معا محتفظين بكياستنا ولباقتنا ؟ .

قلت ضاحكة : « لا تكن بهذا الحمق . انها ستضطر للرحيل ، عاجلا أو آجلا .

لاح انه بدأ يبتهج ، وتساءل : « ولكن ، هل سأعيش حتى ترحل ؟ »

قلت وأنا أفكر ـ لأول مرة ـ فى الفتاة : « ليس فى هـــذا انصاف للمسكينة . أعنى ـ اذا كانوا قد أيقظوا آمالها » .

ـ حسبك ، لا تسرعى فى العطف عليها . ان الطريقة الوحيدة للتخلص من هذا الأمر نهائيا ، ان أجعل موقفى واضحا .. ان اتزوج غيرها فورا . ما أحسبك تفكرين فى الزواج منى .. أتتدبرين هذا ؟ .

قلت مجفلة : « يا للسماء ! ــ كلا · لا أراك بحاجة للجنوح الى هــذا التطرف ·

ــ ربما لا · سنرى ·

وأخيرا ، خطر لى أن أسأله : « ما اسمها ؟ » ·

ــ جاناكى ·

ــ اسم جميل ·

ــ ان نفسى تغثى له ·

● ● ●

ترقبت موعد غدائنا التالى بصبر نافد ، فلما التقينا بعد يومين فى مطعم « جو » ، شرعت اسأل أناند فى تلهف : « كيف تسير الأمور ؟ ·· كيف تسير علاقتك بجاناكى ؟ » ·

وبدا أناند بعيدا عنى بفكره ، ضجرا نوعا ما بهذا الموضوع ، وصاح : « جوا ! ·· مزيدا من الثلج ، بحق القديس بطرس · ليس المفترض فى الشراب ان يكون دافئا · وطرق المائدة بأصابعه ، بحركة عصبية مألوفة ، وقال فى اصرار : « انه لن يتعلم قط ! » ثم قال بعد فترة : « جاناكى ؟ ·· انها بخير فيما أظن · مصدر ازعاج ضئيل » ·

ــ أهى تبالغ فى التلطف اليك ؟

ــ الواقع اننى أشهد لها بهذا ، فهى تحرص على ألا تقف فى طريقى ·

قلت وقد غشينى شعور غامض بخيبة الأمل : « أوه ! » ·

ــ الذى يغيظنى هو مجرد شعورى بأنها موجودة دائما ·

ــ شعور كهذا خليق بأن يقودنى للجنون ·

ثم قال فى لهجة غاضبة مفاجئة : « انها امرأة الى أبعد الحدود » ·

ــ أتعنى انها تحوم حولك ؟

ــ ليس هذا ، الى حد كبير ، ولكننى أراها تأمل فى أن أتناول عشــاء طيبا ، أو أن أكون قد نعمت بيوم طيب فى العمل ، أو ما الى ذلك ·

ــ هذا يبدو حريا بتملق غرورك ·

ـ بل ارى أنها الخطة المرسومة ٠ الأمر الذى يدعو للاشفاق ، هو أنهم يجهلون طبيعتى تماما اذا كانوا يظنون انها من نوع الفتاة التى أود الزواج منها ٠

ـ وما نوع الفتاة التى تود ان تتزوجها ؟

قال فى عجز : « علم هذا عند السماء ٠ انما أريد فتاة مختلفة تماما ، على أية حال لقد عرفت فتاة من هذا النوع يوما ما ٠

قلت وقد أثار اهتمامى : « أكانت هناك فتاة فى أمريكا ؟ » ٠

ـ أليست فى أمريكا « فتاة » دائما ؟ ٠٠ هذه عادة متوارثة كانت ـ فى عهد آبائنا ـ ابنة صاحبة المنزل التى تؤجر غرفة مفروشة للطلبة فى مكان ما فى « ايرلز كورث » بلندن ٠ وهى شقراء لطيفة لا تصد أحدا ٠

ـ وفتاتك ؟

ـ لطيفة لا تصد ، ولكنها ارفع من ابنة صاحبة المنزل بعدة درجات ٠ كانت فى السنوات النهائية فى الكلية ٠ وكانت لها أسرة لطيفة ـ اذا احتمل المرء الأسر ـ كانت فتاة حيية ، ولكنها كانت مصممة على الايمان بأن محيط المنزل المريح السعيد هو خير وقاية للفتاة ٠ وما أظنهم كانوا يقيمون اعتراضات كثيرة لو أقدمنا على الزواج ٠

ـ اذن فلماذا لم تتزوجها ؟

ـ لست أدرى ٠ هل تفلح هذه الزيجات ؟ اننى لا أدرى حقا ٠

ـ أحسب ان والديك كانا خليقين باثارة عاصفة ٠

ـ قبل الزواج ٠٠ لو اننى أخبرتهما ٠ وليس بعده ٠ فاذ ذاك ، يكون التفاعل الكيميائى اللعين الذى يحـول الفتاة الى كنة (زوجة ابن) قد أدى مفعوله ٠ وكانت هذه هى المشكلة حقا ٠

لم يكن بوسعى أن اتصورها كنة هندية تعيش فى أسرة فى بمباى ٠٠ أية ورطة كان هذا خليقا بأن يحدثها ٠ وجود المشاعر الجريحة ، والاتهامات المتبادلة ، وخيبة الرجاء ٠ ومضى فى لهجة صادقة جادة ، وكأنه يتناول نقطة هامة : « لست مرهف العاطفة نحوها ٠ أعنى ، اننى أعلم انها لم تكن فائقة الجمال أو ما الى ذلك ، ولكنى أعلم انه كان لى شخصية مستقلة فى ذهنها ٠ بعيدا عن كوتى مجرد ابن شخص ما ، أو مجرد رجل تتزوجه ، أو امرىء ذى روابط طيبة بدوائر المال والأعمال » ٠

ـ وهل أنت كل هذا لدى جاناكى ؟

ـ أظن هذا · فماذا أكون سواه ؟

واذ بارحنا مطعم « جو » بعد الغداء ، قال : « أرى انه يحسن بك ان تأتى لتناول الشاى ، كى تلتقى بها · هل يروق لك هذا ؟

ـ كنت آمل ان تدعونى ·

ـ وهو كذلك اذن · غدا ؟

قابلت « أناند » فى اليوم التـالى ، بعد العمل ، وأنا مفعمة بالانفعالات المثيرة ، فأقلنى بالسيارة الى بيته · وسألته : «هل ستستاء أمك لأنك دعوتنى؟» ·

ـ لماذا تستاء ؟ ·· انك تناولت الشاى معنا من قبل ·

ـ ولكن الأمر يختلف الآن ·

قال وهو يأبى تقبل الموقف : « لا أستطيع ان ارى سببا لذلك » ·

قلت : « لاتكن بهذا الغباء ! » ·· وجال بخاطرى ، يا للفتاة المسكينة ·· سيكون من المخيب لآمالها بدرجة كبيرة · ان يصر على ان يعاملها كمجرد ابنة عم عرضت له أو جاءت لقضاء فترة · وسألته : « هل تتركك أمك بلباقة وحيدا معها لتتناولا الشاى ؟ » ·

ـ أبدا · انهما تثرثران معا عن مختلف التفاصيل المنزلية ·· انه حديث ممل كل الملل ·

لم يكن الأمر مملا بالنســـبة لى · ذلك لأن أم « أناند » كانت أكثر مودة وحفاوة بى مما كانت فى الزيارات السابقة بكثير ، وساءلت نفسى ان كانت قد اطمأنت الى نجاح خطتها الى الحد الذى لم أعد فيه الآن مصدر خطر · ثم ·· كانت هناك وطأة الانتظار لرؤية شكل « جاناكى » ، وكيف تبدو ·

وجاءت مع الخادم الذى حمل صينية الشاى ، مزيحة ستار قوس حجرة المائدة ليتمكن من المرور بسهولة · كانت ملتفة الجسم ، ممشوقة القوام ، ذات وجه جميل جدا ، وابتسامة تجريبية مستحيية ، تنم عن حساسية · لاح انها كانت على استعداد لمحوها فى الحال اذا لم تكن مســـتعدا لأن تبتسم معها · ورأيت للتو انها كانت الكنة المثالية لأية حماة ·· فهى وادعة ، مطيعة ، نافعة · كان شعرها مشدودا الى الخلف فى العقدة المعهودة عند مؤخر العنق · وكانت على جبينها النقطة الدالة على انها عذراء « التيكا » ، ولا تعلو وجهها أية أصباغ

سوى أخف لمسة من أحمر الشفاه ، وحتى هذه ، رأيت انها ربما كانت تجربة جديدة عليها ، اكراما لأذواق « أناند » الغربية .

كان حديثها موجها فى الغالب لأم « أناند » ، وبلغة « الجوجراتى » ، ولاحظت انها كانت قد اضطلعت فعلا ببعض واجبات المضيفة . فصبت الشاى، وسألت ــ بلغة انجليزية واضحة ، لطيفة ــ عما اذا كنت آخذ لبنا وسكرا . وقامت بتقديم أطباق الفطائر الصغيرة والحلوى الهندية .

قلت فى تكلف بعد أول قطعة تناولتها : « ان هذه لذيذة » .

وأدركت أم « أناند » لهجتى ، وان لم تفهم الكلمات . فقالت لأناند شيئا بلغة الجوجراتى .

وترجم قولها دون تحمس : « لقد صنعتها جاناكى » .

مسحت « جاناكى » ــ فى ارتباكها ــ فمها بمنديلها بحركة حاسمة ، شأن من لم تتعود خضاب الشفاه ، ثم نظرت بدهشة وفزع للبقعة الحمراء على المنديل . ورأتنى أراقبها ، فأولتنى احدى ابتساماتها المستحيية .

وبادرت قائلة أول ما خطر بذهنى : « ما أبرعك . اننى اتمنى لو أستطيع الطهو » .

أجابت : « ان تعلمه سهل جدا » .

ــ لايبدو أن هناك أى وقت له .

قالت دون تهكم أو حسد البتة : « هذا حقيقى بالنسبة لمن هى مثلك .. تمارس حياة حافلة بالعمل ومختلف الاهتمامات .

شعرت بخجل من نفسى ، لغير ما سبب كان بوسعى ان أعينه .

واصلنا الحديث فى الامور العادية ، واستمرت « جاناكى » فى وضعها بدرجة تدعو للاعجاب ، قادرة على ان تبدى الاهتمام بمعظم التعليقات العادية ، دون ان تغفل اعادة ملء الاقداح والأطباق . وأخذ الحديث يقتصر تدريجيا على « جاناكى » واياى ، لأن « اناند » استسلم الى صمت واجم . واتذكر اننى لم ار ان بوسع أحد ان يلومه حقا . فان مما يثير الحنق حقا أن يضطر الانسان الى مواجهة هذا التأدب الوديع المضجر بعد العمل كل يوم . أخيرا ، وثب عن مقعده قائلا ان لديه أوراقا يريد الاطلاع عليها ، وغادر الحجرة . ومالبثت ان انصرفت بعد ذلك بقليل .

رافقتنى « جاناكى » حتى الباب الخارجى ، وبعفوية غير متوقعة ، ألقت يدها على ذراعى وقالت : « أرجو ان تأتى لتناول الشاى مرة أخرى · أعنى اذا لم تكونى جمة المشاغل · لكم أود هذا ، فليست لى صديقات فى بمباى » ·

ـ سيكون هذا من دواعى غبطتى · ويجب ان تأتى انت الأخرى لتناول الشاى معى ·

ـ كلا . شكرا جزيلا لك · قد أفعل ذلك فى وقت لاحق ، ولكن لابد لى من دراسة عادات هذا البيت أولا · أنك تقرين هذا ، أليس كذلك ؟

وسرت الى بيتى على قدمى ، وأنا اعجب من مزيج الاضطراب العصبى والثقة لديها ، ومن واقع أنها كانت تشعر عن يقين بأن لها مكانا دائما فى ذلك البيت ··

وعندما التقينا فى موعد غدائنا التالى ، كان « أناند » هو الذى وجه أسئلة متلهفة : « وبعد ؟ ·· ماذا وأجبت بعبارة عامة : « بدا انها لطيفة جدا »·

ـ اتعنى ·· ربة البيت الصغيرة ؟

ـ كلا ·· اعنى انها وديعة وتواقة للارضاء والتلطف ·

ـ انك أشبه بأمى ، فهى تقول : « فتاة طيبة النفس · جدير بك أن تعتبر نفسك موفق الحظ » ·· أحسبها سألتك ان تكونى صديقة لها ؟

ـ كيف عرفت ؟

ـ انها ليست بلهاء كما تبدو · قالت الشىء ذاته لى : « ألن تسمح بأن نكون صديقين يا أناند ؟ » ·

واصطنع لهجة سكرية مصطنعة ، غير مقنعة ، وهو يقول هذا ، ثم عبس واردف : « الطرف الرفيع للوتد ، الا ترين ذلك ؟ ·· ان الأمر جدير بأن يكون مضحكا ، لولا انه محزن ·

قلت مدافعة عنها : « انها حسنة الشكل جدا ، على الأقل » ·

ـ انها أسمن مما ينبغى ·

ـ أظن هذا أنسب لها ·

ـ أمى تقول انها نقطة قوية تحبذها ·· اذ انها تعوض ضعف تكوينى ·

كان « أناند » مرهف الحس ازاء طوله ، وقال بصوت مؤثر يدعو المرء للعطف عليه : « رأى سليم جدا بالنسبة لتحسين النسل ·· زواج فتاة قوية ،

موفورة الصحة مثل جاناكي برجل ضعيف مثلي ، فنحظى بفرصة انجاب أطفال أقوياء أصحاء يأخذون عنها صفاتها · ان الأطفال — كما ترين — هم النقطة الرئيسية في هذا التدبير · انني الابن الأوحد ، ويجب أن أنجب أطفالا · ولأمي سياسة بسيطة ساذجة ازاء هذه الأمور » ·

قلت بلهجة أقرت الى عدم المواساة : « يجب ان تقر بأنها تصلح أما طيبة جدا » ·

— ما من شك هناك البتة · انها بطبيعتها تحبذ دور أمنا الارض العظيمة · ولكني أعاف أن أشاهد تحت هذا الضوء المستمد من الزراعة والأرض والانبات ·

غلبت جاناكي على حديثنا أثناء الغداء ، في الأسابيع التى أعقبت ذلك ، كما تناولت الشاى معهما مرارا · وكنت أحيانا أتناوله مع جاناكي وحدها ، اذا تأخر « اناند » في مكتبه ، أو اضطر لحضور اجتماع لمجلس الادارة ، فكانت توجه مئات الأسئلة عن أمريكا ، محاولة — في ظني — ان تكون صورة لحياة أناند هناك والخلفية التى بدا انها تؤثر عليه تأثيرا كبيرا · وقالت انها كانت متحمسة باطراد لمعرفة كل شيء أمريكي ، وقد بدا لي الامر ممتعا ، لأنه كان يجعلني أشعر بأنني متفوقة في خبرتي · ولقد سألتني مرة ان اعلمها الرقص ، فاذا بي اضطرب على غير توقع · كان في افتقارها للطابع الغربي شيء ترتاح له النفس ، وماكنت راغبة في ان تفقده ·

— سأعلمك اذا كنت راغبة حقا ، ولكن ··

— ان أناند يحب الرقص ، أليس كذلك ؟

بلى ، ولكن أليس الأفضل ان يعلمك بنفسه ، بعد ان ·· أقصد حين ·· أعني ، في وقت لاحق ؟

قالت : « اتظنين هذا أفضل ؟ » ·· وكانت تعنى طبعا : « الطريقة الأفضل في معاملة أناند ؟ » ·

قلت بلهجة ذات معنى يتسق وهذا : « نعم ·· ما أحسبك تودين ان تلوحي جد متلهفة » ·

فأومات برأسها قائلة ، وهي تتقبل رأيي كقرار حاسم : « حسن جدا » ·

بهذا المستوى من الصراحة المضمرة ، كانت كل منا تفهم الاخرى أكمل فهم ·

وكانت تسألني — بصراحة أحيانا ، وبأسلوب غير مباشر أحيانا أخرى — عن أذواق اناند وما يفضله · واتذكر اننا جلسنا طويلا نتحدث عن مظهرها ·

هل تستعمل مساحيق الزينة ؟ هل تقص شعرها ؟ ما الرأى فى ثيابها ؟ ٠٠ ولقد قلت لها انهـــا كانت رائعة كمـــا هى ، ولكنها ألحت : « ألم يقل أى شيء قط ؟ ٠٠ لابد انه أبدى ملحوظة ما » ٠

قلت في تردد : « الواقع انه ذكر مرة أنه يراك تميلين الى السمنة » ٠ فقالت دون أثر لاستياء : « سرعان ما سأصبح نحيلة » ٠

ـ يا للسماء ! لا تأخذى هذه الملاحظة مأخذ الجد بهذه الدرجة ٠

قالت تطمئننى : « ليس هذا بشيء يذكر ٠ ما على المرء سوى تحاشى الأرز والدسم » ٠ وقد فعلت كذلك ٠ ولاحظت الفارق بعد اسبوعين ٠

كان الجو أكثر اكفهرارا وتوترا ، فى وجود أناند ٠ من التأدب البارد فى أيامه الاولى مع جاناكى، تحولت حاله تدريجا الى ضيق، يتجلى فى صمت غاضب، ثم ـ فى وقت لاحق ـ الى نوع من المداعبة المتوارية ، الموشاة أحيانا بالرغبة فى جرح الشعور ٠ كان يحييها مثلا بعبارات مصوغة فى الأسلوب الأتى : « ماذا كنت تفعلين اليوم ؟ تطرزين الملاءات ؟ تحبكين منســوجات لصــندوق الأمل ؟ » فكانت جاناكى تبدو مرتبكة وتبتسم ، وكأنها لم تفهم نكتة بارعة ، والواقع انهــا كانت مبدعة فى اشغال الابرة ، وكانت تقوم بوشى فخم وأنيق على كل أنواع الأشــياء ـ أغطية ظهور المقاعد واذرعها ، ومناديل المائدة ، ومناشف الوجه ـ دون ان تغفل اختيار رسوم نساء بشعات ، فى ثياب فضفاضة منتفخة ، وهن يروين الزهور فى حديقة انجليزية ، أو مجموعات من الورود تنساب منهــا أشرطة ٠ ولقــد أجابت جاناكى ـ ذات مرة ـ سؤال أناند جادة بحساب كامل ليومهـــا ، أعمال التدبير المنزلى التى قامت بها ، والنساء اللائى زرن أمه وقدمت اليهن القهوة ، بل وعرضت عليه الوشى والتطريز اللذين كانت عاكفة عليهما ٠

قال لى أناند ، فى سخرية مفتعلة تقريبـــا : « ألا ترين هذا ملائمــا أروع الملاءمة للهند ؟ »

قلت بلهجة لاتقنع : « انى ارى هذا بديعا » ٠

ولم تبد جاناكى تجهما ، بل قالت بهدوء : « ان الرجال لايقدرون التطريز »٠

اضطجع أناند فى مقعده ، وحملق فى السقف ، وأطلق زفرة مغالى فيها ٠

ما كان المرء ليملك الا أن يكرهه فى هذا الدور القاسى ٠ والواقع فعـــلا ، أننى كنت ـ على حد تعبير أناند ـ أزداد شغفا بجاناكى دون أن أفطن ، بينما كان ضيقه بها يزداد علانية ، كنت ارى كياسة باسلة ، وسذاجة تستهوى النفس فى اقتناعها الذى لم تشبه شائبة بأن كل شيء سينتهى الى ما يرام ٠٠ والأمر الذى لم

أتبينه ، تمثل فى الواقعية الصلبة وراء مسلكها : كنت قد بدأت أشك فى جدوى حساباتها المدروسة الاناة المحسوبة فى طبيعتها ، التى كانت جزءا من طبيعتها ذات يوم ، حين كان أناند صعب الاضاء الى درجة مبالغ فيها • أصر على الحديث معها عن كتب لم تكن قد قرأتها ، موجها اليها ــ فى حفاوة ظاهرية ــ تعليقات كان يعرف أنها لاتستطيع الرد عليها •

وظلت جاناكى طويلا لاتقول شيئا ، ثم أقرت بدون ادعاء وكان ذلك خليقا بالاعجاب : « يؤسفنى اننى لم اقرأ سوى القصص التى فى المجلة المصورة الاسبوعية ، ولكن ، اذا أحضرت لى يا أناند بعض الكتب التى تراها جيدة ، فاننى سأقرأها » •

أجاب فى صوت غليظ : « سأرى اذا كنت أجد وقتا لذلك » •

وعندما رافقتني جاناكى الى الباب مودعة ، فى ذلك المساء ، قلت فى سخط ليس بالقليل : « لماذا تحتملين هذا ؟ لاداعى لأن يكون منفرا الى هذا الحد عندما يكلمك » •

ــ من الطبيعى ان تكون ثمة صعوبات فى البداية • فلابد من الامتعاض فى أشياء هنا ، بعد ان عاش فى أمريكا •

ــ اننى أراك صبورة أكثر مما ينبغى • ما كنت لأحتمل هذا لحظة •

وكنت قد بدأت أظن أنها لابد أن تكون غبية ، بالرغم من كل شىء ، وقالت جاناكى اذ ذاك : « ماذا كنت تفعلين فى مكانى ؟ »

ــ ارحل طبعا ، أعود الى المكان الذى جئت منه •

وفى تلك اللحظة ، أدركت ما كانت تعنيه •• العودة الى ماذا ؟ الى خطبة أخرى يدبرها كبار السن من أهلها ؟ الى تعلم ارضاء رجل آخر ؟ •• انها هنا قد أحبت حماتها المقبلة ، على الاقل ، وقالت : ثم اننى أعرف أنه فى الحقيقة شفوق عطوف » •

ولقد تجلى فى النهاية ان جاناكى كانت أكثرنا حكمة ، وكم خطر لى انه كان من حسن الحظ أنها لم تاخذ بنصيحتى اذ ذاك ، لا لأن أناند قد تخلى عن عناده فجأة ، أو لأنه ــ ذات صباح غير عادى ــ رآها بغتة بعينين جديدتين ، ولا لأى شىء من هذا القبيل • لقد ظل متململا نكدا ، لكنه أصبح تدريجيا غرقا فى لعب أكثر الادوار ارضاء للنفس •• دور « بيجماليون المحبر » •

لاحظت هذا ــ أول مرة ــ ذات يوم ، اذ فرغ من غدائه فى عجلة ، وقال ونحن عائدين الى مكتبينا : « حديث تلك الفتاة يسوقنى الى الجنون • أرى انه

يحسن بى حقا ان أبتاع لها بعض الكتب » ٠٠ واردف فى حرج : « مادمت مضطرا الى صحبتها » ٠

وافترقنا عند المكتبة ٠ وعلمت ــ فى أحاديث لاحقة ــ ان « جاناكى » كانت تؤدى واجبها الدراسى باجتهاد ومتعة ٠

من ذلك الحين أخذت الامور تسير بسرعة لا بأس بهـــا ٠ وبدأت أتوقع مقترحات أناند المتكاثرة بأن نقضى جزءا من الساعة المخصصة للغداء ، فى ارتياد الحوانيت ٠٠ وكان يعبر عنها عادة بلهجة غير رقيقة : « علينا ان نلبس تلك الفتاة بعض أزياء « السارى » الاقل ريفية فى مظهرها ٠٠ تلك الفتاة لا تستمع لغير موسيقى الأفلام ٠ لابد من أن أجيئها ببعض الموسيقى الكلاسيكية المناسبة حقا ٠ ماذا تقترحين كبداية ؟ كيسارباى ؟ سوبالكسمى ؟ » ٠

فسألته بلهجة ذات معنى : « ألا تأتيها بموسيقى غربية ؟ » ٠

فأجاب : « انها لن تفهمها » ٠

ومع ذلك ، فقد ظل ــ فى البيت ــ خشنـــا معها أو ضيقا بها ٠ وظلت هى هادئة ، ومتقبلة ــ تلميذة راغبة فى الدراسة ، وتعلم ان غبـــاءها محنـــة كبيرة لأستاذها ٠ وبرغم هذا ، لم يخالجنى شك ازاء التغير الذى أخذ يطرأ على مسلك أناند ٠ وكنت أود نهاية تكفل سعادة دائمة لجاناكى فيما بعد ٠ غير أننى كنت موقنة فى أغلب الأحيان بأنه لاسبيل لأن تكون لقصة « بيجماليون » سوى نهاية واحدة ، مهما تكن الاختلافات البسيطة ٠

وكان واضحا ان والدى أناند يعادلاننى اطمئنانا الى النهـــاية ، اذ أعلن يوما ، ونحن نتناول الشاى ــ بابتهاج ما كان بوســـع أى قدر من عدم المبـــالاة المصطنعة ان يخفيه ــ بأن أباه يعتزم ارساله الى نيويورك فى رحلة تجارية ، وأصر على أن سروره يرجع ــ الى حد كبير ــ الى أن هذا معناه انه أصبح أخيرا جديرا بأن يؤتمن على مسئولية حقيقية ٠

قلت : « وستكون بهجة حقيقية ان تعود الى أمريكا » ٠

ــ أجل ، هذا أيضا أمر طبيعى ٠ ولكنى لا أدرى كم من الوقت سيكون عندى للأضواء البراقة والحفلات ٠

كان قد تحول الى النظرة الصحيحة لرجل الأعمال بخفة وسهولة جعلتانى أود ان أضحك ٠

وانغمسنا فى مناقشة تفصيلات الرحلة ٠ وكانت جاناكى ــ فى تلك الأثناء ــ قد أصبحت جزءا من مشهد البيت ، حتى اننا توقعنا انها كانت تصغى بالانتباه المعتاد ، وتحاول ــ كعهدها دائما ــ أن تنسجم ومزاج أناند ٠

وكان أشبه بصدمة ان تكلمت فجأة بصوت واضح ، حاسم : « أنا الأخرى راحلة • سأعود الى دارى » • وساد صمت تام للحظة ، ثم اردفت : « غدا » •

وشرعت أقول : « ولكن ، لماذا ؟ » • فقالت دون ان تنظر لأى منا . « هكذا قررت » •

لم يقل « أناند » شيئا ، واكتفى بأن وقف ، وقد تبددت كل مشروعاته البراقة ، الهامة ، وسار مغادرا الحجرة • وانتظرنا ان نسمع صوت اغلاق باب حجرة مكتبه بعنف •

ثم دفعتنى مودبى لجاناكى (وفضولى ، طبعا) الى أن أسألها : « ولكن ، لماذا الآن بالذات ، وقد أخذت الامور تسير سيرا حسنا ؟ »

ــ تلك كانت نصحيتك • ألا تذكرين ؟

ــ ولكن الأمور كانت مختلفة اذ ذاك •

قالت وهى تهز رأسها ، وكأنما قد أدركنا معا حقيقة معينة : « نعم » •

تصورت ــ فى ذلك الوقت ــ انها أمنت بأنها هزمت • وادهشنى وأهمنى ان ما كان يبدو لى واضحا ، ظل مبهما بالنسبة لها • فقلت فى حذر : « اسمعى ، ألست ترين أنه •• أنه على الرغم من كل شيء ، قد وقع فى حبك ؟ » •

ولا أدرى تماما ماذا توقعت ان يكون عليه جوابها •• أيكون ابتسامة متهللة ، أو شعور بانتصار • وما توقعت ان تحدجنى وكأننى عدوة ، وأن تقول : « الحب ؟! •• اننى لا أريد ان يحبنى ، انما اريد أن يتزوجنى » •

قلت بقدر ما بوسعى من اقناع : « الأمر يختلف بالنسبة له ان الحب شيء هام بالنسبة اليه » •

تاملتنى متفحصة ، وهى تحسم فى ذهنها أمرا ، وسألتنى : « امتأكدة أنت ؟ » •

ــ كل التأكد •

قالت وصوتها حاد ينم عن نفاد صبر : « الحب ، آيه كتب تقرأين ، وهل تحبين الموسيقى ، و « ذوقك » • ومهما كان ما يعنيه هذا كله ، فهل له شأن بالزواج ؟ » •

قلت بلهجة غير المقتنعة بجدوى الجدل : « حسن » •

كيف تسنى لامرىء ان يجعل فكرة الحب الشاعرى جذابة لمن لاتبغى سوى بيت وزوج وأطفال ؟ وخيل الى اننى عرفت سبب قنوطها المفاجىء ، وان لم

يكن ثمة ما يمكن عمله بهذا الصدد . لابد ان تجديد تجارب أنانده في أمريكا قد بدت لها نذيرا بخطر طارئ . وحاولت ان اطمئنها ، وان اذكرها بأن أنانده ما كان سيغيب سوى أسابيع ، وأنه ، بمعتقدنا ، وان أمريكا سيبدو انه ـ في هذه المرة مختلفة ، اذ انه تغير كثيرا في العام المنصرم .. بل أكثر من عام في الواقع .

لكنها أبت أن تصغى ، وظلت تردد : « يجب أن أحزم أشـــيائى وابـرح البيت غدا » .

وقلت في ذهني : يا لجاناكي المسكينة ! .. كان بوسعي أن أرى ان العملية المضجرة ، عملية البدء من جديد فى حل عقد « العودة من انجلترا » لدى أنانده . تبدو أكبر من ان تقوى على مواجهتها . ولم يخطـر لى انه كان من الممكن ان أقول لنفسى بنفس الثقة : يالجاناكى البارعة ! .. فهى الوحيدة دوننا التى تعرف تماما ما تبغي . أتترك البيت ؟ .. انها كانت خليقة بأن تقطع رقبتها قبل ذلك .

أننى حين أفكر في ذلك ،لا أتمالك أن أعجب من مدى سذاجتى اذ ذاك . فالواقع أن النساء ـ أو لعلى اعنى النساء اللائى من دنيا معينة ، من عالم جاناكى ـ ورثن خلال القرون المريرة ، احساسا صارما لايلين بالحفاظ على الذات . ولايزال يبدو لى ـ شيئا مروعا ، أنهن ما زلن فى حاجه الى الاحتفاظ بهذا الاحساس،ولكن من الغباء انكار ذلك ، فهن لايزلن على هذه الحال فى معظم أرجاء الأرض ، وما كان هذا التصميم الهادىء البارع على السعى الى أمنها والتشبث به ، وعلى ذلك الموقف الذى يقول ان كل شىء مباح ـ لا فى الحب ، فقد أسقطته من حسابها ، بل فى ـ لا بالحب ـ الذى استبعدته فعلا ـ وانما بالحرب ، فى الحرب والكفاح ، لأنها كانت حربا فعلا ، لكسب أو خسارة مملكة ـ لذلك كان هذا التصميم ـ وليس أكثر منه ـ هو ما تستحقه الدنيا من جاناكى . وكما فى الحرب ، كان النصر ، الفتح ، النجاح ـ أو سمه ماشئت ـ هو الفضـــيلة الوحيـــدة . وبالطبع كان الشىء الوحيد غير المعقول ـ انه ما كان أحد يفوق جاناكى ارتياعا لو أنك وصفتها بأنها من المطالبات بحقوق المرأة .

والذى حدث ، اننى استمعت فى لهفة الى أنانده ، وهو يقول لى تليفونيا فى اليوم التالى : « لنتناول الغداء معا ، فاننى أريد أن أتحدث اليك . مطعم «جو»؟ الساعة الواحدة ؟ » .

كنت موقنة بأن جاناكى قد رحلت ، ولم تصطحب من الذكريات سوى تفاهات مهينة .. بضعة ثياب جديدة ، وكثير من الكلام الممل

أدركت بمجرد ان رأيته أيقنت أننى كنت مخطئة . كان مظهره المستخذى المرتبك يغنى عن الاعلان عما عنده من أنبـاء طيبـة . قال : « كان مساء حافلا بالأحداث . أليس كذلك ؟

ـ بلى ٠٠ كان كذلك في الواقع ؛

ثم ساد الصمت فترة طويلة ، كان يبدو خلالهـا حائرا مرتبكا ، والفكر لايواتينى بطريقة لمساعدته على الخروج من حالته ٠ وأخيرا قال ، فى اندفاع متعجل : « اسمعى ، قد يبدو هذا مضحكا ٠ أقصد ٠٠ الواقع ، اننى وجاناكى سنتزوج » ٠

قلت وأنا أشعر بارتياح : « ما كان بوسعكما أن تفعلا ماهو أكثر مطابقة للعقـــل » ٠

وبدا مخجلا ، وقال : « مطابقة للعقل ؟ قد يبدو والأمر كذلك فى نظرك ٠ الواقع ، ان كلا منا يحب الآخر » ٠

قلت غير مصــــدقة : « كل منكما ٠٠ الآخــــر » ٠ وندمت على الفور ٠ فابتسم لى فى شيء من التعالى ، وقال : « كنت أعلم أن الأمر سيبدو غريبا لك ٠ وانى لأذهب الى القول بأنك كنت تظنيننى طيـلة الوقت أكرههـا ٠ أنا نفسى ظننت هذا فترة ٠ وكان لجاناكى ـ كما يمكن ان تتصورى ـ كل العذر فى أن تظن هذا ٠ وجدير بى أن أقول ان الأمر كبدها قدرا كبيرا من الشـجاعة ٠ أعنى ، عندما تظنين ٠٠ » ٠

قلت وقد شعرت فجأة باكتئاب : « يحسن ان تبدأ من البداية » ٠

ـ ليكن ، لقد سمعتك وأنت تتصرفين بالأمس ، ثم سمعت جاناكى تأتى الى الردهة ـ وانت تعرفين طريقتها المتهيبة فى المشى ـ وتقف خارج باب حجرة مكتبى ٠ كنت فى حـال من الحيرة ، ولكنى اعترف بأننى ما كنت خليقـا بأن أفعل شيئا ، لو لم تقدم هى ٠٠ أعنى ، لو لم يقدم أحد على المبادرة » ٠

قلت وأنا أدرك ما كان مقبلا ، ولكنى كنت عاجزة عن أن أدفع اكتئابى : « نعم ٠ جاءت لتوضح سبب رغبتها فى الرحيل » ٠

وتابع كلامه قائلا : « قالت ـ انها ليست سلبية متزمتة كمـا تظنين ـ قالت انها بعكس خططها أو أى شيء توقعته ـ وأدرك أن هذا سيبدو غير معقول ـ انها قد وقعت فى حبى » ٠

ـ فهمت ٠ وهذا كان مفسرا لتصرفها ٠٠ اعنى ، كانت تحاول طيلة الوقت ان ترضيك ٠

ـ أجل ٠ اذ ذاك تبينت ان ٠٠

قلت أحاول انهاء القصة : « كل نفورك وسوء معاملتك كانا مجرد ٠٠ » ٠

ـ الواقع ، نعـم .

فرددت قوله : «الواقع ، نعم» ، ولم أجسر على التطلع اليه . ولزمنا الصمت برهة ، ثم قلت في عناء : « حسن ـ تهانئي »

قال بلهجة معتدة : « أمر عجيب ، أليس كذلك ؟ .. أعني ، ان يقـدر لمخططاتهـم أن تفلح .. ولكن ، على نحو مختلف . ولست أحسـبهم .. سيفهمون يوما .

ـ قد يكون الأمر جديرا بالايضاح .

ـ كلا ، وحق السماء . اسمعي ، انني سأصطحب جاناكي للغداء غدا . هل تنضمين الينا ؟

ـ كلا ، بالتأكيد ، فـ ..

ـ لقد طلبت هي بالذات أن تأتي ، انها تحبك كثيرا ، كما تعرفين ، كما أنها لاترتاح تماما الى الخروج بدون أحد يصاحبنا .

قلت بضيق لم يفطن اليه أناند : « في هذه الحال .. » . وكنت طيلة الوقت أفكر .. هل كنا جميعا أدوات مستغلة ؟ .. حماة متحمسة ، رجل من الممكن اطراؤه وتملقه ، صديقه سهلة الانخداع يمكن معرفة الخلفية وظروف النضال منها ، ويمكن تحري الاساليب ونتائجها معها . أما الآن وقد فازت ، فلابد أنها لا تكن لنا جميعا سوى الازدراء . ولكني ـ في الوقت ذاته ـ رحت أتساءل ، أكانت برغم كل شيء تحبه حقا ، لو صح هذا لكانت حالا لم تكن تدري كيف تتغلب عليها ، وما كان بوسعها حينئذ سوى أن تستعمل السلاح الذي تعرف كيف تستخدمه ، وهو القدرة على الارضاء أو محاولة الارضاء . فلماذا اذن كان ينبغي ـ أو كيف كانت تستطيع أن تخبرني عن كل هذا بنفسها .. وهو مجال لم تكن واثقة من نفسها فيه ، وكان بعيدا جدا عن تجربتها ؟ .

أظنني الآن ـ وقد صادفت كثيرا من أمثال جاناكي في الدنيا ـ على علم بأي التفسيرين كان هو الصواب ، وسمعت أناند يقول .. اذن فسنلتقي في « التاج » ، اذا كان هذا يناسبك ؟ »

كان قد حجز مائدة بجوار النوافذ . ولقد تأخرت جاناكي قليلا لتتأكد ـ كما أوضحت ، وهي لاهثة الانفاس من اننا سنكون هناك قبلها ، لأن الجلوس وحدها كان خليقا بأن يعذبها .

وطلبنا طعاما هنديا ، وقال أناند وهو يرمقني بنظـرة عابرة متسائلة .. لا نبيذ فيما أرى ، فما هنـــاك نـوع من النبيذ يتمشى مع الطعام الهندي . اليس كذلك ؟ » .

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٥٥ / ١٩٨٤

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٣٥٦ ـ x



هذا الكتاب :

يضم عشرين قصة ، كتبها ثلاثة عشر كاتباً هندياً ، تبين بعض الخصائص التي طرأت على الأدب الهندي الحديث ، وجملته يشارك الأدب العالمي في أجزاء أخرى من العالم ، بجانب أنها تعكس بوضوح صورة للهند وحياتها الاجتماعية والثقافية ومعتقدات أهلها الدينية وتقاليدهم الموروثة وأخلاقهم وانطباعاتهم الشخصية لما يحدث في دنياهم .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب